

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
أمانة اللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي
جامعة الفاتح
كلية الآداب الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

أبو البقاء العكبري وتوجيهاته اللغوية للقراءات في كتاب التبيان
قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الإجازة العالية
(الماجستير)

إعداد الطالب: مصطفى رمضان أحمد الوحيشي

إشراف الدكتور: خليفة محمد خليفة بديري

العام الجامعي 1429 هـ

2007 - 2008 م

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ

عَظِيمًا﴾

[النساء: 112]

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ

وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾

[الإسراء: 106]

الإهداء

إلى والدي العزيز، الذي كان أبا وشيخا وأستاذا، علمني كتاب الله،
وحبب إلي السنة المطهرة، ليجعلني بذلك أملك كنزا لا يفنى
إلى أُمي الغالية، المدرسة الفاضلة، التي ربّتنا على الفضيلة، وكابدت
من أجلنا مصاعب الحياة وهمومها،
إلى البراعم المتألّقة، والزهرات المشرقة في سماء حياتي، تقاسموا
معي الحياة حلوها ومرها، وشاركوني أفراحي وأتراحي، إخوتي
وأخواتي

إلى من كان يلهج ليله دعاءً إلى مولاه طالبا منه أن يوفقنا دينا ودنيا
إلى أحبتي في الله، من قاسموني عناء هذا البحث، فكانت عزائمهم لا
تنتثني، فتواصل إصرارهم مقويا عزيمتي حتى استوى هذا البحث على
سوقه.

إليهم جميعا أهدي هذا النتاج العلمي الذي أسأل الله الماجد الحليم أن
يتولاه بالقبول، وأن يجازيهم عني أحسن الجزاء

محبكم: مصطفى الوحيشي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على
خطيب البلغاء ، وبلغ الخطباء ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى قد وعد بحفظ كتابه المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9]، وقد وفى الكريم بوعدده، وهو لا يخلف الميعاد، فظل القرآن محفوظا في كل الوجوه كما أنزل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإنجازا لهذا الوعد ألهم الله أمة الإسلام سبلا لحفظ كتابه العزيز، وقد كان من صور ذلك الحفظ أن هيا الله سبحانه وتعالى من عباده العلماء من جعلهم أسبابا في حفظ كتابه الكريم، فصنفوا كتباً في مختلف العلوم، دونوا فيها ما تلقوه عن سبقتهم من أهل العلم وما جادت به قرائهم من آراء وتفسيرات للكتاب العزيز؛ متناولين هذا الكتاب بالحفظ والرواية والعمل والضبط والتفسير، ونشأت علوم القرآن المتنوعة، واستتبقت الأحكام، وغير ذلك من الجهد المشكور، الذي ترك لنا تراثاً ضخماً منوعاً، فمنهم من ظهر نبوغه في تفسيره اللغوي والنحوي والبلاغي، ومنهم من ظهر نبوغه في جانب الأحكام الفقهية، إلى جانب المعنى العام، إلى غير ذلك.

و مما لا شك فيه أن علوم العربية في مجملها نشأت خدمة لكتاب الله؛ حفاظاً عليه من اللحن الذي أوشك أن يدب إليه خلال العصور الأولى للإسلام بسبب الزيادة الهائلة في الداخلين الجدد في الإسلام ومعظمهم من الناطقين بغير العربية، فقيض الله لهذا الكتاب رجالاً لحمايته بدءاً بجمعه في المرتين الأولى والثانية، إلى وضع نقط الإعجام، إلى ضبط الحركات إلى شرح معانيه تفسيراً وإعراباً وتوجيهاً، إلى دراسة قراءاته وتمحيصها، وتمييز صحيحها ومتواترها من غيره، وغير ذلك من العلوم الجمة التي خدمت القرآن وحافظت عليه وحمته.

وعلم إعراب القرآن الكريم وتوجيه قراءاته أحد تلك العلوم التي نشأت على القرآن الكريم، واهتم بها العلماء ومحصولها ودققوا فيها ودرسوها دراسة تامة، فأفردت لها المؤلفات، وصنفت الكتب في ذلك إلى جانب تناولها بين المفسرين في تفاسيرهم المختلفة، على اختلاف أنواعها، ومن بين تلك المؤلفات: كتاب الإمام اللغوي النحوي أبي البقاء العكبري المسمى "التبيان في إعراب القرآن" الذي يعتبر من مصادر توجيه القراءات، ويكاد يكون موسوعة للقراءات القرآنية، ومصدراً من مصادرها.

وانطلاقاً من ذلك وحبا مني في خوض لُجج هذا العلم الجليل رأيت أن يكون موضوع بحثي في توجيه القراءات القرآنية عند العكبري، حيث سأتناول من خلاله البحث في القراءات وتوجيهات أبي البقاء لها في كتابه "التبيان"، وذلك بجمع القراءات ثم ترتيبها وفق أنظمة اللغة المختلفة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، ذاكرًا التوجيهات اللغوية التي ذكرت فيها مشيراً إلى القراءة مع نسبتها إلى صاحبها مبيناً الأوجه اللغوية التي تضمنتها توجيهها أو تأويلها، من غير ترجيح؛ وذلك لأن القراءة سنة متبعة، وكلها رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم، متبعا في ذلك منهج المحققين من أهل هذا الفن الذين وضعوا لأنفسهم منهجا مفاده أن «الديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"،⁽¹⁾ فافرقوا منه ما تيسر». ⁽²⁾

وتبدو أهمية الموضوع في أنه يتناول إعراب القراءات القرآنية التي تعد من أهم مصادر اللغة وأوثقها، فهي من الأهمية بمكان؛ إذ هي نقلت اللغة إلينا دون شوائب أو تأثيرات أخرى، خلاف جميع مصادر اللغة الأخرى، كالشعر مثلا، الذي اعتري بعضه الشك نتيجة لأسباب عدة منها: الانتحال، وجهل القائل، الأمر الذي يجعل القراءة محط اهتمام العلماء والباحثين؛ ذلك لأن القراءات القرآنية بقيت محفوظة لقداستها كما هي، سواء كانت متواترة أو شاذة.

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث: 4608، 305/15.

(2) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ت: 1/ 339-340.

ومن أهمية هذا الموضوع أنه يستهدف دراسة الكلمات القرآنية التي قرئت على أكثر من وجه، وذلك بالكشف عن الأسس والضوابط المعتمدة التي عول عليها أبو البقاء في الحكم علي القراءات ، مع دراسة تطبيقية ترسخ ذلك المنهج عنده نظريا وعمليا.

والأمر الذي جعلني أتناول هذا الموضوع أن هذا الموضوع يتعلق بطريق أو بأخرى بإعراب القرآن الكريم، وإنني أتطلع إلى خوض هذا المجال من العلوم طالبا التفقه في لغة القرآن الكريم، واضعا نصب عيني قول قائلهم⁽¹⁾: وأفضل ما القارئ محتاج إليه معرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته وسكناته، ليكون بذلك سالما من اللحن فيه، مستعينا على إحكام اللفظ به، مطلقا على المعاني التي تختلف باختلاف الحركات، متفهما لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب ينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد، ويُفهم المراد.

لهذا اخترت أن يكون موضوع بحثي متعلقا بالقراءات القرآنية وتوجيهاتها عند أبي البقاء العكبري، سائلا المولى - عز وجل - التوفيق والمدد والعون، إنه وحده ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذا الموضوع في الآتي:

- أهمية كتاب التبيان في إعراب القرآن، واحتوائه على كثير من المسائل اللغوية.
- يعد أبو البقاء أحد الأعلام البارزين في الثقافة اللغوية، وهو يعتبر حلقة من الحلقات البارزة في هذا العلم "إعراب القراءات" ممثلا صورته في القرنين السادس والسابع.
- قلة أو ندرة الدراسات التي تناولت هذا الكتاب.

أهداف الدراسة

- توضيح مذهب أبي البقاء النحوي.

(1) ينسب هذا القول إلى أبي علي الفارسي، ينظر: إعراب القرآن في تفسير أبي حيان، للدكتور: صبري إبراهيم السيد، دار الثقافة، الخرطوم، : 12/1.

- تبين طريقة أبي البقاء في الترجيح أو الحكم بين القراءات، وموقفه منها، سواء كانت متواترة أو شاذة.
- الإسهام في دراسة أحد أعلام التراث اللغوي - أبو البقاء - ودراسة شخصيته.
- الإسهام في إثراء المكتبة العربية.
- فتح المجال لمزيد الدراسات في هذا الجانب.

الدراسات السابقة

إن المتتبع لحركة البحث في مجال إعراب القرآن وتوجيه قراءاته يلاحظ أن غالب الدراسات التي تهتم بموضوع القراءات القرآنية تتركز في البحث في قراءة معينة أو في ظاهرة معينة عند القراء، والاهتمام بالأول هو الأكثر، فتجد الرسائل في التوجيهات اللغوية للقراءات أو الروايات، كرواية قالون، وكقراءة السلمي.

وفي حركة التأليف عند المتقدمين يجد القارئ كتباً عديدة تناولت هذا المجال، ككتاب الحجة للقراءات السبع، وكذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب، وكتب إعراب القرآن وتفسيره.

أما دراسة القراءات وتوجيهها عند أبي البقاء فلم أجد فيما اطلعت عليه دراسة تناولت هذا الموضوع بالخصوص؛ هذا وقد علمت أن بعض الباحثين قد اهتم بدراسة وتحقيق كتب أبي البقاء، غير أن جل أعمالهم تنصب على تحقيق كتبه التي لم تر النور بعد، ولم أجد دراسة تتناول القراءات عند أبي البقاء، أو تتناول كتاب التبيان، فتوكلت على الله واستخرته في ذلك، وارتأيت أن أدرس توجيهات أبي البقاء للقراءات القرآنية، فكانت هذه الدراسة: ابوالبقاء العكبري وتوجيهاته اللغوية للقراءات القرآنية عند العكبري في كتابه التبيان.

منهج البحث

نظرا لأن الدراسة تتعلق بجمع التوجيهات اللغوية وتحليلها، فإن من البدهي أن يكون المنهج المستخدم هو المنهج الاستقرائي، فجمعت القراءات التي وردت في كتاب التبيان التي وصل مجموعها إلى ما يزيد عن ألف وستمئة قراءة ذكرها أبو البقاء، كما استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي لتوضيح التوجيهات وتحليلها.

مصادر البحث

لا شك أن أول مصدر في هذا البحث هو كتاب الله الكريم، ومحافظةً على النص العزيز من التحريف والخلط والغلط، يكون من الواجب أن يُعْتَنَى بهذه النصوص طاعة وتقديسا لمنزلها؛ وامتنالا لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة:17]؛ ولما كان هذا البحث معنيا بتتبع القراءات القرآنية؛ فإنه من الواجب عليّ العناية بالنص القرآني عناية خاصة، حتى لا يقع الخلط عند القارئ، وحتى لا يلتبس عليه الأمر؛ لذلك اتبعت الآتي: حصرت الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿﴾، واعتنيت بضبط النص القرآني، فضبطته على ما يوافق رواية الإمام قالون عن نافع رحمهما الله، وعند ذكري للقراءات أذكر أول الأمر الآية التي وردت بها القراءات محل الشاهد، وأذكر الآية على ما يوافق رواية الإمام قالون، ثم أذكر القراءات مضبوطة على الوجه أو الطريق الذي قرئت به، فإن كانت من القراءات العشر وضعتها بين قوسين مزهرين، وإن كانت مما سوى العشر وضعتها بين قوسين صغيرين " "، كما اجتهدت أن يكون الرسم المتبع في هذه الدراسة هو الرسم القرآني، واعتمدت رسم الإمام أبي عمرو الداني رحمه الله.

واقترضت طبيعة هذا البحث أن يعتمد في أصوله على كتاب التبيان لأبي البقاء، وقد تناولت هذا الكتاب بالدراسة أثناء عرضي لمصنفات أبي البقاء، والجدير بالذكر أن "التبيان" قد طبع بتسميتين؛ الأولى باسم "التبيان في إعراب القرآن"، والثانية: "إملاء ما من به الرحمن من وجوه القراءات والإعراب في جميع القرآن، والأولى هي التسمية الصحيحة للكتاب، فقد نص على ذلك كثير ممن ترجم له، وقد اعتمدتها في هذا البحث، غير أن النسخة التي بحوزتي ناقصة وغير تامة، فقد سقطت منها إحدى ملازمها عند الطباعة سهواً، وهي الملزمة التي

تحتوي الصفحات من (193- 209) الجزء الأول، في سورة البقرة الآيات من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [243] إلى قوله تعالى في نفس السورة ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [259]، فرجعت في تخريج القراءات في هذا الجزء إلى الطبعة الأخرى المسماة "إملاء ما من به الرحمن"، ولم أرجع إليه فيما عدا ذلك.

وكان "إعراب القراءات الشواذ" يكمل ما لم يكن واضحاً، أو محتاجاً إلى توضيح، أو فيما ذكر من توجيهات غير التي ذكرها في التبيان.

ومن أفضل ما ألف في القراءات المتواترة نظم الشاطبية الذي تلقته الأمة بالقبول وتناوله العلماء بالشرح، فاخترت أحد شروحها، فكان الاختيار الذي أحسب أنني وفقت فيه هو شرح ابن القاصح للشاطبية المسمى بسراج القارئ المبتدئ، ذلك لوضوح عبارته وسهولة فهمها، وابتعاده عن الغموض، فهو شرح قد وضع للمبتدئين في ميدان القراءات.

وقد ضمنت لهذا الشرح كتاب علي النوري الصفاقسي المسمى بـ"غيث النفع" لاحتوائه بمباحث قيمة فهو يجمع بين العلم النظري والتطبيقي، ففي ذكره للقراءات يتناول أحيانا ذكر توجيهاتها كما يتميز بذكر آراء وأقوال ومذاهب لغوية مختلفة تزيد من أهمية هذا الكتاب.

وفيما خرج عن قراءات السبعة قمت بتخريجه من كتب القراءات؛ ومالم تذكره هذه الكتب رجعت إليه في كتب التفسير.

هذا وقد رجعت في بحثي هذا إلى مصادر ومراجع أخرى متعددة في النحو واللغة والقراءات ذكرتها في آخر هذا البحث.

هيكلية البحث

جعلت البحث في مقدمة، وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة:

وفيها أهمية الموضوع والدواعي التي قادت لاختياره، والدراسات السابقة حوله والمنهج الذي اتبع فيه، وهيكلية البحث.

الفصل الأول: دراسات تمهيدية

المبحث الأول: أبو البقاء العكبري

المطلب الأول: سيرة أبي البقاء

المطلب الثاني: المكانة العلمية لأبي البقاء

المبحث الثاني: القراءات القرآنية وموقف النحاة منها

المبحث الثالث: علم توجيه القراءات

الفصل الثاني: التوجيهات الصوتية

المبحث الأول: الهمز

المبحث الثاني: الإدغام

المبحث الثالث: الإبدال

المبحث الرابع: الاختلاس والإشباع

المبحث الخامس: التشديد والتخفيف.

الفصل الثالث: التوجيهات الصرفية

المبحث الأول: الأسماء

المطلب الأول: الإفراد والجمع

المطلب الثاني: جموع التكسير

المطلب الثالث: التذكير والتأنيث

المبحث الثاني: أبنية المصادر

المبحث الثالث: أوزان الفعل

الفصل الرابع: التوجيهات النحوية

المبحث الأول: الأسماء

المطلب الأول: المرفوعات

المطلب الثاني: المنصوبات

المطلب الثالث: المجرورات

المطلب الرابع: الضمائر

المبحث الثاني: الأفعال

المبحث الثالث: الحروف.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات.

الفهارس الفنية: وتحوي:

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

وهنا كلمة ينبغي أن تؤدي إلى أهلها امتثالاً لأمر الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]، فله سبحانه وتعالى الشكر كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه تعبداً لألوهيته، واستزادة من فضله، واعترافاً له بحقه.

ثم أثنى بالشكر على من ثنى بشكرهم في كتابه بعد شكره، والذي العزيزين، حفظهما الله ورعاهما، اعترافاً بفضلهما الكبير،

ثم أخص بالشكر لأستاذي د. خليفة محمد ابيديري الذي تقبل مشكورا بالإشراف على هذا البحث، وبارك سيره حتى أتى أكله، فلم ييخل علي بوقته الثمين، ولم يضمن علي بملاحظاته السديدة، ومعلوماته القيمة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير إلى جميع من ساندني ومد لي يد العون، إخوتي وأحبتي وأصدقائي، الذين عاشوا معي هذا البحث في ظل كتاب الله تعالى، أسأل الله أن يظلنا بظله يوم لا ظل إلا ظله.

وأتقدم بالشكر الخالص إلى الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، متمثلة في أمينها د.محمد كندي على ما يبذله من جهود جبارة في سبيل العلم، وإلى كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية متمثلة في أمينها د.علي اشتيوي على جهوده الكبيرة التي يبذلها في خدمة العلم، بارك الله جهودهم ووفقهم.

كما أتقدم بالشكر إلى د. إبراهيم عوض الذي أثرى هذا البحث وزكاه، وتحمل في ذلك مصاعب السفر من جمهورية مصر العربية.

وأشكر القائمين على المكتبات ومراكز البحوث والمعلومات في البلاد العربية، الذين جعلوا من أنفسهم جنودا للعلم، ومن مكتباتهم مدنا للثقافة والتراث.

وختاماً: فهذا جهد بذلته، وعند الله تعالى ادخرته، فإن كنت قد وافقت الصواب فبتوفيق الله تعالى وتسديده، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت غاية الجهد، وليس الكمال إلا لله تعالى وحده، ولكتابه العزيز، وما أحسن ما قاله الإمام المزمي صاحب الإمام الشافعي رحمهما الله، «لو عورض كتاب سبعين مرة؛ لوجد فيه خطأ، أبى الله تعالى أن يكون كتاب صحيح غير كتابه».

والله أسأل أن يكون عملي هذا إسهاماً في فتح مزيد من الدراسات في هذا الميدان المبارك، ميدان القرآن الكريم، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأسأله أن يغفر ما فيه من زلل، وأن يمن علينا بالقبول، إنه وحده ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول: دراسات تمهيدية

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أبو البقاء العكبري

المبحث الثاني: القراءات القرآنية وموقف أبي البقاء
منها

المبحث الثالث: علم توجيه القراءات

المبحث الأول: أبو البقاء العكبري

ويضم مطلبين.

المطلب الأول:: سيرة أبي البقاء العكبري.

المطلب الثاني: المكانة العلمية لأبي البقاء.

المطلب الأول: حياة أبي البقاء العكبري (538 – 616)

سأتناول في هذا المطلب سيرة أبي البقاء مشتملة على السيرة الذاتية له، من بيان اسمه ونسبه وتأريخ مولده وشيء من أخبار نشأته، وذكر أخلاقه وشهادات تلامذته ومعاصريه ومترجميه فيه، والكلام على مذهبه، وشيوخه، وتلامذته، وتحديد وفاته وما يتعلق بذلك.

اسمه ونسبه: (1)

هو محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبري الأصل البغدادي المولد والدار، الأزجيّ الضرير الحنبلي؛ وعلى هذا اتفق من ترجم له، ولم يحدث بينهم في ذلك خلاف.

و«العكبري» نسبة إلى «عُكْبَرَا»، وهي بضم العين وسكون الكاف وفتح الباء،⁽²⁾ وحكي أنها بضم الباء أيضا، وقيل يجوز فيها الوجهان،⁽³⁾ وهناك من اقتصر على فتح الباء كابن خلكان⁽⁴⁾ والفيروز أبادي والزيدي⁽⁵⁾ «وهي بليدة على شاطئ دجلة بغداد من الجانب

(1) ينظر في ترجمته: إنباه الرواة (2/ 116 - 118)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (3/ 100 - 102)، سير أعلام النبلاء (91/ 93)، الوافي بالوفيات، للصفدي (764)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1425، 2005م: (12/ 69 - 71)، البداية والنهاية، لابن كثير (774)، مؤسسة التريخ العربي، بيروت، 1413: (12/ 85)، الذيل على طبقات الحنابلة (2/ 109 - 120)، طبقات النحويين واللغويين، للزيدي (379)، تحف محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر: (328 - 331)، كشف الظنون: (5/ 459)، تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تحقيق عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة: (5/ 174 - 176)، الأعلام (4/ 80)، معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414: (2/ 237)، بغية الوعاة: للسيوطي (911)، المكتبة العصرية، بيروت: (2/ 38 - 40)، شذرات الذهب (5/ 69 - 67).

(2) وفيات الأعيان، 3/ 101.

(3) منهج العكبري في شرح الإيضاح: يحيى مير علم، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، دمشق 1992: (1/ 27، 28).

(4) ينظر: وفيات الأعيان: 3/ 100.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس، للزيدي، تحقيق: عبد الستار فراج، طبعة وزارة الإعلام، الكويت: 122/13 (عكبر).

الشرقي فوق مدينة السلام بعشرة فراسخ»⁽¹⁾؛ و«الأزجي» نسبة إلى باب الأزج، وهو «محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار شرقي بغداد، فيها عدة محال، كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة»⁽²⁾، وقد نسبته إليها كثير من أهل التراجم.⁽³⁾

مولده ونشأته:

ولد أبو البقاء العكبري في بغداد أوائل سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة على الأكثر⁽⁴⁾، وذهب قوم إلى أنه ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، فأسقط تحديد وقتها من السنة⁽⁵⁾، وانفرد تلميذه ابن القطيعي - فيما حكى عنه - فجعلها في حدود سنة تسع وثلاثين،⁽⁶⁾ ويغلب على الظن أن هذا لا يصح؛ لأنه يخالف جلّ من أرّخ لولادته.

لم تذكر المصادر التي ترجمت له بالرغم من كثرتها وشهرته أية إشارة إلى أسرته التي عاش في كنفها، ولا إلى أخبار طفولته وشبابه، اللهم إلا ما كان من أخبار تحصيله العلمي في صباه، فقد ذكروا أنه سمع الحديث في صباه، ورواه عن ابن البطي وأبي زرعة؛ وخبر آخر له تأثيره الكبير على أبي البقاء في شخصيته، وكان لها أبعاد الأثر في حياته كلها، وهي إصابته بالجذري «وهي حادثة صباه المشهورة»، التي سلبته نعمة البصر، وحمل من ترجم له على

(1) ينظر: معجم البلدان (4/ 142)، وفيه قال ياقوت: «ومنها شيخي أبو البقاء»، قال: «وقرئ على سارية بجامع عكبرا:

الله درك يا مدينة عكبرا أيا خيار مدينة فوق الثرى
إن كنت لا أم القرى فلقد أرّى أهليك أرباب السماحة والقرى

وهذا مما يدل على أنها كانت مدينة رائعة وجميلة، حيث اشتهرت بالكروم والأعنان والفواكه المختلفة، مما جعلها قبلة لطلاب اللهو.

(2) معجم البلدان: 1/ 168.

(3) طبقات النحاة: 329، بغية الوعاة: 39/ 2، معجم المؤلفين: 237/ 2، الوافي بالوفيات: 69/ 12، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 5/ 17.

(4) طبقات النحاة: 329، بغية الوعاة: 39/ 2.

(5) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 109، وفيه قال ابن رجب: «ولد ببغداد سنة ثمان وثلاثين، هكذا قال غير واحد، وذكر ابن الديبشي أنه سأله عن مولده فقال: سنة ثمان وثلاثين»، وينظر: الوافي بالوفيات: 69/ 12.

(6) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110.

نعتة بالضرير، وأول من نص على ذلك تلميذه ابن النجار،⁽¹⁾ واشتهر هذا القول عنه، وتناقلته المصادر مصرحة بصاحبه ابن النجار⁽²⁾ أو مغفلة له.⁽³⁾

كما تذكر المصادر أن العلم استمر في أسرته من بعده، فابنه أبو محمد عبد الرحمن سمع أكثر مصنفات والده، وابن حفيده الحسن بن محمد بن عبد الرحمن كان من أهل التصنيف.⁽⁴⁾

أخلاقه:

شهد أهل العلم ممن ترجم لأبي البقاء أو عاصره أو أخذ عنه أنه أوفى على الغاية ديناً وخلقا وفضلا وعلمًا، وحث ترجماتهم له ما كان يتحلى به من جميل الصفات وحميد الخصال، وأنه كان صالحا دينًا⁽⁵⁾ ثقة.⁽⁶⁾

قال تلميذه ابن النجار: «قرأت عليه كثيرا من المصنفات، وصحبته مدة طويلة، وكان ثقة صدوقا فيما يحكيه وينقله، غزير الفضل كامل الأوصاف، كثير المحفوظ، متدينا، حسن الأخلاق، متواضعا»؛⁽⁷⁾ قال تلميذه ابن الديلمي: «سمعنا منه ونعم الشيخ كان»،⁽⁸⁾ وذكر الحافظ الذهبي⁽⁹⁾ أنه: «كان ذا حظ من دين وتعب وأوراد».⁽¹⁰⁾

(1) منهج العكبري في شرح الإيضاح: 30 / 1.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1408، 1998م، : 270، والذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(3) الوافي بالوفيات: 70 / 12، البغية: 39 / 2.

(4) ينظر: منهج العكبري في شرح الإيضاح: 39 / 1.

(5) البداية والنهاية لابن كثير (774)، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1413، : 13 / 101.

(6) شذرات الذهب: 5 / 17.

(7) الوافي بالوفيات: 70 / 12، ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 111، البغية: 39 / 2.

(8) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(9) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المؤرخ صاحب التصانيف الكثيرة، ولد بدمشق سنة (673)، كانت له رحلة في طلب العلم، من تصانيفه: سير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال، توفي بدمشق سنة (748)، ينظر في ترجمته: (فوات الوفيات: 3 / 315-317، تاريخ بغداد: 2 / 119).

(10) سير أعلام النبلاء: 22 / 93.

قال الصفدي⁽¹⁾: «كان رقيق القلب، سريع الدمعة»⁽²⁾.

كما كان أبو البقاء مثالا للعالم الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم، فلم تستبد به الأطماع، ولا الشهوات لتذهب بمبادئه وقيمه كما هو شأن من ضعفت نفوسهم، أمام بوارق المغريات، ولا أدل على ذلك من خبر شهير تناقلته كتب التراجم والطبقات، نقلا عن حجة الإسلام الحافظ الذهبي: قال «قرأت بخط السيف ابن المجد، سمعت المرابطي يقول: سمعت الشيخ أبا البقاء النحوي يقول: جاء إلي جماعة من الشافعية فقالوا: انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية؛ فأقسمت وقلت: لو أقمتوني وصببتم علي الذهب حتى أتواري به ما رجعت عن مذهبي»⁽³⁾.

مذهبه:

أبو البقاء سليل أسرة حنبلية، انحدرت من موطنها الأصلي «عُكْبَرَا»، التي كان أهلها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل⁽⁴⁾ رحمه الله،⁽⁵⁾ ولذا نجد أغلب المصادر التي ترجمت له تصفه بـ«الحنبلي»،⁽⁶⁾ أو أنه «تفقه على مذهب أحمد بن حنبل»،⁽⁷⁾ أو أنه: «كان حنبليا»،⁽⁸⁾ وسيأتي في بيان شيوخه أنه أخذ الفقه على أبي الحكيم النهرواني، والقاضي أبي يعلى الصغير شيخ الحنابلة ومفتيهم في وقته، ولازمه حتى برع في المذهب والخلاف والأصول، ولهذا وصفه جل من ترجم له «بالفقيه»،⁽⁹⁾ وكما سيأتي في عرض تلامذته أنه أخذ

(1) هو خليل بن أبيك الشهير بصلاح الدين الصفدي، مؤرخ وأديب ولد سنة (696)، له مؤلفات كثيرة أشهرها الوافي بالوفيات؛ ينظر في ترجمته: (الأعلام: 2/ 315).

(2) الوافي بالوفيات: 12/ 70.

(3) الذيل على طبقات الحنابلة 2/ 111، الوافي بالوفيات: 12/ 69، البغية: 2/ 39.

(4) هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، ولد (164)، له رحلة في طلب العلم، ابتلي بفتنة خلق القرآن، وسجن فيها ثمانية وعشرين شهرا، توفي رحمه الله (240). ينظر في ترجمته: تاريخ دمشق، لابن

عساكر (571)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419، 1998م: 5/ 252.

(5) يدل على ذلك كثرة الأعلام المنسوبين إلى «عُكْبَرَا» في طبقات الحنابلة، الذيل على الطبقات، ينظر فهارس الكتابين.

(6) شذرات الذهب: 5/ 17، وفیات الأعيان: 3/ 100، الوافي بالوفيات: 12/ 69، البداية والنهاية: 13/ 101، كشف الظنون: لحاجي خليفة (1067)، دار الفكر، بيروت، 1410، 1990م: 5/ 459.

(7) إنباء الرواة: 2/ 117.

(8) منهج العكبري في شرح الإيضاح: 1/ 50، نقلا عن المختصر في أخبار البشر لابن كثير.

(9) بغية الوعاة: 2/ 38، الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 109.

الفقه عليه جماعة منهم الموفق بن صدفة، والحافظ المقدسي وغيرهما، كما اشتهر عنه أنه أقرأ الفقه والخلاف⁽¹⁾، وصنف فيهما غير ما كتاب ومن ذلك: «شرح لغة الفقه»، «شرح الهداية»، وغير ذلك مما سيأتي في عرض كتبه.

وفاته:

تجمع المصادر قديمها وحديثها على أن وفاة أبي البقاء كانت ببغداد سنة 616، وجل تلك المصادر أرختها بـ «ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر»⁽²⁾، وهذا يوافق ما ذكره البعض من أنها كانت في «ليلة يسفر صباحها عن تاسع شهر ربيع الآخر»⁽³⁾، واختصر الذهبي فأسقط التاريخ بالليلة، فأصبحت ثامن ربيع الآخر⁽⁴⁾، واقتصر بعض المؤرخين على الشهر وحده فأرخها بـ «ربيع الآخر»⁽⁵⁾، واقتصر بعض المؤرخين على السنة وحدها،⁽⁶⁾ كما تذكر المصادر أنه دفن من الغد بباب حرب⁽⁷⁾، وحدده ابن رجب أنه بمقبرة الإمام أحمد رحمه الله⁽⁸⁾ وصُلِّيَ عليه بمدرسة ابن الجوزي بدرب دينار الكبير⁽⁹⁾، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء.

(1) طبقات النحاة، لابن قاضي شهاب (851)، تحقيق: محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف، 1974م، 331:، البغية: 38/2.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 101، الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 113، البغية: 2/ 39، شذرات الذهب: 5/ 69.

(3) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي (749)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417، 1997م : 1/ 104.

(4) سير أعلام النبلاء: 22/ 93.

(5) طبقات النحاة: 331، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، : 6/ 246.

(6) ينظر: الكامل في التاريخ: 12/ 357، الوافي بالوفيات: 12/ 69، البداية والنهاية: 13/ 101، كشف الظنون: 5/ 459.

(7) شذرات الذهب: 5/ 17.

(8) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 113.

(9) طبقات النحاة: 331، وينظر : وفيات الأعيان: 2/ 286.

المطلب الثالث: ثقافة أبي البقاء

ازدهر النشاط العلمي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وراجت في ذلك سوق الفكر والثقافة، وقد ساعد على ذلك وفرة دور العلم «المدارس» والمكتبات، وانتشار حلقات الدرس في المساجد، ومجانية التعليم، ونشاط حركة الترجمة عن اليونانية، وتقديم الطب وانتشاره، وكثرة مجالس المناظرات العلمية والفلسفية، ومشاركة النساء في حضور مجالس العلم، ومما أعان على ذلك أيضا كثرة الثروات واستبحار العمران، وازدهار الوراقة بتقدم العلوم والفنون حتى أصبحت مهنة الوراقة من المهن المرموقة، وكان لها سوق تباع فيها الكتب وتستنسخ، كما أعان على ذلك ظهور الفرق التي اتخذت من العلم والثقافة وسيلة لتحقيق أغراضها المختلفة.

وكان من أبرز دور الثقافة في عصر السلاجقة المساجد، التي كان لها أكبر الأثر في النهضة العلمية، فقد غصت بحلقات العلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين واللغويين والنحويين والمؤرخين في بغداد وغيرها من مختلف الحواضر الإسلامية، وكان جامع المنصور ببغداد بمثابة جامعة كبرى، ومن المساجد التي كانت من أهم مراكز الثقافة المسجد الأزهر في عهد الفاطميين، ومسجد القرويين بفاس، وغيرها من المساجد التي كانت في كل الحواضر الإسلامية.

أما دور العلم فقد كان لها أثر كبير وشأن خطير في ذلك العصر، إذ عُني الملوك والوزراء ببنائها والقيام عليها، فقد شيد نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي (465-485) عدة مدارس في بغداد والموصل وإيران، عرفت بالمدارس النظامية، وألحق بها مكتبات ضخمة، ومسكن لمن يقوم على التدريس بها، وجعل لها أوقافا، وأصبح لها من الشهرة ما جعل أصحاب التراجم ينصّون في ترجماتهم على كل من درس فيها، واتجه نظار تلك المدارس إلى العلماء بإغراءاتهم المختلفة ليدرسوا بتلك المدارس كما حدث لأبي البقاء مع الشافعية.⁽¹⁾

(1) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (795)، دار المعرفة، بيروت، د.ت: 4 / 111، وسيأتي تفاصيل هذه القصة فيما بعد.

وكما هو الأمر عند صلاح الدين الذي بني في مصر الناصريّة والسيفيّة، وتبعهم في ذلك الوزراء كالقاضي الفاضل⁽¹⁾ الذي بنى المدرسة الفاضليّة، التي احتوت مائة ألف مجلد، وكتاج الملك أبي الغنائم الذي شيّد المدرسة التاجيّة في بغداد؛ ولم يقتصر الأمر على الوزراء والسلّاطين، وإنما تعدى ذلك إلى الأغنياء والموسرين، كالمستوفى الخوارزمي الذي بنى المدرسة الكبيرة بباب الطاق،⁽²⁾ وكذلك الحال عند نور الدين زنكي الذي شيّد عدة مدارس في حلب ودمشق وغيرها.

وفي القرن السابع بنى الخليفة المستنصر (623-640) مدرسة المستنصرية في بغداد، وازداد الاهتمام بالمدارس وإنشائها حتى بلغ عددها في شرقي بغداد إلى ثلاثين مدرسة عندما زارها ابن جبير سنة (580).

كان إلى جانب تلك المساجد والمدارس مكتبات ضخمة ألحقت بها، ازداد نشاطها بنشاط حركة التأليف والترجمة وتقدم صناعة الورق، ومن بين تلك المكتبات بيت الحكمة الذي وضع أساسه الخليفة هارون الرشيد ثم ألحق به المأمون مرصدا فلكيا.

كذلك من المكتبات العامة مكتبة دار العلم الفاطمية، ومكتبة القصر الشرقي بالقاهرة، كما كانت هناك مكتبات خاصة مشهورة كمكتبة مؤيد الدين بن العلقمي (656) الذي كان وزيرا للمعتصم، قيل إن خزانته اشتملت على أكثر من عشرة آلاف مجلد، وله صنف ابن أبي الحديد «شرح نهج البلاغة»، وقد بقي هذا النشاط العلمي مزدهرا، حتى أتت سيول المغول بمساعدة الوزير ابن العلقمي فقضت عليه وأحرقت الكتب والمكتبات ورمت بها في دجلة، وقضت على الخلافة العباسية.

(1) هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل: ولد سنة بعسقلان (فلسطين) سنة 529 وانتقل إلى الاسكندرية، ثم إلى القاهرة، كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقربيه، ولم يخدم بعده أحدا، وكان السلطان صلاح الدين يقول: « لا تظنوا أنني ملكت البلاد بسيفكم بل بقلم القاضي الفاضل »، وكان سريع الخاطر في الانشاء، كثير الرسائل، توفي بالقاهرة 596، ينظر في ترجمته: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 6/ 156 وفيات الأعيان: 1/ 284).

(2) الطاق: ما عطف من الأبنية، يقال للحصن، وهو فارسي معرّب، (ينظر: لسان العرب، لابن منظور (711)، دار صادر بيروت، ط2، 1417، 1997م: 10/ 231، طوق)، وباب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق أسماء، بالجانب الشرقي من بغداد ينسب إلى أسماء بنت المنصور. ينظر: معجم البلدان، 1/ 205.

الدراسات اللغوية والنحوية:

شهدت الثقافة والعلوم ازدهارا في ذلك العصر، وطبيعي جدا أن يشمل هذا الازدهار علوم العربية والدين، فكثر عدد النابهين في اللغة والنحو، وتنامت مصنفاتهم تتزايد حتى خرجت عن الحصر أو كاد، ومن الطبيعي أن يكون حظ الأقدمين من تلك الجهود وافرا، فكثير من تلك المؤلفات قامت على خدمة المشهور من آثارهم شرحا لها أو لشواهدا أو تحشية عليها، أو اختصارا أو تهذيبا أو اعتراضا.

وأهم تلك الأصول التي حظيت باهتمام علماء هذا العصر: «الكتاب»، و«المقتضب»، و«الجمال»، و«الكافي» للنحاس، و«اللمع»، و«المفصل»، و«الفصيح»، و«إصلاح المنطق»؛ وأقرب مثال على ذلك: أبو البقاء العكبري الذي صنف ما يقرب من ثلاثة وعشرين كتابا وقفها على جل الكتب المتقدمة شرحا واختصارا.

ظهر في هذا العصر اهتمام زائد بالفارسي،⁽¹⁾ وابن جني⁽²⁾، ويمكن أن يكون أبو البقاء نفسه مثالا لهذا عند المشاركة، فقد شرح ثلاثة كتب للفارسي هي: «الإيضاح»، و«التكملة»، و«أبيات الإيضاح»، ولخص كتاب «أبيات الشعر»، وشرح «اللمع» لابن جني، واختصر له كتابين «التنبيه على مشكل شعر المتنبي»، و«المحتسب»، وكما كانت كتب الأقدمين في المشرق تنال حظها أو يزيد كانت كذلك في المغرب، فقد كان ابن الباذش⁽³⁾ على سبيل المثال كلفا بشرح كتب المشاركة مثل: «الكتاب»، و«المقتضب»، و«الأصول»، و«الجمال»، و«الإيضاح»، و«الكافي»، ونتج عن هذا الاهتمام أن حمل بعض النحاة على كتب أبي علي

(1) هو الحسن بن أحمد، أبو علي الفارسي، (288-377) أحد أئمة اللغة، وله فيها مصنفات نفيسة، منها: الإيضاح، والتذكرة، والحجة للقراءات، ينظر في ترجمته: (وفيات الأعيان: 1/ 131، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1: 1986م : 1/ 273، نزهة الألبا في طبقات الأدباء، للأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405، 1985م : 387).

(2) هو أبو الفتح عثمان بن جني، أبوه رومي الأصل، تتلمذ على أبي علي الفارسي ولازمه، وتصدر مكانه بعد وفاته، ألف مصنفات عديدة منها: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحتسب، توفي سنة (392)، ينظر في ترجمته: (وفيات الأعيان: 1/ 313، نزهة الألبا: 406، شذرات الذهب: 3/ 140).

(3) هو علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (444-528)، من علماء العربية بالأندلس، ولد بغرناطة وبها توفي، من مصنفاته: شرح كتاب سيبويه، شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، ينظر في ترجمته: (إنباه الرواة: 2/ 227).

الفارسي وابن جني، وعلى كل من يهتم بهما ويعدل عن «الكتاب»، وكان ابن الطراوة⁽¹⁾ أشد هؤلاء.

كما تميز هذا العصر بزيادة الاهتمام بالنقد النحوي العام والخاص، فالأول يمثلته ابن مضاء القرطبي⁽²⁾ الذي دعا في كتابه «الرد على النحاة» إلى تجريد النحو من العامل، وكثير من ضروب التعليل والقياس والتمارين غير العملية.

والنقد الخاص هو ما كان بين النحاة أنفسهم، فابن الطراوة ينقد الفارسي في كتابه «الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح»، وابن السيد البطليوسي⁽³⁾ ينقد الزجاجي⁽⁴⁾ في كتابه «إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل»، وغير ذلك.

وظهرت في القرن السابع قضية الاستشهاد بالحديث الشريف في الأندلس، أثارها ابن الضائع⁽⁵⁾ الذي يعد أول من رد الاستشهاد به، وصنف في من احتج به، وقد تبعه في ذلك تلميذه أبو حيان، وبالمقابل كان ابن الطراوة وابن خروف،⁽⁶⁾ اللذين أكثرا من الاحتجاج به.

(1) هو سليمان بن محمد بن عبد الله المالقي (528)، من علماء العربية بالأندلس، له رحلة في الأندلس، من مصنفاته: المقدمات على كتاب سيبويه؛ ينظر في ترجمته: (الأعلام: 3/ 132).

(2) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي القرطبي (511-592)، عالم بالعربية، وله مشاركة في الطب والهندسة والحساب، من مصنفاته: الرد على النحاة، ينظر في ترجمة ابن مضاء: (الأعلام: 1/ 147).

(3) هو عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، ولد في بطليوس بالأندلس سنة (444)، وانتقل إلى بلنسية وبقي بها إلى أن توفي سنة (521)، من مؤلفاته: شرح سقط الزند؛ قيل فيه أنه أفضل من شرح المعري، وله أيضا المثلث في اللغة، الحلل في شرح أبيات الجمل؛ ينظر في ترجمته: (وفيات الأعيان: 3/ 96، شذرات الذهب: 4/ 64).

(4) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، شيخ العربية في عصره، كانت له رحلة من نهاوند مسقط رأسه إلى بغداد يتعلم فيها ثم استوطن دمشق بعد ما رحل إلى طبرية اتي كانت منيته بها سنة (337)، ومن مصنفاته: الجمل الكبرى التي تعاقب عليها العلماء بالشرح، والإيضاح في علل النحو؛ ينظر في ترجمته (الأعلام: 3/ 299).

(5) هو أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الإشبيلي، من علماء العربية بالأندلس، من مصنفاته: شرح كتاب سيبويه، والرد على ابن عصفور، توفي سنة (680)؛ ينظر في ترجمته: (بغية الوعاة: 2/ 109).

(6) أبو الحسن علي بن محمد الحضرمي، من إشبيلية، كان ينتقل في البلاد من بلد إلى أخرى، وكان كثير الردود على معاصريه، من مؤلفاته: شرح لكتاب سيبويه أسماء تنقيح الأبواب في شرح غوامض الكتاب، أهداه إلى سلطان المغرب فأعطاه ألف دينار، توفي سنة (609)، وينظر في ترجمة ابن خروف النحوي: (وفيات الأعيان: 3/ 335، معجم الأدباء: 15/ 75)، وتذكر بعض المصادر أنه اختل عقله آخر عمره، وهذا ليس بصحيح، وإنما نسب ذلك إليه في فوات الوفيات على طريق الخلط بينه وبين ابن خروف الشاعر: علي بن محمد بن يوسف، الذي ذكر عنه أنه اختل بأخرة، ومات

وما تقدم هو عرض موجز لطبيعة النشاط العلمي في علوم العربية عموماً والنحو واللغة خصوصاً، ضمن حدود القرنين السادس والسابع، ومما لاشك فيه أن التوقف بالدرس والتحليل عند أحد أعلام اللغة في ذلك العصر سيزيدنا شوقاً إلى معرفة المزيد عنهم، ويزيد من جلاء صورة ذلك النشاط العلمي.

ثقافة أبي البقاء:

تستند شهرة أبي البقاء أساساً إلى شخصيته العلمية وإمامته في علوم عصره، ووفرة آثاره وشيوخه وتلامذته، وسأتناول في هذا المطلب دراسة جوانب هذه الشخصية.

استفاد أبو البقاء من حياته التي استغرقت نحواً من ثمانية عقود أيما استفادة، شغلها - كلها - في العلم، إما تحصيلاً أو إقراءً أو تصنيفاً، الأمر الذي جعله في عداد المكثرين؛ إذ بلغت مؤلفاته قرابة الستين مؤلفاً.⁽¹⁾

وليس هذا بغريب على أبي البقاء، فقد روت المصادر شيئاً من أخبار دأبه على العلم، وانقطاعه له بشكل منقطع النظير، يصدق ما ذكر آنفاً؛ من ذلك ما حكاه ابن رجب عن تلميذه ابن النجار أنه « كان محباً للاشتغال والأشغال ليلاً ونهاراً، ما يمضي عليه ساعة إلا وواحد يقرأ عليه أو يطالع له، حتى ذكر لي أنه بالليل تقرأ له زوجته كتب الأدب وغيرها ».⁽²⁾

وهذا الخبر يسوقنا إلى شيء مهم، وهو أن زوجته كان لها دور كبير في شخصيته العلمية؛ إذ كان يستعين بها في التحصيل ليلاً بعد أن ينفذ عنه طلابه الذين كانوا يساعده أيضاً في التحصيل العلمي، فيحضرون إليه ما يريد من كتب، ويقرؤون عليه منها، ثم يكتبون ما يمليه عليهم بعد أن يحصله في خاطره، وهذه هي طريقته في التأليف التي اشتهرت عنه

متريداً في بئر في حوالي سنة (620) بجلب، ينظر: فوات الوفيات لابن شاکر الکتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1976م : 3 / 84.

(1) أجرى الدكتور عبد الإله نبهان إحصاءاً لمؤلفات أبي البقاء، فوجدها خمسة وخمسين مؤلفاً. ينظر: إعراب الحديث النبوي، للعكبري، تحقيق: عبد الإله نبهان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1408: 13.

(2) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110، وينظر: الوافي بالوفيات: 12 / 69، شذرات الذهب: 5 / 68.

وتناقلتها المصادر، قال القفطي: « وكان رحمه الله إذا أراد التصنيف أُخْصِرَتْ له المصنفات في ذلك الفن، وقرئ عليه منها، فإذا حصله في خاطره أملاه». (1)

كانت حاجة أبي البقاء إلى تلاميذه تقتضي منه أن يكون تَبَعًا لهم فيما يقرؤونه عليه، « وما أحسن ما وصفه به بعض الأدباء فقال: أبو البقاء تلميذٌ تلاميذه، أي هو تبع لهم فيما يلقونه عليه من القراءة عند الجمع من كلام المتقدمين »؛ (2) الأمر الذي جعل القفطي يأخذ عليه إخلاله بالمحتاج إليه؛ قال: « فكان يخل كثيرا من المحتاج إليه». (3)

والأمر الذي يستدعي إمعان النظر والانتباه هنا أن القفطي انفرد من بين من ترجم لأبي البقاء - حسب علمي - في كونه يخل بالمحتاج إليه، أما المصادر الأخرى فقد اقتصرَت على ما نسب إلى بعض الأدباء « أبو البقاء تلميذ تلاميذه» (4) مشفوعة بمرادهم منها، « يعني هو تبع لهم فيما يقرؤون له ويكتبون» (5)، أو « فيما يلقون عليه». (6)

كذلك انفرد القفطي بخبر آخر وهو أن شاعرا عاب أبا البقاء اعتماده على الكتاب فيما يقرأ له من آثار بأبيات منها:

وأبو البقاء عن الكتاب مخبرا وتراه إن عدم الكتاب مُحَيَّرًا (7)

مكانته العلمية:

تنامت شهرة أبي البقاء بما اجتمع له من طول العمر وكثرة في التصنيف وقوة في الإرادة، جعلته يدأب على وصل ليله بنهاره تعلما وإقراء وتأليفًا، حتى اشتهر اسمه في البلاد وهو حي،

(1) إنباه الرواة: 2 / 118، وينظر: سير أعلام النبلاء: 22 / 93، الوافي بالوفيات: 12 / 69، الذيل على طبقات الحنابلة: 110/2، شذرات الذهب: 5 / 68.

(2) إنباه الرواة: 2 / 118.

(3) المصدر السابق

(4) سير أعلام النبلاء: 22 / 93، وينظر: الوافي بالوفيات: 12 / 70، الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(5) ينظر: سير أعلام النبلاء: 22 / 93.

(6) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(7) إنباه الرواة: 2 / 118، ونسب الشعر إلى داود بن يحيى الملهمي، ولم أقف على ترجمة له.

وبعد صيته،⁽¹⁾ فغدا مقصد الناس من الأقطار ومُرتَحَل طُلاب العلم، وكان من شهرته أن بلغت الرؤساء والحكام كما قيل: « وله تردد إلى الرؤساء لتعليم الأدب ». ⁽²⁾

وكان من أسباب هذه الشهرة ما عرف به من ثقافة شهد بها طلابه، قال أحدهم: « كان جماعة لفنون العلم » ⁽³⁾ « وكان مُتَفَنًّا فيها » ⁽⁴⁾ وذكر ابن رجب ⁽⁵⁾ أنه « برع في فنون عديدة من العلم » ⁽⁶⁾ أجمالها بعضهم فقال: « المذهب والخلاف والأصول » ⁽⁷⁾ وجمعها الذهبي في « الفقه والأصول » ⁽⁸⁾ كما كانت له معرفة وإمام بعلوم الحديث والقرآن والجبر والمقابلة وغوامض العربية، وبلغ من علو كعبه في علوم عصره أن الإمامة انتهت إليه في كثير من العلوم، قال ناصح الدين بن الحنبلي: « كان إماما في علوم القرآن، إماما في الفقه، إماما في اللغة، إماما في النحو، إماما في العروض، إماما في الفرائض، إماما في الحساب، إماما في معرفة المذهب، إماما في المسائل النظرية، وله في هذه الأنواع من العلوم مصنفات مشهورة ». ⁽⁹⁾

وإمامته في هذه العلوم جعلته موضع الفتوى فيها بلا منازع؛ نص على ذلك تلميذه ابن أبي الجيوش عندما قال: « كان يفتي في تسعة علوم، وكان واحد زمانه في النحو واللغة والحساب والفرائض والجبر والمقابلة والفقه وإعراب القرآن والقراءات الشاذة وله في كل هذه العلوم تصانيف كبار وصغار ومتوسطات ». ⁽¹⁰⁾

(1) ينظر: وفيات الأعيان: 3 / 101.

(2) ينظر: بغية الوعاة: 2 / 38، الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(3) إنباه الرواة: 2 / 116.

(4) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(5) هو الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلمي البغدادي الدمشقي، ولد ببغداد سنة (736)، له مشاركة في الحديث والطبقات، من أشهر مصنفاته: جامع العلوم والحكم، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الذيل على طبقات الحنابلة، توفي في دمشق سنة (795)، ينظر في ترجمته: (شذرات الذهب: 6 / 339).

(6) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(7) طبقات النحاة: 329.

(8) سير أعلام النبلاء: 22 / 93، وينظر: الوافي بالوفيات: 12 / 70.

(9) شذرات الذهب: 5 / 67، وينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(10) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110، شذرات الذهب: 5 / 68.

وذاعت شهرته وطار اسمه في الآفاق وعلا صيته حتى قيل عنه: « لم يكن في آخر عمره مثله في فنونه »،⁽¹⁾ ونقل ابن رجب عن تلميذه ابن النجار أنه: « بقي مدة من عمره فقيد النظر، متوحداً في فنونه التي جمعها من علوم الشريعة والآداب والحساب »،⁽²⁾ ولعل في هذا ما يفسر سبب تقديم شيخه ابن الجوزي له، واختياره معيدا له في المدرسة وفَرَعَهُ إليه فيما يشكل عليه من الأدب، قال ابن رجب: « كان معيدا لأبي الفرج بن الجوزي في المدرسة »⁽³⁾، وذكر الصفي أن أبا الفرج الجوزي كان يفرع إليه فيما يشكل عليه من الأدب.⁽⁴⁾

كما نجد أن المصادر التي ترجمت لأبي البقاء تحوي دلائل أخرى على رسوخ قدمه في تلك العلوم؛ ومن ذلك نسبته إليها، خصوصا النحو، الذي كادت المصادر تجمع على نعته بـ «النحوي»⁽⁵⁾، وزاد ابن خلكان واليافعي أنه: « كان الغالب عليه علم النحو »⁽⁶⁾، ووصفه البعض بالمعرب لتصنيفه كتباً في الإعراب يأتي في مقدمتها «إعراب القرآن» الذي أضافه المترجمون إليه على عادتهم في إضافتهم إلى الرجل أشهر آثاره، فقالوا: «صاحب الإعراب»⁽⁷⁾ وكذلك نسبه كثير من مترجميه إلى اللغة فدعوه بـ«اللغوي»⁽⁸⁾ إذ كان إماماً فيها وله فيها عدة كتب، كذلك نسب إلى العروض، فقد ألف فيه، فدَعَوُهُ بـ«العروضي»⁽⁹⁾، وبلغ من تمكنه وتقدمه وإمامه بعلم عصره أنه فاق أقرانه من معاصريه، فقد قيل فيه «حاز قصب السبق في العربية»⁽¹⁰⁾، وزاد السيوطي فقال: « صار فيها من الرؤساء المتقدمين ».⁽¹¹⁾

(1) وفيات الأعيان: 3/ 100.

(2) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110،

(3) وفيات الأعيان: 3/ 100، وينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110.

(4) ينظر: شذرات الذهب: 5/ 68.

(5) الكامل في التاريخ: 12/ 357.

(6) وفيات الأعيان: 3/ 100، مرآة الجنان: 4/ 32.

(7) طبقات النحاة: 329، بغية الوعاة: 2/ 38.

(8) المختصر في أخبار البشر لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، د.ت. : 3/ 124، الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 109، طبقات النحاة: 328.

(9) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 109.

(10) سير أعلام النبلاء، للذهبي: 22/ 93، وينظر: الوافي بالوفيات: 70/12، البغية: 2/ 38، شذرات الذهب: 5/ 67.

(11) بغية الوعاة: 2/ 38.

لم تكن شهرته رهينة علوم العربية فحسب؛ إذ تعدّتها إلى علوم أخرى كعلوم الدين التي اشتهر فيها كشهرة في علوم اللغة أو قريباً منها، فكان الغاية في علم الفرائض، حمل بعض من ترجم له نعتَه بـ «الفرضي»⁽¹⁾ وكان شيخ وقته في معرفة الفرائض والحساب،⁽²⁾ ناهيك عن المذهب والفقه فقد درسهما وصنف فيهما غير ما كتّاب، وقد نعتَه كثير ممن ترجم له بـ «الفقيه»⁽³⁾، وكذا كان شأنه في التفسير والقراءات شهرة وإقراءً وتصنيفاً، مما حملهم على نعتَه بـ «المقرئ»⁽⁴⁾، «المفسر»⁽⁵⁾.

كما لم تقتصر شهرته على علوم العربية والشريعة بل كانت له اليد الطولى في علوم أخرى كالحساب، ذكر ابن رجب أنه واحد زمانه في علوم منها الحساب والجبر والمقابلة⁽⁶⁾ كما نص على ذلك تلميذه ابن أبي الجيوش،⁽⁷⁾ ووصفه ابن خلكان وغيره بـ «الحاسب»⁽⁸⁾.

شيوخه:

أخذ أبو البقاء علوم العربية والشريعة عن كبار علماء بغداد في عصره، ولم يتهيأ له أن يأخذ عن غيرهم ممن هم خارج بغداد، إذ لم تكن له رحلة في الطلب شأنه شأن كثير من العلماء ذلك الوقت، ويبدو أن عماه وراء ذلك، ولعل أهم الأسباب التي كانت وراء عدم رحلة العلماء والطلاب في طلب العلم هو انشغالهم بحلقات العلم التي كانت تغص بها المساجد والمدارس العلمية آنذاك، فلم يعد ثمة جدوى للخروج والحلّق تملأ مساجد بغداد.

(1) ينظر في ذلك: إنباه الرواة: 2/ 116، الوافي بالوفيات: 12/ 70، شذرات الذهب: 5/ 68.

(2) ذيل تاريخ بغداد: لابن النجار البغدادي (643)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417، 1997م: 4/ 98.

(3) إنباه الرواة: 2/ 116، وفيات الأعيان: 3/ 100، الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 109، طبقات النحاة، لابن قاضي شهبه (851)، تحقيق: محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف، 1974م: 328.

(4) ينظر: المصادر الثلاثة الأخيرة من الحاشية السابقة.

(5) المصادر السابقة

(6) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110.

(7) المصدر السابق، وينظر: شذرات الذهب: 5/ 68.

(8) وفيات الأعيان: 3/ 100، وينظر: طبقات النحاة: 328.

وقد درج أبو البقاء على الاختلاف إلى مجالس العم منذ صباه، قال الصفدي: «سمع في صباه»⁽¹⁾، وهذه قائمة ذكرت فيها ما ذكرته المصادر من شيوخه - حسب اطلاعي - اقتصرتها فيها على ما لا بد منه، وراعت في ذلك تقديم أقدمهم وفاة.

1. أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني الحنبلي (480-556):⁽²⁾

أحد أئمة بغداد، كان عالما بالمذهب والخلاف والفرائض، شيخ ابن الجوزي، أنشأ مدرسة بباب الأرح، لازمه أبو البقاء وأخذ عنه القرآن⁽³⁾ وتفقه عليه⁽⁴⁾.

2. الوزير ابن هبيرة (499-560)⁽⁵⁾

هو أبو المظفر يحيى بن محمد الحنبلي، كان وزيرا للمقتفي لأمر الله سنة (544)، ولابنه المستجد بالله، سمع أبو البقاء منه الحديث، قال ابن رجب: «وسمع الحديث من.... وابن هبيرة الوزير»⁽⁶⁾

3. ابن الفراء القاضي البغدادي (494-560)⁽⁷⁾

هو القاضي أبو يعلى الصغير محمد بن أحمد بن الفراء البغدادي، شيخ الحنابلة ومفتيهم في وقته، تفقه عليه العكبري ولازمه حتى برع في المذهب والخلاف والأصول⁽⁸⁾.

4. ابن البطي (477-564)⁽⁹⁾

-
- (1) ينظر: الوافي بالوفيات: 3/ 310، وتتمة كلامه «.... من أبي الفتح بن البطي وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وأبي بكر عبد الله بن النقور وأبي العباس محمد بن المرقعاتي وغيرهم».
 - (2) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: 20/ 296، الذيل على طبقات الحنابلة: 1/ 239-241، مرآة الجنان: 3/ 310
 - (3) شذرات الذهب: 4/ 176.
 - (4) ينظر: سير أعلام النبلاء: 22/ 93، الوافي بالوفيات: 12/ 70، الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110.
 - (5) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: 20/ 426-432، الذيل على طبقات الحنابلة: 1/ 251.
 - (6) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110.
 - (7) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: 20/ 353، 354، ذيل طبقات الحنابلة: 1/ 244، شذرات الذهب: 4/ 196.
 - (8) ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 70.
 - (9) ينظر في ترجمته: شذرات الذهب: 4/ 242، سير أعلام النبلاء: 20/ 481-484.

هو أبو الفتح محمد بن عبد الباقي البغدادي الحاجب، مُسْنِدُ العراق وشيخ أهل بغداد في زمانه، سمع منه أبو البقاء في صباه.

5. ابن النُّقُور البَزَّاز (483-565) ⁽¹⁾

هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن النقور البغدادي البزاز، محدث، سمع منه خلق كثير، تلقى منه العكبري الحديث في صباه. ⁽²⁾

6. أبو زُرْعَةَ (481-566) ⁽³⁾

هو طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، صاحب حديث، مُسْنِدُ، وصفه الذهبي بالخير، حدث عنه كثيرون، من أهل الري، كان يمر ببغداد في طريقه إلى الحج، ويحدث بها، ذكر أنه حج أكثر من عشرين حجة، سمع منه أبو البقاء في صباه. ⁽⁴⁾

7. ابن الخشَّاب (492-567) ⁽⁵⁾

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب، أحد أئمة النحو، قيل فيه إنه بلغ رتبة أبي علي الفارسي، أخذ عنه أبو البقاء النحو والقراءات والعربية، قال الذهبي: « وقرأ بالروايات.....والعربية على ابن الخشاب »، ⁽⁶⁾ وتأدب عليه ⁽⁷⁾

8. أبو البركات يحيى بن نجاح (569-...) ⁽⁸⁾

مؤدب، أديب، شاعر، أحد أئمة العربية في عصره، كان غزير الفضل، أخذ العكبري عنه القراءات، والنحو، قال الذهبي: « وقرأ النحو على ابن الخشاب وأبي البركات بن نجاح ». ⁽¹⁾

(1) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: 20 / 498-499. مرآة الجنان: 3 / 378.

(2) ينظر: الوافي بالوفيات: 12 / 70، الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110،

(3) ينظر في ترجمته: وفيات الأعيان: 4 / 288، شذرات الذهب: 4 / 217، سير أعلام النبلاء: 20 / 503، 504.

(4) ينظر: سير أعلام النبلاء: 22 / 93، بغية الوعاة: 2 / 39، الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(5) ترجمته في: وفيات الأعيان: 4 / 288، سير أعلام النبلاء: 20 / 523-527، الذيل على طبقات الحنابلة: 1 / 316-

323، إنباه الرواة: 2 / 99، بغية الوعاة: 2 / 29، معجم الأدباء: 12 / 47، معجم المؤلفين: 6 / 20، الأعلام: 4 / 67.

(6) سير أعلام النبلاء: 20 / 526، وينظر: بغية الوعاة: 2 / 38.

(7) ينظر: شذرات الذهب: 5 / 67.

(8) ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة: 1 / 331-333، شذرات الذهب: 4 / 236.

9. ابن عساكر البَطَّاحي (489-572) ⁽²⁾

المقرئ أبو الحسن علي بن عساكر بن المرجَّب بن العوام البَطَّاحي الضرير، مقرئ العراق في وقته، وكان عالماً بالعربية، إماماً في السنة، ⁽³⁾ قرأ العكبري القرآن عليه، ⁽⁴⁾ وتذكر المصادر أنه قرأ القراءات عليه أيضاً. ⁽⁵⁾

(1) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(2) ينظر في ترجمته: إنباه الرواة: 2 / 298، سير أعلام النبلاء: 22 / 93، معجم الأدباء: 14 / 61، بغية الوعاة: 2 / 179، شذرات الذهب: 4 / 242.

(3) سير أعلام النبلاء: 20 / 549.

(4) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110.

(5) ينظر: طبقات النحاة: 329، شذرات الذهب: 5 / 67.

10. ابن العَصَّار (508-576)⁽¹⁾

هو أبو الحسن علي بن عبد الرحيم بن العصار السلمي البغدادي، لغوي أديب، كانت له رحلة في طلب العلم، كان عجباً في اللغة، ثبتاً في النقل، أخذ اللغة عن ابن بري⁽²⁾ بمصر، أخذ عنه أبو البقاء اللغة،⁽³⁾ وذكر الصفدي أنه قرأ عليه الأدب.⁽⁴⁾

11. ابن الجوزي (510-597)

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، صاحب التصانيف، ورأس الوعظ في عصره، كان أبو البقاء معيداً له في المدرسة التي عرفت باسمه، كما نص على ذلك كثير ممن ترجم له.⁽⁵⁾

ولم تقتصر مشيخة أبي البقاء على ما تقدم من شيوخ بل أخذ عن غيرهم ممن دُرِسَتْ أسماؤهم، وأغفلت ذكرهم المصادر اكتفاء بذكر الأشهر، والذي يدل على ذلك قول مترجميه في ذكر مشايخه: « وأخذ عن وآخرين » « وجماعة »،⁽⁶⁾ « وأخذ منهم ومن غيرهم »، « وطائفة »،⁽⁷⁾ « وخلق »،⁽⁸⁾ و « روى عن مشايخ زمانه »،⁽⁹⁾ و « أخذ النحو عن ابن الخشاب وغيره »،⁽¹⁰⁾ وأبان هذا الأمر ابنُ خلكان عندما قال: « وأخذ النحو عن أبي محمد وغيره من مشايخ عصره ببغداد ».⁽¹¹⁾

(1) ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110.

(2) أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي الاصل المصري، من علماء العربية النابهيين، ولد سنة (499) من مؤلفاته: الرد على ابن الخشاب، شرح شواهد الإيضاح، توفي بمصر سنة (582)، ينظر ترجمته في: (وفيات الأعيان: 3/ 109، إنباه الرواة: 2/ 110).

(3) الوافي بالوفيات: 12/ 70.

(4) الوافي بالوفيات: 12/ 70.

(5) سير أعلام النبلاء: 21/ 365-483، وينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110، شذرات الذهب: 5/ 68.

(6) سير أعلام النبلاء: 16/ 116.

(7) شذرات الذهب: 5/ 67.

(8) بغية الوعاة: 2/ 39.

(9) إنباه الرواة: 2/ 116.

(10) المصدر السابق.

(11) وفيات الأعيان: 3/ 100.

يظهر مما سبق وفرة شيوخ أبي البقاء الذين أخذ عنهم، ولا يبعد أن يكون ما لم يذكر منهم صريحاً أكثر مما ذكر، بدلالة تصريح بعضهم أنه روى عن مشايخ زمانه، يضاف إلى ذلك أن ما نصت عليه المصادر من ذكر لشيوخه يقتصر على بعض العلوم التي عرف بها كالحديث والقرآن والعربية دون غيرها من العلوم التسعة التي كانت له الإمامة والفتوى فيها، كالحساب والجبر والمقابلة والمسائل النظرية...؛ مما يدل أوضح الدلالة أن هنالك آخرين في بغداد أخذ عنهم أبو البقاء لم نعرفهم ولم تذكرهم المصادر التي بأيدينا اليوم.

تلامذته:

1. سيف الدين المقدسي (557-586) ⁽¹⁾

أبو القاسم عبد الله بن عمر فقيه حنبلي، كان ذا ورع وحسن خلق، قرأ النحو على أبي البقاء، شرع هو وأبو البقاء في تصنيف كتاب في العربية، توفي شاباً. ⁽²⁾

2. أبو الفتح محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (566-613) ⁽³⁾

فقيه حنبلي، ويلقب بعز الدين، والده تقي الدين المقدسي، قرأ اللغة والفقه على أبي البقاء، كانت له رحلة في طلب العلم، قال الذهبي: «وأقام ببغداد يقرأ شيئاً من الفقه واللغة على الشيخ أبي البقاء». ⁽⁴⁾

3. أبو العباس الإسكافي الحربي (..... - 623) ⁽⁵⁾

أحمد بن ناصر بن أحمد بن محمد بن ناصر الإسكافي، الفقيه، أبو العباس بن أبي البركات، الفقيه الحربي، فقيه محدث، روى عن العكبري، قال ابن قاضي شهاب: «روى عنه أبو البركات والحربي». ⁽⁶⁾

(1) ينظر في ترجمته: الذيل على طبقات الحنابلة: 1/ 371-373.

(2) الذيل على طبقات الحنابلة: 1/ 372.

(3) ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 90-92.

(4) تاريخ الإسلام: 162.

(5) ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 90-92، وينظر: تاريخ الإسلام: 131.

(6) إنباء الرواة: 2/ 117، وينظر: طبقات النحاة: 329.

4. شهاب الدين ياقوت الحموي (574-626)⁽¹⁾

هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي المؤرخ الأديب اللغوي، من أئمة الجغرافيا، كانت له رحلة كبيرة في العلم، صاحب معجمي الأدباء والبلدان، قال في ترجمته لـ «عكبرا»: «منها شيخنا إمام عصره محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين النحوي العكبري»⁽²⁾

5. الكمال البزاز المعدل (.....-630)

هو أبو بكر عبد العزيز بن أحمد بن عمر البغدادي الكمال البزاز المعدل، محدث، روى عن أبي البقاء بالإجازة،⁽³⁾ قال ابن رجب: «روى عنه بالإجازة جماعة منهم الكمال البزاز البغدادي».⁽⁴⁾

6. ناصح الدين بن الحنبلي (554-634)⁽⁵⁾

هو أبو الفرج ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم العبادي ابن الحنبلي، فقيه مؤرخ، قرأ على أبي البقاء كتاب «الفصيح» وبعض كتاب التصريف.⁽⁶⁾

7. أبو محمد العكبري (.....-634)⁽⁷⁾

هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي البقاء العكبري، تتلمذ على والده أبي البقاء، وسمع أكثر مؤلفاته، وكتب بعضها بخط يده.⁽¹⁾

(1) ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 22/ 312-313، الأعلام: 8/ 131.

(2) معجم البلدان: 2/ 142.

(3) الرواية بالإجازة: عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه؛ وهي نوع من أنواع تحمل العلم، ويعترض بعض أهل العلم على الإجازة كابن حزم، وقد رد عليه أهل العلم ووصفوا قوله بالمغالاة؛ ولالإجازة صورتان مقبولتان: إحداهما: إجازة كتاب معين أو كتب معينة لشخص معين أو أشخاص معينين، والأخرى: إجازة شخص معين أو أشخاص معينين بشيء مبهم غير معين، كأن يقول الشيخ: أجزت لفلان (بذكر اسمه وأوصافه) جميع مسموعاتي أو مروياتي؛ وهذه الصورة مقبولة بشيء من التحفظ. [ينظر علوم الحديث ومصطلحه: صبحي الصالح، ط7، 1988، دار العلم للملايين، بيروت: 95، 96].

(4) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 113.

(5) ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 193-201، وينظر: الأعلام: 3/ 340.

(6) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110، شذرات الذهب: 5/ 68.

(7) ينظر: تاريخ الإسلام: 138.

8. ابن القطيعي (546-634)⁽²⁾

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر البغدادي، مؤرخ محدث، شيخ المدرسة المستنصرية أول ما فتحت، روى أبياتا في الغزل أنشدها إياه أبو البقاء.

9. ابن الدُبَيْثِي (558-637)⁽³⁾

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الدُبَيْثِي، مؤرخ من أئمة القراء والمحدثين، روى عنه الحديث، وذكر ابن رجب أنه سمع عليه.⁽⁴⁾

10. ابن النَّجَّار (578-643)⁽⁵⁾

هو أبو عبد الله محمد بن محمود النجار البغدادي، محدث حافظ مؤرخ، روى عن أبي البقاء⁽⁶⁾، وذكر أنه حدّث عنه،⁽⁷⁾ ونقلت المصادر عن ابن النجار قوله في شيخه العكبري: «قرأت عليه كثيرا من مصنفاته وصحبته مدة طويلة»،⁽⁸⁾ وابن النجار هو الذي تناقلت عنه المصادر خبر إصابة أبي البقاء في عينيه، قال: «وذكر لي أنه أضر في صباه من الجدري».⁽⁹⁾

11. الحافظ ضياء الدين المقدسي (569-643)⁽¹⁰⁾

هو المحدث أبو عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي، صاحب التصانيف،⁽¹⁾ محدث عصره، له رحلة واسعة، روى عن أبي البقاء.⁽²⁾

(1) المشوف المعلم في ترتيب حروف المعجم، للعكبري، تحقيق: ياسين السواس، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: 1/ 46.

(2) ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 22 / 8-11، وينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 212، 214.

(3) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: 23 / 68-69.

(4) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 113، وينظر: سير أعلام النبلاء: 22 / 93.

(5) ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 23 / 131-134.

(6) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 113.

(7) سير أعلام النبلاء: 22 / 93.

(8) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 110، شذرات الذهب: 5 / 68.

(9) سير أعلام النبلاء: 22 / 92.

(10) ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 212، سير أعلام النبلاء: 23 / 126.

12. ابن تيمية الجد (590-652)⁽³⁾

هو مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرّاني، جدُّ ابن تيمية الشيخ⁽⁴⁾، فقيه أصولي مقرئ نحوي مفسر، أخذ النحو والفرائض والحساب عن أبي البقاء⁽⁵⁾، وقرأ عليه كتاب الفخري في الجبر والمقابلة، ذكر ابن مالك⁽⁶⁾ عنه أنه ألين له الفقه كما ألين لداود الحديد⁽⁷⁾ قال ابن رجب: «أتقن العربية والحساب والجبر والمقابلة والفرائض على أبي البقاء العكبري»⁽⁸⁾.

13. ابن أبي الجيِّش (.....-676)⁽⁹⁾

وهو عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيِّش، مقرئ، ومحدث، ونحوي، وواعظ، أخذ عن أبي البقاء العربية والأدب والنحو، وقرأ عليه من حفظه كتباً كثيرة، كاللُّمع والفصيح⁽¹⁰⁾ وهو من المكثرين عن أبي البقاء، قال ابن رجب: «وذكر أنه قرأ عليه كثيراً»⁽¹¹⁾.

14. ابن الصَّيرَفِي (.....-678)⁽¹²⁾

-
- (1) من تصانيفه: فضائل الأعمال، فضائل الشام، وهما مشهوران ومطبوعان.
 - (2) ينظر: سير أعلام النبلاء: 116 / 16، الذيل على طبقات الحنابلة: 113 / 2.
 - (3) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: 293 - 291 / 23، الذيل على طبقات الحنابلة: 249 - 254 / 2.
 - (4) هو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحنبلي اشتهر بشيخ الإسلام، توفي في سجنه بقلعة حلب سنة (728)، رحمه الله، ينظر: ذيل طبقات الحنابلة: 387 / 2.
 - (5) ينظر: المصدر السابق: 293 / 23.
 - (6) هو أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي ولد في جيان (بالاندلس) سنة (600) ثم انتقل إلى دمشق في شبابه: أحد الائمة في علوم العربية، له مشاركة في القراءات، والحديث، تفقه على مذهب الشافعي، أول من أكثر من الاستشهاد بالحديث النبوي، مما سبب تهجم الكثيرين عليه أولهم ابن الضائع وتلميذه أبو حيان، له مصنفات أكثر أشهرها الألفية، والتسهيل وشرحه، توفي (672). ينظر في ترجمته: (الوافي : 3 / 407، غاية النهاية: 2 / 180).
 - (7) ذكر ذلك حفيده تقي الدين، انظر : سير أعلام النبلاء : 292 / 23 .
 - (8) الذيل على طبقات الحنابلة: 250 / 2.
 - (9) ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة: 290 - 294 / 2.
 - (10) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 291 / 2، بغية الوعاة: 96 / 2.
 - (11) الذيل على طبقات الحنابلة: 110 / 2، وينظر: شذرات الذهب: 68 / 5.
 - (12) ينظر في ترجمته: الذيل على طبقات الحنابلة: 295 - 297 / 2.

هو أبو زكرياء جمال الدين يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن الصيرفي، ويعرف بابن الجَيْشِي أيضاً، فقيه محدث، من أشهر طلبة أبي البقاء، إذ كان أحد الذين اشتهروا برواية الحديث عنه،⁽¹⁾ كانت له رحلة في طلب العلم، قال ابن رجب: « رحل إلى بغداد سنة سبع وستمئة فسمع من ثابت بن مشرف ... وأبي البقاء العكبري، وأخذ الفقه عنه والعربية وقرأ عليه التبيان ». ⁽²⁾

وما تقدم هو عرض لبعض تلامذته وليس كلهم، وهو ما انتهى إليه بحثي ووقعت عليه في المصادر المعتمدة، ويرجح عندي أن يكون ما ذكر في تلك المصادر غيضاً من فيض بعد أن عرفت مكانة أبي البقاء العلمية، وما ذكر في المصادر هم أشهر تلاميذه؛ ويشهد لهذا الكلام ما تناقلته المصادر مما يشير إلى وفرتهم، ومن ذلك ما قاله ابن خلكان: «واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به»⁽³⁾، وما قاله ابن رجب: «وانتفع به خلق كثير»، وكذلك ما أجملت المصادر الإشارة إليه من تلامذته بعد إيرادهم المشهورين منهم بنحو «وطائفة»، أو «جماعة»⁽⁴⁾، أو «آخرون»، وكان من بين هذه الكثرة الذين تخرجوا عليه أعلاماً نابهين صاروا أئمة فيما بعد.

ومما يدل على وفرة تلامذته أيضاً أن أغلب من ذكرتهم كتب التراجم اشتغلوا عليه في الحديث والفقه والعربية، ولم تذكر المصادر أي تلميذ لأبي البقاء درس عليه غير تلك العلوم من العلوم التسعة التي كان إماماً فيها، اللهم ما كان من ابن تيمية الجد؛ فهو الوحيد الذي ذكرت المصادر أنه درس على أبي البقاء الجبر والمقابلة.

وأرى أن من أسباب عدم معرفة جميع مشايخ وتلاميذ أبي البقاء ما تعرضت له بغداد والأمة الإسلامية نهاية القرن السابع من مأساة ما عرف تاريخياً بالغزو المغولي الذي دمر الحضارة الإسلامية المزدهرة، وقضى على العلم، وأهلك المكتبات والكتب، الأمر الذي يقوي وجود كتب تؤرخ لذلك العصر وأولئك الأعلام ربما بتفصيل أكثر، لكنها ضاعت.

(1) ينظر: سير أعلام النبلاء: 22 / 93.

(2) الذيل على طبقات الحنابلة: 2 / 296.

(3) وفيات الأعيان: 3 / 100.

(4) ينظر في ذلك على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء: 22 / 93.

كما يتبين للقارئ الكريم أن أوفر العلوم - التي جمعها أبو البقاء - تدريساً هي الحديث
والفقه واللغة.

مصنفاته:

كما أسلفنا فإن أبا البقاء استفاد من حياته أيما استفادة، شغلها منقطعاً للعلم بشكل منقطع النظير، فحاله بين التحصيل والإقراء والتصنيف، وهذا لا يستغرب من أبي البقاء، فقد روت المصادر شيئاً من أخبار دأبه على العلم، وانقطاعه له، يصدق ما ذكر آفان؛ من ذلك ما حكاه ابن رجب عن تلميذه ابن النجار أنه «كان محباً للاشتغال والإشغال ليلاً ونهاراً، ما تمضي عليه ساعة إلا وواحد يقرأ عليه أو يطالع له، حتى ذكر لي أنه بالليل تقرأ له زوجته كتب الأدب وغيرها»⁽¹⁾ مما يجعله في عداد المكثرين؛ إذ بلغت مؤلفاته قرابة السنتين مؤلفاً.

تتنوع مصنفات أبي البقاء بتنوع العلوم التي ألم بها فقد كان إماماً في علوم القرآن، إماماً في الفقه، إماماً في اللغة، إماماً في النحو، إماماً في العروض، إماماً في الفرائض، إماماً في الحساب، إماماً في معرفة المذهب، إماماً في المسائل النظرية، وله في هذه الأنواع من العلوم مصنفات مشهورة.⁽²⁾

وهذه المصنفات تتنوع بين مطبوع ومخطوط ومفقود، وسأبدأ في عرض ما ذكرت المصادر والمراجع التي اطلعت عليها من كتب له.

1. إعراب القرآن: التبيان في إعراب القرآن "

وهو أشهر مؤلفات أبي البقاء، فقد عمد بعض المتقدمين كابن كثير والسيوطي إلى إضافته إليه فنعتوه ب:صاحب الإعراب،⁽³⁾ وقد عرف الأقدمون قيمة إعراب القرآن وأفادوا منه، وعنوا به اختصاراً⁽⁴⁾ ومناقشة ونقلًا، وفي كُتُبِ ومصنفات الأئمة من خالفي أبي البقاء كالصفاقسي⁽⁵⁾

(1) الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110، وينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 70، شذرات الذهب: 5/ 68.

(2) ينظر: شذرات الذهب: 5/ 67، الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 110.

(3) ينظر: البداية والنهاية: 13/ 85، بغية الوعاة: 2/ 39.

(4) ذكر الباحث عبد الرحمن العثيمين أن جمال الدين عبد الواحد الزملكاني (651) اختصر التبيان وسماه المجيد في إعراب القرآن المجيد، وهو غير المجيد في إعراب القرآن المجيد للصفاقسي، وهو موجود بمعهد إحياء المخطوطات العربية برقم 132. (ينظر التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، رسالة ماجستير: جامعة الملك عبد العزيز، 1396: 1/ 41).

(5) هو أبو إسحق أحمد بن إبراهيم الصفاقسي، من فقهاء المالكية، توفي (742). ينظر في ترجمته: (الأعلام: 1/ 63).

في المُجيد، وأبي حيان⁽¹⁾ في البحر المحيط، وابن هشام⁽²⁾ في المغني،⁽³⁾ والسمين الحلبي⁽⁴⁾ في الدر المصون ما ينهض دليلاً على ذلك، كما لم يكن المحدثون أقل اهتماماً من سابقهم، فقد كان إعراب القرآن أسبق مؤلفات العكبري وأقدمها طباعة، إذ صدرت أول طبعة له عام 1859م على هامش تفسير الجلالين، ثم توالى طبعاته بعد ذلك بأحد عنوانين: الأول التبيان في إعراب القرآن،⁽⁵⁾ والثاني: إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن.⁽⁶⁾

والتسمية الأولى قديمة وردت في نسخ خطية محفوظة في بعض المكتبات كالظاهرية والخديوية والأوقاف العامة ببغداد، ولم ترد في مصادر ترجمة العكبري إلا ما ذكر في ترجمة تلميذه ابن الصيرفي،⁽⁷⁾ والتسمية الثانية لا أصل لها في أي تلك المصادر التي ترجمت لأبي البقاء، وإنما هي عبارة وردت في ختم الكتاب، والظن أنها انتقلت إلى العنوان بدعوى أنها هي عنوان الكتاب، وهي عبارة لا تدل من قريب أو بعيد على أن المؤلف سمي كتابه بهذا الاسم.

هذا وقد اشتهرت تسمية هذا الكتاب في المصادر والمراجع التي ترجمت لأبي البقاء بـ"إعراب القرآن"، ومما يدعو إلى الغرابة أن جميع طبعاته لم تحمل تسميته المشهورة، وكذا لم

(1) هو أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، ولد بالأندلس، وانتقل إلى القاهرة، وصف بالإمام، له الفضل في انكباب الناس على مؤلفات ابن مالك (672)، تطلع في علوم اللغة والقرآن والتفسير والطبقات، له مؤلفات كثيرة منها: البحر المحيط، ومختصره النهر الماد، توفي بالقاهرة سنة (754)؛ ينظر في ترجمته: (فوات الوفيات: 4/ 72).

(2) هو أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف: من أئمة العربية، ولد بمصر سنة (708)، أثنى العربية والفقه والمذهب، من مؤلفاته مغني اللبيب الذي اشتهر في حياته، وأقبلت الناس عليه، توفي بمصر سنة (761)، ينظر في ترجمته (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر: 2/ 308).

(3) ناقش ابن هشام أبا البقاء في المغني في ست وأربعين موضوعاً.

(4) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات، استقر واشتهر في القاهرة، توفي سنة (756)، ينظر في ترجمته (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 1/ 339).

(5) الطبقات التي حملت هذا العنوان: طبعة تبريز: 1859م، طبعة طهران: 1960م، وهما على هامش تفسير الجلالين، وطبعة القاهرة: 1936م في أربعة أجزاء، طبعة البابي الحلبي، طبعة القاهرة 1976م في مجلدين بتحقيق علي محمد البجاوي، والطبعات المصورة عنه.

(6) الطبقات التي حملت هذا العنوان: طبعة بولاق 1850م بهامش الفتوحات الإلهية للشيخ الجمل بمطبعة محمد مصطفى، وطبعات القاهرة: 1306، 1308، 1321 في المطبعة الميمنية، وطبعة القاهرة 1923م، في المطبعة التجارية، وطبعة القاهرة 1961م، بتحقيق إبراهيم عطوة عوض، جزءان في مجلد، وأعيد طبعها ثانية في 1970م (ينظر: التبيين: 1/ 40، 41).

(7) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 296.

تحمل تسميته الأخرى "البيان في إعراب القرآن" التي ذكرت في جل المصادر التي ترجمت له.⁽¹⁾

ألف أبو البقاء كتابه هذا ليكون مرجعا لإعراب القرآن الكريم، قال في مقدمته: «أُحِبُّتُ أَنْ أَمْلِيَ كِتَابًا يَصْغُرُ حَجْمُهُ وَيَكْثُرُ عِلْمُهُ؛ أَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى ذِكْرِ الْإِعْرَابِ وَوُجُوهِ الْقُرْآنِ، فَأَتَيْتُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ».⁽²⁾

يورد أبو البقاء ما يختاره من آيات القرآن الكريم حسب ترتيبها في المصحف ويبين وجوه القراءات وتوجيه إعرابها، فإذا اقتضى الأمر إشارة إلى المعنى أو استشهادا ببیت من الشعر، أو إيرادا لمذهب من المذاهب أو بيانا لمسألة ما، فعل ذلك.

ويؤخذ على أبي البقاء أنه لا يستقصي جميع الوجوه في بعض الأحيان، وهو في ذلك نادر التصريح بمصادره التي ينقل عنها؛ فالكتب التي ذكرها قليلة، وأما الأعلام من أصحاب المقالات والآراء والمذاهب فقليل جدا، والذي يظهر لي أنه احتفل بذكر مشاهير أولئك الأعلام ومشايخ النحو فقط، كالخليل⁽³⁾ وسيبويه⁽⁴⁾ وأبي علي والأخفش⁽⁵⁾ والفراء⁽⁶⁾ وهو في حالات كثير يميل إلى التعميم في النسبة إلى قوم أو مذهب، وكثيرا أيضا ما يعبر بصيغة المبني لما لم يسم فاعله في الإشارة إلى القراءات والأوجه الإعرابية والمذاهب.

حقق الكتاب علي محمد البجاوي، ونشر سنة 1978م، ثم خرجت كل الطبقات لهذا الكتاب مصورة عن هذا التحقيق، وقد وجدت على هذا التحقيق عدة ملاحظات منها أن المحقق عندما عرف بالكتاب أطلق أحكاما عامة فقد ذكر انه أعرب فيه كل آيات القرآن ولم يترك إلا النادر القليل، وهذا الكلام يناقض كلام أبي البقاء السابق، ومن تتبع الكتاب نجد أنه يترك الكثير مما حقه أن يتعرض له مما اختلفت القراءات فيه، ويبدو أن المحقق أصدر هذا الحكم من قراءته لعنوان الكتاب.

(1) من ذلك على سبيل المثال: إنباه الرواة: 2/ 117.

(2) التبيان في إعراب القرآن، العكبري، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت، د.ت: 2/ 1.

(3) ينظر من ذلك على سبيل المثال: التبيان: 7/1، عند الكلام على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 4].

(4) المصدر السابق.

(5) ينظر: التبيان: 2/ 1140.

(6) مثال ذلك: التبيان: 1/ 66، عند الكلام في قوله تعالى: ﴿حَظَّيْكُمْ﴾ [البقرة: 58].

من ذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: 115]، يقرأ ﴿مُنَزَّلٌ﴾ بتشديد الزاي وبتخفيفها، ولم يتعرض لذكرها. (1)

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: 216]؛ قرئ فيها ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ بالفاء، وقرئ ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو. (2)

وفي قوله تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَانِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 36]، لم يتعرض للقراءات الواردة فيها، وغير ذلك مما يصعب حصره. (3)

كذلك لم يتعرض إلى ذكر الإدغام الكبير عند أبي عمرو في أحد وجهيه، وهذا من أصول القراءة، فكان ينبغي له أن ينتبه لهذا الأمر ويفرده بمبحث كما فعل في هاء الضمير وميمه.

ومما يؤخذ على تحقيق البجاوي عدم اهتمامه بتحقيق النص القرآني فورد محرفا في مواطن عديدة نذكر بعضها منها على سبيل المثال:

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لِّهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: 64]، كتبت "الذين" بدل "الذي"، وهو مالم يرد في قراءة من القراءات، (4) كذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرَ﴾ [القمر: 6] كتبت خطأ "يدعو" بواو، ولم يرد ذلك في رسم المصحف. (5)

وفي قوله تعالى ﴿نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: 21]، (6) يذكر أبو البقاء أنه قد ذكره في سورة النحل في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [النحل: 66]، غير أنه لم يذكر ذلك في سورة النحل، (7) فهو سهو منه، ولم ينتبه محقق الكتاب إلى ذلك ولم يشر إليه.

(1) التبيان: 1/ 533.

(2) ينظر: التبيان: 2/ 1002.

(3) ينظر: التبيان: 2/ 720.

(4) ينظر: التبيان: 2/ 800.

(5) ينظر: التبيان: 2/ 1192.

(6) ينظر: التبيان: 2/ 953.

(7) ينظر: التبيان: 2/ 800.

كذلك يؤخذ على المحقق أنه لم يعتن بنسبة النصوص إلى قائلها، ولم يخرج أقوال من نقل عنهم أبو البقاء

2. إعراب القراءات الشواذ:

ألفه أبو البقاء بعد أن طلب منه كتاب في القراءات الشاذة الخارجة عن قراءات العشرة، وقد ألفه بعد كتاب التبيان، كما أشار لذلك في مقدمته للكتاب.

حقق هذا الكتاب د. محمد السيد أحمد عزوز في مجلدين، ونشرته مكتبة عالم الكتب ببيروت سنة (1417)، كما حقق مرة أخرى من قبل د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد في مصر، ونشرته المكتبة الأزهرية سنة (1424).

3. إعراب الحديث النبوي:

وهو من مصنفاته النحوية، اعتمد فيه على الحديث النبوي، وهذا الكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور عبد الإله نبهان.⁽¹⁾

4. شرح لامية العرب:

وهي قصيدة تقع في ثمانية وستين بيتاً، قالها الشنفرى " عمرو بن مالك"، وأولها:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّكِ مُمْ
فَأِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأُمِّيْلُ

وقد اشتهرت هذه القصيدة بنسبتها إلى قافيتها، وقد توفر لها من المميزات الفنية ما جعلها من عيون الشعر العربي، وهو ما جعل كثيراً من العلماء يعتنون بشرحها وإعرابها،⁽²⁾ وحقق شرح العكبري عليها د. محمد خير حلواني،⁽³⁾ كما أعاد تحقيق الكتاب د. محمد أديب جمران، ونشرته وزارة الثقافة السورية سنة 1984م.⁽⁴⁾

5. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين:

(1) طبع في مجمع اللغة العربية بدمشق مرتين: الطبعة الأولى 1387، والطبعة الثانية: 1397.

(2) ذكر عبد الله محمد في كتابه جامع الشروح والحواشي ستة وثلاثين شرحاً، ينظر: 3/ 1510 - 1514.

(3) نشرت في دار الآفاق الجديدة، بيروت سنة 1983م.

(4) ينظر: إعراب لامية الشنفرى، للعكبري، تحقيق: محمد أديب جمران، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1: 1404 : 16.

وهو يعد من أشهر كتب الخلاف النحوي بعد كتاب الإنصاف للأنباري⁽¹⁾، حققه عبد الرحمن العثيمين، و لم تذكره المصادر - التي ترجمت له - بهذا العنوان، وإنما ذكرت أن له مؤلفاً في الخلاف يسمى "مسائل الخلاف في النحو"،⁽²⁾ ومصادر أخرى بعنوان: "مسائل الخلاف"،⁽³⁾ وأطلق محقق هذا الكتاب عليه هذه التسمية لأنها تصدرت النسخة التي اعتمد عليها في التحقيق. ونشر الكتاب في دار الغرب الإسلامي بيروت عام 1406.

6. الباب في علل البناء والإعراب:

يعد من أشهر مؤلفات أبي البقاء، وحاز هذا الكتاب اهتمام من جاء من بعده، فقد وُصف بأنه من أحسن الكتب، كما نقل عنه الكثيرون ممن جاء من بعده كالسيوطي في الأشباه والنظائر، هذا وقد اعتنى بتحقيقه د. خليل بنّيان الحسون.

7. مسائل خلافة في النحو:

حققه د. محمد خير الحلواني، وهو كتاب يشتمل على خمس عشرة مسألة، منها اثنتا عشرة مسألة ليس فيها خلاف بين المدرستين، ويرجح أحد الباحثين أن يكون هذا الكتاب جزءاً من أصل أكبر منه.

8. مسألة في قول النبي صلى الله عليه وسلم إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادَهُ الرَّحْمَاءُ:⁽⁴⁾

نشرت في مجلة معهد المخطوطات العربية،⁽⁵⁾ وهي مذكورة في ذيل طبقات الحنابلة، ذكرها ابن رجب الحنبلي في نهاية ترجمته لمؤلفها.⁽⁶⁾

(1) هو أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري، ولد بالأنبار سنة (513) وسمع من أبيه فيها، ثم رحل إلى بغداد وبقي فيها حتى توفي سنة (577)، كان متديناً ورعاً زاهداً، تفقه في النظامية، انقطع آخر عمره للعبادة، ولم يكن يخرج إلا لصلاة الجمعة، خلف آثاراً كبيرة منها الإنصاف في مسائل الخلاف، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أسرار العربية، ينظر في ترجمته: (إنباه الرواة: 2/ 169، وفيات الأعيان: 3/ 139).

(2) كما هو الحال في: الوافي بالوفيات: 12/ 70.

(3) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة: 4/ 110، وهذا الكتاب ليس في النحو وإنما هو في الفقه.

(4) حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: يعذب الميت ببعض بكاء أهله، حديث رقم: [1224] 1/ 431.

(5) ينظر: منهج العكبري في شرح الإيضاح: 1/ 64.

(6) الذيل على طبقات الحنابلة: (2/ 117 - 120).

9. المتبع في شرح اللمع

يعد اللمع من كتب المتون التي حازت اهتمام الطلاب والعلماء على حد سواء منذ أن ألفه ابن جني، فهو كتاب نحو وأصول، بسيط العبارة خال من الإيغالات التي لا حاجة لها، شامل لأبواب النحو والصرف، مما سبب زيادة اهتمام المتعلمين به، ولهذا كثرت شروحه وشراحه، أوصلها بعض الباحثين إلى أربعة وعشرين شرحاً،⁽¹⁾ وقد كان أبو البقاء من بين من اهتم بهذا المتن وشرحه، وقد اعتنى بتحقيق هذا الكتاب د. عبد الحميد الزوي ونشرته جامعة قاريونس.

10. شرح الإيضاح:

يعتبر إيضاح أبي علي الفارسي من الكتب التي نافست أو قاربت كتاب سيبويه⁽²⁾ في كثرة شروحه، فقد اعتنى كثير من العلماء في المشرق والمغرب بشرح الإيضاح؛ ذلك لأن صاحبه لزم فيه طريق الوضوح والسهولة في العرض والشرح والترتيب، لذا فقد اشترأت العلماء إلى شرح هذا الكتاب وتدريسه، وقد كان أبو البقاء من السابقين في هذا المضمار فقد شرح كثيراً من كتب المتقدمين من بينها هذا الكتاب، وقد اعتنى بتحقيق هذا الكتاب د. يحيى مير علم في أطروحته للدكتوراه من جامعة دمشق سنة 1992م.⁽³⁾

11. المشوف المعلم:

كتاب في لحن العامة، متوسط الحجم، شرح فيه إصلاح المنطق لابن السكيت، وسبب شرح أبي البقاء له على حد قوله أنه متوعر المسلك، مستصعب المدرك، لتفرق ألفاظه، فرتبه أبو البقاء على أسلوب يقرب منه تناول المطلوب،⁽⁴⁾ وقد اعتنى بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ ياسين السواس، ونشرته جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة (1403).

(1) ينظر: المتبع في شرح اللمع، لأبي البقاء، تحقيق: محمد الزوي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، مقدمة المحقق: 17/1 وما بعدها.

(2) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، شيخ النحو، تتلمذ على يونس بن حبيب والخليل بن أحمد في البصرة، فكان له شأن عظيم، ألف كتاباً في النحو كتب له البقاء والقبول، فانكب عليه العلماء حتى وصف بأنه قرآن النحو، وقعت بينه وبين الكسائي مناظرة عرفت في التاريخ بالمسألة الزنبورية، فانتصر الخليفة يحيى بن خالد البرمكي للكسائي مما سبب كآبة عند سيبويه عجلت بوفاته رحمه الله سنة 180، ينظر في ترجمته (وفيات الأعيان: 3/ 463 وما بعدها).

(3) ينظر: منهج العكبري في شرح الإيضاح: 1/ 62.

(4) ينظر: المشوف المعلم: 1/ 46.

هذا ولأبي البقاء كتب أخرى لا تزال مخطوطة من بينها: شرح ديوان الحماسة، وشرح ديوان المتنبي، وشرح الخطب النباتية، والترصيف في التصريف، والعروض، وشرح أبيات كتاب سيبويه، وشرح لامية العجم، وشرح المقامات الحريية، وشرح المسائل الحلبية.⁽¹⁾

وفي علوم الشريعة: عد الآي، وبلغه الرائض في علم الفرائض، والتلخيص في الفرائض، وتفسير القرآن، والتعليق في مسائل الخلاف في الفقه، وشرح الهداية، والاستيعاب في مسائل الحساب، ولغة الفقه، ومتشابه القرآن، ومذاهب الفقهاء.⁽²⁾

وما ذكرت من الكتب لم تكن جميع ما ألف أبو البقاء، وإنما هي غيض من فيض، كما أشار إلى ذلك من ترجم له، فيذكرون أهم كتبه، ويشيرون إلى غيرهما كما ذكر أحدهم قائلاً: وغير ذلك من المصنفات التي يطول ذكرها.⁽³⁾

مذهبه في النحو:

أبو البقاء بصري المذهب، يتبنى آراءه، ويسوق حججه ويعلل بعلله، وينهج نهجه، يكثر من ذكر أئمة، وبخاصة سيبويه، وقد بان لي ذلك من طريقين:

الطريق الأولى: كثرة شروحه لكتب الفارسي وابن جني، فقد شرح كثيرا من مصنفاتهما، ومن ذلك كتاب الإيضاح لأبي علي، واللمع لابن جني.

والطريق الثانية: ما ظهر واضحا من بصريته، في كتابه التبيان، حيث يستشهد كثيرا بسيبويه، ويونس⁽⁴⁾، والخليل⁽⁵⁾، وأبي علي، والأخفش⁽¹⁾، وغيرهم من شيوخ البصرة، وذكرهم في

(1) ذيل طبقات الحنابلة: 4 / 111.

(2) ينظر في ذلك: تراجم أبي البقاء في الكتب التي ترجمت له التي ذكرناها أول ترجمته.

(3) وفيات الأعيان: 3 / 100.

(4) هو أبو عبد الرحمن: يونس بن حبيب النحوي، إمام نحاة البصرة في عصره، ولد سنة (90)، كان عالما بالأدب، تتلمذ على أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء، توفي سنة (182) ينظر في ترجمته: (نزهة الألبا: 59، وفيات الأعيان: 7 / 244).

(5) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، شيخ العربية، مكتشف العلوم، ولد سنة (100) أبوه أول من سمي بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعلم عند أبي عمرو بن العلاء، اكتشف الخليل علم العروض ووضع بحوره، وهو أول من رتب

كتابه كثيرا واستشهد بآرائهم، ونقل أقوالهم؛ أما الكوفيون فقليل ذكرهم؛ ذكر الفراء في غير ما موضع، وذكر الكسائي، إلا أن الغالب عليه عند ذكرهم أنه يرد عليهم، وذلك في مواضع كثيرة في كتابه أولها عند الكلام على البسمة قائلا: « وقال الكوفيون أصله وَسَمَ لأنه من الوسم، وهو العلامة، وهذا صحيح في المعنى فاسد اشتقاقا ». (2)

كما ذكر في توجيهه لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 111] قائلا: « وقال الفراء: أصله يهود، فحذفت الياء، وهو بعيد جدا ». (3)

وفي توجيهه لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275] قال: « وأجاز الكوفيون كتبه وتنثيته بالياء، قالوا لأجل الكسرة التي في أوله، وهو خطأ عندنا ». (4)

وفي توجيهه لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 24] ذكر أنه إغراء عند الكوفيين، ثم عقب على ذلك بقوله: وهذا عندنا لا يجوز؛ وهو أوضح دليل على بصريته. (5)

هذه الأدلة وغيرها مما سيذكر في هذا البحث مما يشير إلى اتباع أبي البقاء لمشايخ البصرة، والذي يدعو للعجب أن ينسب إلى الكوفة (6) مع هذه العصبية الواضحة للبصرة، وقد نبه على ذلك بعض من اهتم بدراسة أبي البقاء. (7)

المعجم، ووضعه للناس عندما ألف كتاب العين، توفي مصطدما بسارية في المسجد وهو يفكر في وضع طريقة للحساب ليسهل على الناس سنة (175)، ينظر في ترجمته: (إنباه الرواة: 1 / 341).

(1) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الملقب بالأخفش الأوسط، أخذ النحو عن سيبويه، هو الذي زاد في العروض بحر الخبب، صنف كتابا من بينها معاني القرآن، توفي سنة (215)، ينظر في ترجمته: (إنباه الرواة: 2 / 36، بغية الوعاة: 1 / 590).

(2) ينظر: التبيان: 3 / 1.

(3) التبيان: 1 / 105.

(4) التبيان: 1 / 223، وينظر أيضا: 1 / 300، 1 / 395، عند الكلام في: ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: 146]، و ﴿وَأَنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾ [النساء: 128] على الترتيب.

(5) التبيان: 1 / 346.

(6) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي، دار المعارف، مصر: 135، 136، 180.

(7) ينظر: إعراب الحديث النبوي: 20، التبيين عن مذاهب البصريين والكوفيين: 1 / 102.

المبحث الثاني: القراءات القرآنية وموقف النحاة منها

حقيقتها:

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة: مصدر قرأ، يقال: قرأ يقرأ قراءةً وقُرْآنًا (1)

وفي الاصطلاح: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما. (2)

علم القراءة: علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع. (3)

وقال بعض العلماء: بأن القراءات " مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها " (4)

واختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تتوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض؛ لأن التناقض والتضارب ينتزه عنهما الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82].

نشأتها وتطورها :

نزل القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم في أول الأمر بلغة قريش، ووجدت القبائل الأخرى مشقة في قراءة القرآن بغير لغتها " لهجتها "، فطلب الرسول من ربه أن يخفف

(1) لسان العرب: 128/1 (قرأ).

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي: 318/1 .

(3) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407، 1987م: 54 / 1.

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ط1، 1416، 1996م، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان: 284/1.

عن أمته ما تلاقيه من المشقة، فأذن الله لرسوله أن يقرئ أمته القرآن على أوجه كثيرة يسيرة على السنة القبائل .

وتلقى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القرآن بقراءاته وأحرفه المختلفة عن جبريل عليه السلام فكان رسول الله يُقرئ الصحابة بما أقرأه جبريل، فربما أقرأ صحابياً بحرف وأقرأ صحابياً آخر بحرف على حسب ما يجده -صلى الله عليه وسلم- يسيراً على كل منهما، وكان كل واحد يقرأ كما عُلِّم، وإن خالف قراءة صاحبه،⁽¹⁾ ومن هنا فقد وقع اختلاف بين بعض الصحابة - رضي الله عنهم - في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- حول القراءة، من ذلك ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فَلَبَّيْتُهُ بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أُرَأْنِيهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُرَأْنِيهَا على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ثم قال : اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أُنْزِلَتْ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه".⁽²⁾

ولما انتقل الرسول عليه السلام إلى الرفيق الأعلى واستحرَّ القتل في حروب الردة بالقرءاء دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- بعد سنتين من خلافته، فقال: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهافتون في الحرب تهافت الفراش في النهار، وإنني أخشى أن يُقْتَلُوا جميعاً، وهم حملة القرآن، فيضيع منه كثير، فتوقف أبو بكر وتردد، وما زال به حتى وافقه على كتابته في مصحف واحد، وجمع الحفظة المشهود لهم بالإتقان، برئاسة زيد بن ثابت وأبي بن كعب، وأحضروا كل ما كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وبإملائه، وأمر أبو بكر زيداً أن يكتب القرآن كله على الترتيب الذي تلقاه هو ومن

(1) ينظر : المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد، عبد الفتاح شلبي: 11 .

(2) سبق تخريجه، ينظر: 6.

معه من الحفظة عن الرسول بنفس الألفاظ، ونفس الحروف، ونفس الصورة في العرضة الأخيرة التي تدارس فيها الرسول القرآن مع جبريل بعد تمامه، وكتبه زيد ومن أسهموا معه في هذا العمل الجليل في قطع الأدم وغيرها، وظلت صُحفه عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر حتى توفي، ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين.⁽¹⁾

وتفرق المسلمون في الأمصار مع الفتوح، فأخذ هذا الخلاف في الأداء يشتدّ، حتى إذا كانت سنة ثلاثين من الهجرة " في خلافة عثمان " فزع حُذيفة بن اليمان إلى عثمان رضي الله عنه، وقال له: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في اليهود والنصارى، وأبلغه خلاف الناس في القراءة، وفزع عثمان لذلك فزعاً شديداً، و أرسل إلى السيدة حَفْصة أن أرسلني إلينا بصحف القرآن ننسخها، ثم نردها إليك، فأرسلتها إليه؛ وأمر زيدا بن ثابت أن ينسخها في المصاحف، وضمَّ إليه جمعا من كبار الصحابة، وكتبوا ثمانية مصاحف على الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما صرح به غير واحد من أئمة السلف كمحمد بن سيرين⁽²⁾، ووجّه بها إلى الأمصار، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً سُمّي باسم الإمام، وأمر بإحراق ما عدا هذه المصاحف، حتى لا يدع فرصة لأي خلاف ممكن، وأمر المقرئين في كل الأمصار أن يتمسكوا بتلك المصاحف وأن يُقرئوا الناس على حروفها، وأطاعته الأمة المعصومة من الخطأ، وأجمعت على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأدونا فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن.

وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تكاثروا في كل مصر من هذه الأمصار خلفاء هذا الجيل الأول من التابعين، وتفرّقوا في البلاد وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1978م : 7، والسبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، 1972م : 10 .

(2) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري، من كبار التابعين، إمام زمانه في علوم الدين بالبصرة، تفقه وروى الحديث، اشتهر بالورع، وتعبير الرؤيا؛ ينظر في ترجمته: (وفيات الأعيان: 4 / 182، تاريخ بغداد: 5 / 331).

للتلاوة، ومنهم المقتصر، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقلَّ الضبط واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، حتى وفق الله الإمام أبا بكر بن مجاهد،⁽¹⁾ فقام رحمه الله بعد البحث والفحص الطويل باختيار "قراءات سبعة من القراء يمثلون خمسة أمصار هي مكة والمدينة، والبصرة، والكوفة، والشام، وهو عمل أجمع معاصرو ابن مجاهد وخالفوه عليه، وبذلك كُتب لتسبيعه الذبوع والبقاء."⁽²⁾

وهؤلاء القراء هم :

نافع⁽³⁾، وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، قارئ المدينة المنورة، أخذ القراءة عن سبعة من التابعين، منهم : عبد الرحمن بن هرمز، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي . استفاد منه خلق كثير، وكان عالماً بوجوه القراءات زاهداً، وجواداً، صلى في المسجد النبوي ستين سنة، وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة، وتمسك أهلها بقراءته، وكان مالك بن أنس يقول: قراءة أهل المدينة سنة، فقل له : قراءة نافع ؟ قال : نعم وقد اشتهرت قراءته بروايتي قالون⁽⁴⁾ وورش،⁽⁵⁾ توفي سنة (169).

-
- (1) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، أول من سبع السبعة، ولد ببغداد سنة (245)؛ أخذ عنه جملة من الفضلاء كآبي علي الفارسي، ينظر في ترجمته: (غاية النهاية: 1/ 139، معرفة القراء الكبار: 1/ 269).
 - (2) ينظر : النشر في القراءات العشر: 7- 10، و مقدمة محقق كتاب السبعة في القراءات: 10- 13، والمدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد، لعبد الفتاح شلبي: 12 وما بعدها، ومقدمات في علم القراءات، للدكتور محمد أحمد مفلح القضاة وآخرين: 54 وما بعدها، طبعة دار عمان، عمان 1422، 2001 م، وفي علوم القراءات، للدكتور: السيد رزق الطويل: 31 وما بعدها، طبعة المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة .
 - (3) نافع : ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار للذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، ود. صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404، 1984م : 1/ 107 وما بعدها .
 - (4) قالون: هو عيسى بن ميناء بن وردان، قارئ المدينة ونحويها، يقال: انه ربيب نافع، وهو الذي لقبه: (قالون)، بمعنى: جيد، في الرومية لجودة قراءته، قرأ عليه جماعة، وكان أصم يقرأ القرآن وينظر إلى شفطي القارئ ويرد عليه اللحن والخطأ، توفي سنة (220) ينظر في ترجمته: (غاية النهاية في طبقات القراء: 1/ 615، معرفة القراء الكبار: 1/ 155)
 - (5) هو عثمان بن سعيد، لقب بورش لشدة بياضه، أصله من القيروان، ولد بمصر سنة (110)، رحل إلى نافع وعرض عليه عدة ختمات، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، توفي سنة (197) ينظر : (غاية النهاية: 1/ 502، معرفة القراء: 1/ 155).

ابن كثير⁽¹⁾، قارئ مكة المكرمة، وهو أبو محمد، أو أبو معبد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله المكي الداري، كان إمام الناس في القراءة بمكة، لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك وروى عنهم، أخذ القراءة عنه كثيرون من أشهرهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، اشتهرت قراءته بروايتي: قنبل⁽²⁾ والبخاري⁽³⁾ توفي (120).

أبو عمر بن العلاء⁽⁴⁾، قارئ البصرة، وهو أبو عمرو زيان بن العلاء بن العريان المازني التميمي البصري، ولد بمكة سنة (68)، ونشأ بالبصرة، هرب مع أبيه من الحجاج، فقرأ بمكة على ابن كثير، وبالمدينة على نافع، كما قرأ بالكوفة على عاصم والبصرة على جماعات كثيرة فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، وسمع أنس بن مالك وغيره من الصحابة، ولذلك عدّ من التابعين، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والثقة والأمانة والدين، اشتهرت قراءته بروايتي: الدوري⁽⁵⁾ والسوسي⁽⁶⁾، توفي سنة (154).

ابن عامر⁽⁷⁾ قارئ الشام، وهو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي، وهو تابعي جليل، لقي واثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير، وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، عن عثمان بن عفان، عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وقيل : إنه قرأ على عثمان نفسه، وكان رحمه الله إماماً كبيراً، وعالماً شهيراً، وإليه انتهت

(1) ابن كثير : ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار 1/ 86، غاية النهاية: 1/ 443.

(2) هو أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن جرجة المكي المخزومي، شيخ القراء بالحجاز، ولد سنة (195)، روى القراءة عن أحمد بن محمد القواس، وخلفه في مكة، توفي سنة (291)، ينظر في ترجمته: (غاية النهاية: 2/ 165، معرفة القراء الكبار: 1/ 230).

(3) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البخاري، ولد سنة (170)، مقرئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، أخذ القراءة عن أبيه، قال عنه ابن الجزري: أستاذ محقق ضابط متقن، توفي سنة (250)، ينظر في ترجمته: (غاية النهاية: 1/ 119).

(4) ينظر : معرفة القراء الكبار: 58 وما بعدها.

(5) هو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الأزدي، أول من جمع القراءات، كان ثقة حافظاً، توفي سنة (246)، ينظر في ترجمته: (غاية النهاية: 1/ 255، معرفة القراء الكبار: 1/ 191).

(6) هو أبو شعيب صالح بن زياد السوسي (173 - 261)، روى قراءة أبي عمرو عن اليزيدي أبي محمد يحيى بن مبارك العدوي، ينظر: (غاية النهاية: 1/ 332، معرفة القراء الكبار: 1/ 193).

(7) ينظر: غاية النهاية: 1/ 423، معرفة القراء الكبار : 1/ 82 وما بعدها.

مشيخة الإقراء بالشام بعد وفاة أبي الدرداء رضي الله عنه، وقد اشتهر برواية قراءته: هشام⁽¹⁾ وابن ذكوان⁽²⁾، بواسطة أصحابه، توفي بدمشق سنة (118).

عاصم⁽³⁾، قارئ الكوفة، وهو عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي، كان شيخ الإقراء بالكوفة، وقد انتهت إليه رئاسة الإقراء بها بُعِيْدَ موت أبي عبد الرحمن السلمي، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن، قال أبو إسحاق السبيعي: ما رأيت أحدا أقرأ من عاصم بن أبي النجود، وقال شعبة: دخلت على عاصم وهو في الموت فجعل يردد هذه الآية يحققها حتى كأنه في الصلاة: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: 62]، توفي بالكوفة سنة (127)، وقيل سنة (128)، وقد اشتهر برواية قراءته شعبة⁽⁴⁾ وحفص⁽⁵⁾.

حمزة⁽⁶⁾، قارئ الكوفة، وهو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات، كان إمام الناس في القراءة بعد عاصم والأعمش، وكان حجة ثقة ثبता، عارفا بالعربية حافظا للحديث، بصيرا بالفرائض، قال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض، وقال عبد الله بن موسى: ما رأيت أحدا أقرأ من حمزة؛ توفي سنة (156)، وقد روى عنه القراءة خلف⁽⁷⁾، خلاد⁽⁸⁾.

-
- (1) هو أبو الوليد، هشام بن عمار بن نصير السلمي، ولد (153)، وتولى مشيخة الإقراء بدمشق، كان مقرئها وخطيبها ومفتيها، توفي (245)، ينظر في ترجمته: (معرفة القراء الكبار: 1/ 195، غاية النهاية: 2/ 354).
- (2) هو أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان، (173-242)، كان شيخ الإقراء في الشام، لم يكن بالمشرق والمغرب في زمانه أعلم بالقراءة منه، ينظر ترجمته في: (غاية النهاية: 1/ 404).
- (3) ينظر: غاية النهاية: 1/ 346، معرفة القراء الكبار: 1/ 88.
- (4) هو أبو بكر شعبة بن عياش الأسدي، الكوفي، ولد سنة خمس وتسعين، عرض القرآن على عاصم، توفي سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائتين، ينظر في ترجمته (غاية النهاية: 1/ 325، معرفة القراء الكبار: 1/ 134).
- (5) هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي، (90-180)، كان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، إذا كان ربيبا له، ينظر في ترجمته (غاية النهاية: 1/ 254، معرفة القراء الكبار: 1/ 140).
- (6) ينظر: معرفة القراء الكبار: 1/ 111، غاية النهاية: 1/ 261.
- (7) خلف: هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي المقرئ، ولد سنة (150)، ويقال له خلف العاشر لكونه العاشر في ترتيب القراء العشر، كذلك له رواية عن حمزة عن سليم، كان عابدا فاضلا، توفي سنة (229)، وقد اشتهر بالرواية عنه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله، المروزي ثم البغدادي، الوراق، المتوفي سنة (286)، وأبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي، المتوفي سنة (292)؛ ينظر: (معرفة القراء الكبار: 1/ 208).
- (8) هو خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي، رونالقراءة عن سليم، ينظر: (معرفة القراء الكبار للذهبي: 1/ 210).

الكسائي⁽¹⁾، قارئ الكوفة، وهو الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي النحوي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وكان واسع العلم بالقرآن والعربية قال أبو بكر بن الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، فكانوا يكثرُونَ عليه، حتى يضطر أن يجلس على الكرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ، توفي (189)، وقد اشتهر برواية قراءته: أبو الحارث⁽²⁾ والدوري⁽³⁾.

ثم أضاف بعض من أتى بعد ابن مجاهد ثلاثة من القراء رأى أن قراءاتهم لا تقل سنداً وعلاوا عن السبعة وهم :

1- أبو جعفر يزيد بن القعقاع⁽⁴⁾ .

2- يعقوب بن إسحق الحضرمي⁽⁵⁾.

3- خلف بن هشام البزار⁽⁶⁾.

هذا، ومن الملاحظ هنا أن اختيار ابن مجاهد للسبعة القراء، واختيار من أتى بعده للثلاثة المتممين للعشرة، لا يقدح فيمن سواهم، وإلا ففي من ترك من لا يقل شأنًا عن هؤلاء العشرة، إن لم يفقههم⁽¹⁾ ولكن الله كتب لقراءات هؤلاء الخلود والبقاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(1) ينظر : معرفة القراء الكبار : 1 / 120، غاية النهاية : 1 / 535.

(2) هو أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، ذكر ابن الجزري أنه ثقة حانق ضابط، توفي سنة (240)، ينظر في ترجمته: (غاية النهاية: 2 / 34).

(3) هو راوي قراءة أبي عمرو بن العلاء، مضت ترجمته.

(4) أبو جعفر : هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني القارئ، أتى به إلى أم سلمة وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، وهو تابعي جليل القدر، رفيع الذكر، أقرأ الناس بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان إمام أهل المدينة في القراءة، قال عنه مالك بن أنس: كان أبو جعفر القارئ رجلاً صالحاً يفتي الناس بالمدينة، وقد اختلف في تاريخ وفاته: فقيل توفي سنة 127، وقيل توفي سنة 128 وقيل سنة 130، وقيل غير ذلك، وقد اشتهر بالرواية عنه أبو موسى عيسى بن وردان (160)، وأبو الربيع سليمان بن مسلم بن جَمَازٍ (، ينظر: (معرفة القراء الكبار : 1 / 72).

(5) يعقوب: هو الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق، قارئ أهل البصرة في عصره، كان يعقوب أقرأ أهل زمانه، وكان لا يلحن في كلامه، وكان عالماً بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلافه، فاضلاً نقياً تقياً، ورعاً زاهداً، توفي سنة (205)، وقد اشتهر بالرواية عنه روح بن عبد المؤمن (235)، ومحمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب برويس (238)؛ (ينظر: غاية النهاية: 2 / 386، معرفة القراء الكبار : 1 / 157).

(6) سبقت ترجمته في رواة الإمام حمزة.

أركان القراءة الصحيحة :

ذكر العلماء لمعرفة القراءة الصحيحة أركاناً ثلاثة هي:

- 1- أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه .
- 2- أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .
- 3- أن تكون القراءة صحيحة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد عبر ابن الجزري⁽²⁾ عن هذه الأركان بقوله :

« كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم»⁽³⁾

والعمدة في هذه الأركان هو " صحة السند "، إذ أنه متى تحقّق صحة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في القراءة لزم أن تكون موافقة للعربية، وموافقة لأحد المصاحف العثمانية.

وقد اجتمعت هذه الأركان الثلاثة في القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد بالاتفاق، وفي الثلاثة التي بعدها على المختار والمشهور.⁽⁴⁾

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 329، مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط18، 1990م : 248.

(2) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي ولد بدمشق (780) وتوفي بها رحمه الله سنة (833)، كان إماماً في القراءات والتجويد، درس على والده، من مصنفاته النشر في القراءة العشر، غاية النهاية في طبقات القراء، ينظر في ترجمته: (الأعلام: 1/ 227).

(3) النشر في القراءات العشر: 9/1.

(4) ينظر : إتحاف فضلاء البشر: 9، والمدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد: 19.

أنواع القراءات: (1)

نقل السيوطي عن ابن الجزري أن أنواع القراءات من حيث السند ستة :

الأولى: القراءة المتواترة : وهي ما رواها جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم، إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك، ومثالها : ما اتفقت الطرق في نقله عن القراء السبعة .

الثانية : القراءة المشهورة: وهي ما صح سندها، ووافقت العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، سواء رويت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، واشتهرت عند القراء فلم يعدوها من الغلط ولا من الشذوذ، إلا أنها لم تبلغ درجة التواتر، ومثالها: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض .

ومن أشهر ما صنف في هذين النوعين: التيسير للداني⁽²⁾، والشاطبية، وطيبة النشر في القراءات العشر، وهذان النوعان هما اللذان يقرأ بهما مع وجوب اعتقادهما، ولا يجوز إنكار شيء منهما.

الثالثة: قراءة الآحاد : وهي ما صح سندها، وخالفت الرسم أو العربية، أو وافقت الرسم والعربية ولم تشتهر بالاشتهار المطلوب.

مثالها : ما رواه الحاكم عن عاصم الجحدري عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : "مُتَكَيِّنَ عَلَى رَفَافٍ خُضِرَ وَعَبَاقِرِيَّ حِسَانٍ" في قوله تعالى: ﴿مُتَكَيِّنَ عَلَى رَفَافٍ خُضِرَ وَعَبَاقِرِيَّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: 76]، ومنه القراءة في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128] بفتح الفاء "أَنْفُسِكُمْ"، وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده .

(1) ينظر ذلك : الإتيان : 234/1، 235، وينظر أيضا : مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: 297/1، واللائي الحسان في علوم القرآن، للدكتور موسى شاهين لاشين: 97، 98 .

(2) هو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ولد بدانية بالأندلس سنة (371)، كان له ترحال إلى المشرق للحج وللتعلم، له مشاركة في التفسير والقراءات والحديث، صنف أكثر من مائة مصنف، منها المقنع في رسم مصاحف الأمصار، التيسير في القراءات السبع، توفي ببلدته دانية سنة (444)، ينظر في ترجمته: (الأعلام: 4 / 206).

الرابعة: القراءة الشاذة : وهي ما لم يصح سندها، كالقراءة في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] بصيغة الفعل الماضي، ونصب يوم "مَلِكِ يَوْمٍ".

الخامسة: القراءة الموضوعية : وهي ما نسبت إلى قائل من غير أن يكون لها أصل .
كقراءة الخزاعي المنسوبة إلى عمر بن عبد العزيز⁽¹⁾ وأبى حنيفة⁽²⁾ رحمهما الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] برفع لفظ الجلالة ونصب "العلماء".⁽³⁾

السادس: القراءة التي تشبه المدرج من الحديث، وهي ما زيد في القرآن على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌّ أَوْ أُخْتٌ﴾ [النساء: 12] بزيادة لفظ: من أم.

فوائد تعدد القراءات: (4)

وراء اختلاف القراءات القرآنية وتعدد فوائدها كثيرة منها :

1- ما يكون لبيان حكم شرعي مجمع عليه بين العلماء، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌّ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: 12]، قرأ سعد

(1) هو الخليفة الصالح الزاهد أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي القرشي، الملك العادل، يقال له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، من ملوك الدولة مروانية الاموية بالشام، ولد بالمدينة سنة (61) ونشأ بها، كان إماماً حافظاً علامة مجتهداً زاهداً عابداً، ولي الخلافة بعهد من سليمان سنة (99)، سكن الناس في أيامه، منع سب علي بن أبي طالب، ولم تطل مدته، توفي سنة (101) ومدة خلافته سنتان ونصف. ينظر في ترجمته: (سير أعلام النبلاء: 5/ 114، فوات الوفيات: 3/ 133، شذرات الذهب، 1/ 119).

(2) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، اشتهر بالذكاء والزهد والرأي والفقه، له مشاركة في الحديث والجدل، توفي (150). انظر: وفيات الأعيان: 5/ 405.

(3) نسب هذه القراءة الزمخشري في الكشف، للزمخشري (538) دار المعرفة، بيروت، د.ت: 275/3، وتبعه في ذلك القرطبي: 14/ 344، وضعف أبو حيان في البحر: 7/ 298 نسبة هذه القراءة إليهما، وأبطل السيوطي في الإتيان هذه النسبة، ينظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (911)، تحقيق: أحمد علي، دار الحديث، القاهرة، 2004م: 1/ 248.

(4) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 28/1، 29، 52، 53، وينظر أيضاً: الإتيان للسيوطي 1/ 245، 246، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني 104/1، 105، والقراءات وأثرها في علوم العربية للدكتور محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1984م: 1/ 37-39، وفي علوم القراءات: 146.

بن أبي وقاص: " وله أخ أو أخت من أم " بزيادة لفظ " من أم " فتبين بها أن المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأُم دون الأشقاء ومن كانوا لأب، وهذا أمرٌ مجمعٌ عليه بين الفقهاء .

2- ومنها: ما يكون مرجحاً لحكم اختلف فيه، كقوله سبحانه وتعالى في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: 89]، وجاء في قراءة: " أو تحرير رقبة مؤمنة " بزيادة لفظ " مؤمنة "، فتبين بها اشتراطُ الإيمان في الرقيق الذي يعتق كفارة يمين.

3- ومنها: الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين، كقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَلُوا نِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرِبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ [البقرة: 222]، حيث قرئ بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من ﴿يطهرن﴾⁽¹⁾، ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى؛ أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين :

أحدهما: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض

ثانيهما: أنها لا يقربها زوجها أيضاً إلا إن بالغت في الطهر وذلك بالاغتسال فلا بد من الطهرين كليهما في جواز إتيان النساء.

4- ومنها: الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين : كقوله تعالى في بيان الوضوء: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6]، حيث قرئ بنصب لفظ ﴿أَرْجُلَكُمْ﴾ وبجرها على ما سنبينه في هذه الدراسة بإذن الله.

5- ومنها: ما يكون مفسراً لما لعله لا يُعرف نحو قوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5]، قرئ " كالصوف المنفوش " فبينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف .

(1) قرأ حمزة والكسائي وشعبة بالتشديد: ﴿يَطْهَرْنَ﴾، وقرأ الباقر بسكون الطاء وضم الهاء مخففة. ينظر: غيث النفع، للصفافسي (1053-1118) مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط3، 1373: 161، 162.

6- ومنها: تجليه عقيدة ضلَّ فيها بعض الناس : نحو قوله تعالى في وصف الجنة وأهلها: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: 20]، حيث جاءت القراءة بضم الميم وسكون اللام في لفظ ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، وجاءت قراءة أخرى بفتح الميم وكسر اللام في هذا اللفظ نفسه، فرفعت هذه القراءةُ الثانيةُ نقابَ الخفاء عن وجه الحق في عقيدة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة؛ لأنه سبحانه هو الْمَلِكُ وَحْدَهُ في تلك الدار: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

7- ومنها: ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة؛ إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق ما جاء به صلى الله عليه وسلم .

8- ومنها: إعظام أجور هذه الأمة وبيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطيف، فلم يهملوا تحريكا ولا تسكينا، ولا تفخيما ولا ترقيقا، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الإملات، وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لا يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام باري النسم.

10- ومنها: سهولة حفظ كتاب الله تعالى، وتيسير نقله على هذه الأمة، فإن من يحفظ آية واحدة في كلماتها أوجه متعددة يجد من اليسر والسهولة ما لا يجده لو كان كل وجه في آية مستقلة.

11- ومنها: أنها حفظت كثيراً من لغات العرب، ولهجاتهم من الضياع والاندثار، لأنها استعملت أفصح ما عندهم، وبذلك خلدت لغتهم وذكرهم، وفي ذلك من المنّة عليهم ما لا يخفي.

مواقف النحويين من القراءات القرآنية

شغلت القراءات القرآنية أذهان النحاة منذ نشأة النحو، وذلك لأن النحاة الأوائل الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قرّاء كأبي عمرو بن العلاء، ولعل اهتمامهم بهذه القراءات هو الذي وجههم إلى الدراسات النحوية؛ ليلانموا بين القراءة والعربية، وبين ما رووا وسمعوا من القراءة، وبين ما رووا وسمعوا من كلام العرب.⁽¹⁾

وتبدو العلاقة الأولية التي تربط علم النحو بالقراءات في الشروط الثلاثة التي وضعها العلماء للقراءة الصحيحة.⁽²⁾

وإذا كانت موافقة العربية - ولو بوجه - شرطاً من شروط صحة القراءة، فهذا لا شك يبين لنا العلاقة الوثيقة بين القراءات و النحو؛ فالقراءات القرآنية بكل أنواعها سواء ما تواتر منها أو شذ كانت أرضاً خصبة جال فيها علماء النحو وأخذوا منها ما أخذوا، و ردوا منها ما ردوا حتى كونوا بذلك ثروة نحوية عظيمة لا زلنا نقلب صفحاتها على مر السنين.⁽³⁾

والذي ينظر الأثر الذي خلفته القراءات القرآنية في القواعد النحوية يتبين أن النحاة لم يكونوا بمنأى عن القراءات القرآنية، بل إن القراءات كانت المصدر الأول في بناء القواعد سواء ما تواتر منها أو شذ، ويبدو ذلك واضحاً في كتب النحو - قديمها وحديثها - فقد حفلت هذه الكتب بآلاف القراءات القرآنية التي بنى عليها النحاة قواعدهم، أو أيدوا ووثقوا بها هذه القواعد، أو ردوا بها قواعد جاءت مخالفة لها، وليس ذلك غريباً فقد كان الكثير من النحاة بجانب توسعهم في علم النحو كانوا كذلك قرّاء مرموقين من أمثال، أبي عمرو بن العلاء و حمزة والكسائي وغيرهم.

موقف نحاة البصرة ومن تبعهم:

تعددت مواقف اللغويين تجاه القراءات القرآنية عدة أنحاء فكان نحاة البصرة الذين يجعلون القراءات القرآنية مصدراً من مصادر الاحتجاج عندهم إذا وافقت المقاييس والقواعد التي وضعوها وسنوها؛ فما وافق هذه القواعد قبلوه، وما عارض هذه القواعد رفضوه وردوه وطعنوا

(1) أثر القراءات في الدراسات النحوية د. عبد العال سالم مكرم : 55.

(2) البرهان في علوم القرآن: 133/1، مناهل العرفان: 1/ 413، 16 النشر: 10/1.

(3) أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، محمد سمير اللبدي، دار الكتب الثقافية، الكويت الطبعة الأولى 1978م: 347.

فيه، واتهموه باللحن، والخطأ، والخروج عن كلام العرب، فهم إذا ينظرون إلى القراءات نظرة حيطة وحذر ولا يقبلون منها إلا ما اتفق مع القواعد التي وضعوها.

يقول الباحث عبد الحميد السيد: « وإذا كان البصريون قد جعلوا القرآن الكريم وقراءاته مصدراً من مصادرهم، فإنهم لم يأخذوا القراءات في جملتها مصدراً لهم، وإنما أرادوا أن يطبقوا عليها قواعدهم ومقاييسهم فما وافق تلك القواعد والمقاييس دون حاجة إلي تأويل قبلوه في الدرجة الأولى، وما طابقها مع التأويل اعتبروه في الدرجة الثانية، أما ما لم يوافق مقاييسهم وقواعدهم - ولو بالتأويل - فقد رفضوه واعتبروه نادراً أو شاذاً». (1)

وهذا الموقف من البصريين جعل كثيراً منهم يطعن في بعض القراءات القرآنية التي ثبت تواترها ومن ذلك قراءة حمزة بجر الأرحام في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1] بجر الأرحام عطفًا على الهاء في ﴿به﴾، وتشددوا على من يقرأ بها حتى ذكر عن المبرد أنه قال: لو صليت خلف إمام يقرأ بها لأخذت نعلي ومضيت. (2)

ويعجب الفخر الرازي من موقف أولئك الذين يرفضون هذه القراءة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة ببيتين مجهولين لم يعرف لهما قائل (3)

وفي قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: 78] قرأ الحسن "أطهر" بالنصب، وقد طعن كثير من البصريين في هذه القراءة من بينهم أبو عمرو بن العلاء القارئ كما ذكر ذلك عنه. (4)

أخذ كثير من العلماء عليهم هذا التوجه وهاجمهم عليه؛ فمن هؤلاء العلماء السيوطي حيث قال: « كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك فإن قراءتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها، وثبت ذلك دليل على جوازه في العربية». (5)

(1) تاريخ النحو وأصوله، عبد الحميد السيد طلب، مكتبة الشباب، القاهرة، : 82

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، : 3 / 238.

(3) ينظر: تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1405: 64 / 9.

(4) ينظر: ارتشاف الضرب، لأبي حيان (745)، تحقيق: مصطفى النماس، مكتبة المدني، القاهرة: 1 / 489.

(5) الاقتراح في أصول النحو، للسيوطي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، 1420، : 52.

كما هاجمهم الرازي على هذا الصنيع حيث قال: « إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم فإذا جعلوا ورود البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان أولى». (1)

كما رد عليهم أبو حيان طعنهم في القراءات في أكثر من موضع في البحر المحيط كما في قوله: « فإن لسان العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه»، وقوله: « ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة». (2)

موقف نحاة الكوفة ومن تبعهم

كان الكوفيون على العكس تماما فقد سلكوا مسلكاً آخر فقد كانت مدرستهم تعتد بالقراءات متواترها وشاذها وتجعلها أساسا لاستخراج كثير من الأحكام لأنهم يرون أن القراءات من المصادر المهمة للوقوف على معرفة الاختلاف بين اللهجات العربية والقراءات هي المصدر الصحيح لهذا، وهي التي تمثلت فيها اللهجات العربية أحسن تمثيل وأتمه وبخاصة أن قراء القرآن كانوا غاية في الدقة وقمة في الضبط والإحكام وصحة الرواية. (3)

فقد كان الكوفيون أكثر اعتمادا على القراءات وأخذاً بها والتفافاً حولها فهي في نظرهم أولى من بيت لا يعرف قائله أو قول قد يصح أو لا يصح فهي أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر وغيره، مما هياً لهم أن جعلتهم يعتمدون في مذهبهم على القرآن الكريم وقراءاته في بناء قواعدهم، والناظر في المذهب الكوفي يرى أن كثيرا من قواعده ومبادئه كانت قائمة على القرآن الكريم وقراءاته، ومن بين تلك القواعد أنهم أجازوا العطف على المجرور من غير إعادة الجار استنادا إلى قراءة حمزة، كذا أجازوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور استنادا إلى قراءة ابن عامر.

(1) مفاتيح الغيب، للرازي: 3/ 193.

(2) البحر المحيط: 2/ 754.

(3) تاريخ النحو وأصوله: 193.

موقف أبي البقاء العكبري من القراءات

يلاحظ المطلع والدارس لأبي البقاء نزعتَه البصرية، فهو في التبيان في إعراب القرآن متابع للبصريين ومنتصرا لهم كما مر في ذكر مذهبه، وهذه المتابعة والانتصار جعلاه يأخذ مواقفهم في الطعن على القراءات، إلا أن هذه المواقف قد خفت وطأتها ولم تعد تطعن في صحة القراءة، كما هو حاله عندما ذكر قول الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1] قال: ويقرأ بالجر ... وهذا لا يجوز عند البصريين، وأجازه الكوفيون على ضعف.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: 271] يذكر في ﴿نعما﴾ قراءة بإسكان العين والميم، ثم يضعف هذه القراءة بقوله: «وهو بعيد» معتمدا على القياس في تضعيف قراءة شيوخ القراءة والعربية: قالون وأبي عمرو في أحد وجهيهما، وسبب هذا البعد عنده أنه لو قرئ بالسكون لاجتمع ساكنان، وهو لا يصح عند النحويين، وقوى أن الراوي لم يضبط القراءة.⁽²⁾

ويذكر في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ [هود: 107]: وقرئ بضمها وهو ضعيف، وهو غير معروف في اللغة ولا هو مقيس.⁽³⁾

وفي ذكره القراءات في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [الأنعام: 137] يرفض أبو البقاء قراءة ابن عامر بقوله: «وهو بعيد وإنما يجيء في ضرورة الشعر».⁽⁴⁾

ويذكر في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ﴾ [الأعراف: 10] أن الياء لا تهمز، ثم يتعرض لذكر قراءة الهمز⁽⁵⁾ قائلا: وهو بعيد جدا.⁽⁶⁾

(1) ينظر: التبيان: 1 / 327، وسيأتي التعرض لهذه الآية في الفصل الرابع.

(2) التبيان: 1 / 221، وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: 316/1.

(3) التبيان: 2 / 715، وهي قراءة سبعية، قرأ بها حفص وحمزة والكسائي، ينظر: الروضة: 2 / 713.

(4) ينظر: التبيان: 1 / 541، وسيأتي التعرض لهذه الآية في الفصل الرابع.

(5) وهي قراءة خارجة بن مصعب، أحد الذين روى القراءة عن نافع، ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 7 / 167.

(6) التبيان: 1 / 558.

ومثال آخر يوضح بجلاء موقفه السلبي من القراءات، قائلاً في قراءة ﴿وَلَا يُضَارَّ﴾ [البقرة: 282] بالإسكان: وهي ضعيفة⁽¹⁾

وهذه الأمثلة أوضح دليل على موقف أبي البقاء من القراءات القرآنية التي تابع فيها أسلافه البصريين في الجراءة على رد قراءات قد ثبت تواترها، واشتهر أصحابها.

كذلك من ملامح الطعن في القراءات عند أبي البقاء ما يذكره في ثنايا أقواله من مثل قوله: "وهو ضعيف"،⁽²⁾ "والجيد"⁽³⁾، و"هي لغة ضعيفة جداً"⁽⁴⁾ "وهو بعيد"⁽⁵⁾، "وهو عند البصريين خطأ"⁽⁶⁾، و غير ذلك مما يفهم منه رائحة التعرض للقراءات.

وهذه الطعون ليست طعوناً في القرآن كما هو واضح، وإنما هي طعون في سند القراءة، ذلك أنه ذكر: "لا تقرأنَّ إلا بما نقل"⁽⁷⁾، وقوله كثيراً: "يجوز في غير القرآن"،⁽⁸⁾ وقوله "أن الراوي لم يضبط القراءة".⁽⁹⁾

-
- (1) ينظر: التبيان: 1/ 231، وهذه القراءة قراءة أبي جعفر قارئ المدينة، ينظر: (الروضة في القراءات الإحدى عشرة، لأبي الفضل البغدادي(438)، تحقيق: مصطفى محمد سلمان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1: 1424 : 2/ 580).
 - (2) ينظر: التبيان: 1/ 66، وذلك في كلامه على قراءة الإدغام في قوله تعالى: ﴿يُغْفَرُ لَكُمْ﴾ [البقرة: 57].
 - (3) التبيان: 1/ 69، في قوله تعالى ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: 61]، 1/ 130، في قوله ﴿شَعَائِر﴾ [البقرة: 158].
 - (4) التبيان: 1/ 167. في قوله: ﴿وَيُهِلِكَ الْحَرْتُ وَالنَّسْلُ﴾ [البقرة: 205]، عندما تعرض لقراءة الجر: "يهلك".
 - (5) التبيان: 1/ 221.
 - (6) التبيان: 2/ 1060، عندما ذكر قول الله تعالى: ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: 53]
 - (7) التبيان: 1/ 336.
 - (8) ينظر: التبيان: 1/ 139.
 - (9) التبيان: 1/ 327.

المبحث الثالث: علم توجيه القراءات

نشأة علم التوجيه والاحتجاج للقراءات:

بزغت البواكير الأولى لهذا الفن في هيئة ملاحظات أولية تروى عن بعض الصحابة والتابعين والقراء، ولم تكن هذه الوقائع تخص قراءة بعينها أو عددا من القراءات، وإنما كانت ترد عند الحاجة، ويدعو إليها اختيارهم وجها قرائيا على آخر، وكانت تعتمد في الغالب على حمل لفظ القراءة على نظيره من القرآن الكريم.⁽¹⁾

من ذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يقرأ ﴿نُنشِرُهَا﴾ بالراء المهملة، وفتح النون من قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا﴾ [البقرة: 259]، ويحتج لقراءته بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: 22]، وهو بذلك يذهب إلى أن معنى "ننشرها": نحبيها،⁽²⁾ و﴿نُنْشِرُهَا﴾، ﴿نُنْشِرُهَا﴾ قراءتان متواترتان.⁽³⁾

كما قرأ ابن عباس قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾، [يوسف: 110] بالتخفيف، وفسر ذلك بأن الرسل ظنت أنهم قد كُذِّبُوا فيما وعدوا من النصر، وكانوا بشرا، فضَعُفُوا وَيَسَّوْا، وظنوا أنهم قد أخلفوا، كما قال الله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 214]، فإذا كان كذلك جاء نصر الله للرسول.⁽⁴⁾

ونقل عن عائشة رضي الله عنها أنها ردت هذا التفسير، حيث خالفت ذلك وأبته، وقالت: ما وعد الله رسوله من شيء إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت، ولكنه لم يزل البلاء بالرسول حتى

(1) ينظر: أبو علي الفارسي: حياته مكانته بين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط3، 1989م،: 159 وما بعدها.

(2) معاني القرآن: للفراء، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م: 173 / 1.

(3) قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وعاصم "ننشزها" بالزاي، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالراء؛ غيث النفع: 169، وينظر الجامع لأحكام القرآن: 3 / 295، جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (310)، تحقيق: أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400: 455 / 5.

(4) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، تحقيق: سيد بن إبراهيم بن صادق، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1413، 85 - 87.

ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم، وكانت تقرأ: ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ بالتثنية،⁽¹⁾ والتخفيف والتشديد قراءتان متواترتان.⁽²⁾

وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ قول الله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: 23] بفتح الياء وضم الدال "يُصْدِرُ" من الفعل الثلاثي صدر، وليس من الرباعي أصدر، ويَحْتَجُّ لاختياره هذا بأن المراد من ذلك حتى ينصرف الرعاء عن الماء، ولو كان (يصدر) لكان الوجه أن يذكر المفعول فيقول: حتى يصدر الرعاء ماشيتهم، فلما لم يذكر مع الفعل مفعولا علم أنه غير واقع وأن "يُصْدِرُ" بمعنى ينصرفون عن الماء، وقرأ الباقر بضم الباء وكسر الدال أي حتى يصدر الرعاء غنمهم عن الماء.⁽³⁾

وفي كتب اللغة والأصول وعلوم القرآن ومعانيه وإعرابه جملة وافرة من توجيه القراءات بالاحتجاج لها، يتبلغ بها اللغويون إلى الاستشهاد على بعض قواعدهم، أو إلى ترجيح وجه لغوي على آخر، ويعتضد بها الفقهاء في استنباط الأحكام، ويستعين بها المفسرون على المعاني التي تتضمنها الآيات.

فها هو سيبويه يملأ كتابه بالاستشهاد بالقراءات ولها، ويمكن أن يعد ذلك مذهب أستاذه الخليل؛ إذ كان سيبويه كثير النقل عنه والتأثر به، ومن المحتمل أن يكون ألف في المائة الثالثة رسائل في الاحتجاج للقراءات، وإن لم يصل إلينا علم شيء منها⁽⁴⁾

وكان أول من ألف في الاحتجاج للقراءات السبعة وتوجيهها أبو بكر بن السراج المتوفى سنة (316)، ولكنه لم يتم كتابه ولم يصل إلينا، ولم تذكر المصادر اسم هذا الكتاب، وتوالى بعد ذلك النحويون يؤلفون ويوجهون.⁽⁵⁾

(1) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾، رقم الحديث: 4695، ينظر: فتح الباري: 8 / 217.

(2) ينظر في ذلك: البحر المحيط لأبي حيان، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود: 1 / 358، جامع البيان "تفسير الطبري": 16 / 309.

(3) حجة القراءات، لابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، جامعة بنغازي، ط1، 1974م : 543 .

(4) حجة القراءات: 20-21، من مقدمة الكتاب.

(5) ينظر: التوجيهات والآثار النحوية للقراءات الثلاثة بعد السبعة، للدكتور علي محمد فاخر، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1420، 1999م : 1 / 26.

وأول أثر يصلنا في هذا العلم هو كتاب "الحجة في علل القراءات السبع" لأبي علي الفارسي،⁽¹⁾ ومن أوائل من تتبع القراءات القرآنية توجيهها وبيان ابن جرير الطبري⁽²⁾ وذلك في ثنايا تفسيره "جامع البيان" حيث عني رحمه الله بذكر وجوه القراءات المختلفة، وبيان حجة كل منها من حيث اللغة والاستشهاد لها بما يأتي به من شواهد الشعر والنثر.

(1) حجة القراءات: 21.

(2) هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310) مؤرخ، مفسر، عاش ببغداد، من مؤلفاته: أخبار الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، وتفسيره المسمى جامع البيان، ينظر ترجمته: (وفيات الأعيان: 4/ 191) .

مفهوم توجيه القراءات والاحتجاج لها:

إن الباحث في توجيه القراءات يجد أنه قد ذاعت لهذا الفن أسماء آخر تتمثل في مؤلفات المهتمين بهذا العلم، مثل "حجة القراءات"، "وجوه القراءات"، "معاني القراءات"، و"إعراب القراءات"، "علل القراءات" وتجتمع هذه الأسماء كلها تحت مصطلح "الاحتجاج" الذي يعد أعمها دلالة، وأكثرها شيوعاً في محيط الدراسات اللغوية.

الاحتجاج لغة: (1)

الاحتجاج في اللغة افتعال من الحجّ وهو القصد، والحجة: الدليل والبرهان، وهي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، أو ما دُلَّ َ َ َ َ به على صحة الدعوى، والجمع حُجَج وَحِجَاج، وإنما سميت الحجة حجة؛ لأنها تُحجُّ أي تقصد؛ لأن القصد لها وإليها، واحتج بالشيء: اتخذه حجة.

إذن الاحتجاج على هذا الأساس: هو تلمس الحجة، ثم الإبانة عنها وإيضاحها.

الاحتجاج اصطلاحاً:

ضنّت مصادر هذا الفن بتقديم تعريف جامع مانع له، بحيث يكون التعريف منصوباً، ولكن هناك إلماحات إلى التعريف في عناوين الكتب التي تكشف عن مادته وهدفه، فهناك مثلاً كتاب بعنوان "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها" لمكي بن أبي طالب،⁽²⁾ وآخر بعنوان: "المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها" لابن جني، ولعل أقرب ما يعرف به أنه: "فن يعنى بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، وبيانها والإيضاح عنها".

(1) ينظر: لسان العرب: 2/ 226 (حجج)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 2/ 29 (حجج)، التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان، القاهرة، 1403: 112.

(2) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ، ولد بالقيروان، ورحل إلى الأندلس، تبحر في علوم القرآن والعربية، ولد سنة (355) كانت له رحلة إلى مصر، ثم إلى الأندلس، أقرأ بجامع قرطبة إلى أن توفي سنة (437)، من تصانيفه: الحجة، الرعاية لتجويد القراءة، ينظر في ترجمته: (وفيات الأعيان: 5/ 273-277).

من هنا جاء لفظ الاحتجاج؛ فقد انبرى العلماء المحتجون لتوضيح حججهم، ولعل الداعي إلى سلوك هذا المنهج هو بيان اختيار القارئ للقراءة بهذا الوجه، والبرهنة على صحة القراءات الصحيحة، للرد على من يرتاب في صحتها، كما يساعد ذلك على بيان ثراء معاني القرآن العظيم، وتنوع دلالاته المنبثقة عن تنوع القراءات.

التوجيه لغة:

التوجيه: مصدر للفعل " وَجَّهَ " وأصله من الوجه، ووجه الكلام: السبيل الذي نقصده به، ويقال في المثل: وَجَّهَ الحجر وجهةً ما له،⁽¹⁾ أي: ضعه على وجهه اللائق به.⁽²⁾

التوجيه اصطلاحاً:

يدور التوجيه حول بيان الوجه المقصود من القراءة، أو تلمس الأوجه المحتملة التي يجري عليها التباين القرآني في مواضعه.

فالزركشي⁽³⁾ يجعل النوع الثالث والعشرين من علوم القرآن في «معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ»، ويرى أنه فن جليل، وبه تعرف جلاله المعاني وجزالتها، وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحاً.⁽⁴⁾

بين التوجيه والاختيار:

شاع في محيط الدراسات اللغوية التي تُعنى بالقراءات القرآنية إلى جانب مصطلحي الاحتجاج والتوجيه، مصطلح الاختيار، وهو مصطلح له دلالاته الخاصة، المستقلة عن مفهوم التوجيه والاحتجاج، لكن استعمال بعض العلماء لهذا المصطلح في أثناء توجيههم للقراءات

(1) المعنى : وجه الحجر وجهةً ووجهة ، يعني أن للحجر وجهةً ما ، فإن لم تقع موقعا ملائما فأدره إلى جهة أخرى فإن له حال ملائمة، إلا أنك تخطئها ، يضرب في حسن التدبير؛ أي لكل أمر وجه، لكن الإنسان ربما عجز ولم يهتد إليه. انظر : مجمع الأمثال للميداني ، تح: محمد محيي الدين ، مطبعة السعادة ، ط2 ، 1379 ، 362/2.

(2) ينظر: لسان العرب: 13 / 557، (وجه).

(3) هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر ولد بمصر سنة (745)، تفقه على مذهب الإمام الشافعي، له مشاركة في الأصول وعلوم القرآن والفقه، من مصنفاته البحر المحيط في أصول الفقه، والبرهان في علوم القرآن، لم يعمر طويلاً، توفي سنة (794).

(4) ينظر: البرهان: 1 / 339، التوجيه البلاغي: 23 ، 24.

يستدعي الوقوف مع المصطلح؛ ليتبين مقصود العلماء به، وينبغي التفريق بين مدلولي استعمال هذا المفهوم.

فقد استعمل العلماء هذا المصطلح بعد توجيههم للقراءات وبيان الحجة لكل منها، ثم يردف بعضهم ذلك بقوله: «والاختيار عندي قراءة كذا»، كما كان يفعل ابن خالويه⁽¹⁾، ومن قبله الإمام الطبري، وهذا الاستعمال في هذا السياق يحدد أن المقصود بلفظ "الاختيار" الوجه المُرَجَّح، الذي له أولوية القبول من بين وجوه القراءة، وهم بذلك يفضلون قراءة صحيحة على مثلها، ويحكمون بجواز تفاضل القراءات المتواترة من حيث المعنى والدلالة، وهو ما قوبل بالرفض.

(1) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، النحوي اللغوي، دخل بغداد وأدرك ثلة من العلماء منهم ابن الأتباري والسيرافي، ثم انتقل إلى الشام واستوطن حلب، وجلس للإقراء بها وقصدته الطلبة من كل حدب، توفي سنة (370) بحلب، ينظر في ترجمته: (بغية الوعاة: 1/ 529، الوفيات: 2/ 179).

الاختيار في اللغة:

الاختيار في اللغة: الاصطفاء والانتقاء، واختار الشيء على غيره: فضله عليه، وكذلك التخيّر، ويقال خيرته بين الشيئين: فوضت إليه الخيار، والخيار: الاسم من الاختيار.⁽¹⁾

أما معناه في الاصطلاح: فهو أن يعمد المتأهل إلى القراءات المروية، فيختار منها ما هو الراجح عنده، ويجرد من ذلك طريقاً في القراءات على حده.⁽²⁾

قال القرطبي⁽³⁾: وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار مما روي وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به، ونسب إليه، فقليل: حرف نافع، حرف ابن كثير.⁽⁴⁾

وقد كان لكبار القراء اختيارات عن شيوخهم الذين تلقوا منهم، فقد كان شعبة يقول: انظر ما يقرأ أبو عمرو مما يختار لنفسه، فإنه سيصير إسناداً.⁽⁵⁾

قال ابن خالويه: « وبعد فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار المعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع، وقصد من القياس وجهها لا يمنع، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار»⁽⁶⁾

إذا مفهوم الاختيار في القراءات القرآنية يعني أن يختار القارئ من التابعين أو تابعي التابعين قراءة موصولة السند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من مجموع الروايات التي أخذها عن شيوخه، مجتهداً في اختياره.

(1) لسان العرب: 4/ 266 (خير).

(2) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، الطاهر الجزائري، درا المنارة، القاهرة: 90.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي المفسر، كان ذا حظ من دين وتعبد وصلاح، نشأ بقرطبة، ثم رحل إلى الشرق واستقر بمصر حتى توفي بها سنة (671)، من مصنفاته: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة، ينظر في ترجمته: (الأعلام: 5/ 322).

(4) الجامع لأحكام القرآن: 1/ 50.

(5) غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري: 1/ 290.

(6) الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه: تحقيق: عبد العال مكرم، دار الشروق، بيروت، ط3، 1399 : 61، 62.

فالقارئ لا يخترع قراءته، ولا يؤلف عناصرها من عند نفسه، بل يجتهد في انتخاب الرواية، فالاختيار لا يكون إلا مما رواه الأئمة: «وليس لأحد أن يأتي بوجه آخر لم ينقله علماء القراءة بزعم الاختيار؛ لأن الاختيار أساسه الرواية كما هو ظاهر من تاريخ القراءات»⁽¹⁾.

(1) ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1408، : 99-101، وينظر: مفهوم الاختيار في القراءات القرآنية: لخليل السامرائي، مجلة كلية المعارف الجامعة، الأنبار، العدد الرابع، السنة الثالثة، 1423، :11.

الفصل الثاني: التوجيهات الصوتية

ويضم عدة مباحث:

المبحث الأول : الهمز.

المبحث الثاني: الإدغام

المبحث الثالث: الإبدال

المبحث الرابع: الاختلاس والإشباع

المبحث الخامس: التشديد والتخفيف.

المبحث الأول: الهمز

من المسائل الصوتية مسألة الهمز، لما لها من علاقة وثيقة أصيلة باللسان العربي وتبعاً لذلك القراءات القرآنية واللهجات العربية التي يذهب بعضها إلى تحقيق الهمز ويذهب بعضها الآخر إلى تخفيفه أو تسهيله وتحقيق الهمز سمة لهجية عند القبائل البدوية التي منها أسد وتميم وقيس والتخفيف سمة لهجية عند الحواضر؛ إذ مالت إليه قریش وأكثر أهل الحجاز⁽¹⁾.

وتعد مسألة الهمز من أهم المسائل الصوتية في القراءات القرآنية لاختلاف صور نطقها تبعاً لما يسبقها أو ما يليها من حركات أو حروف لين، وهذا يؤدي إلى اختلاف نظرة النحويين والقراء إلى الهمزة، ومن بين أولئك العلماء العكبري الذي سنعرض في هذا المبحث آراءه وتوجيهاته للهمز في أحوالها المختلفة بعد أن نعرض عرضاً سريعاً للهمزة وصفاتها وأحوالها.

الهمزة صوت مجهور⁽²⁾ كما ذهب إليه سيبويه وعلماء العربية، ومخرجها أقصى الحلق، وهي حرف شديد وهذا الذي عليه العمل، وهو المعتمد عند أهل اللغة، ولا خلاف بين القدماء والمحدثين حول وصف الهمزة بالشدة وإنما الخلاف بينهم يدور حول مخرج الهمزة ووصفها بالجهر أو بالهمس فهي عند القدماء: "من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفّه عنها لانت"⁽³⁾ وهي: حرف مجهور شديد من أقصى الحلق،⁽⁴⁾ مستنقل.⁽⁵⁾

والأحوال التي تعرض للهمز هي التحقيق والتخفيف، وهاتان الظاهرتان تشتملان الهمزة المفردة والهمزتين المجتمعتين في كلمة واحدة والهمزتين المجتمعتين من كلمتين.

(1) ينظر الكتاب : سيبويه ت 180هـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، ط1، دت: 3/ 542، شرح المفصل، لابن يعيش، مكتبة المثنى بالقاهرة: 9/ 107، البحر 6/ 163، اللهجات العربية في التراث، أحمد الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1984م: 1/ 336.

(2) الكتاب: 4/ 434، وينظر : سر صناعة الإعراب: لابن جني، تحقيق: د. حسن هندأوى، طبعة دار القلم، الطبعة الثانية 1413، 1993م : 1/ 69، شرح المفصل 9/ 107، 10/ 129.

(3) العين للخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط1409، 2 : 52/1.

(4) الكتاب: 433/4، 434، وينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني: 1/ 46.

(5) شرح المفصل لابن يعيش 9/ 107 .

وللهمز عند كل فريق علل وحجج يوجه بها ما يذهب إليه من تخفيف أو تحقيق، إلا أن الغالب أن أهل البدو يحققون، وسبب ذلك أنهم يميلون إلى السرعة في الكلام، أما أهل الحضر فلكونهم يتأنون في نظمهم أهملوا الهمز في نطقهم.⁽¹⁾

ومن استقراء القراءات القرآنية في هذا الباب "باب الهمز" وجدت أن لها عدة حالات فاستعنت بالله في عرضها و نقل توجيهاتها، فأقول وبالله التوفيق:

التحقيق هو إعطاء كل حرف حقه، وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم محققاً⁽²⁾ والتحقيق يكون للهمزة مفردة، أو لهزتين في كلمة واحدة، أو همزتين متجاورتين من كلمتين، والأصل تحقيق الهمزة المفردة في فاء الفعل أو عينه أو لامه، ولو خُفِّفَ لَظَنَّ ظانُّ أن الكلمة ليست مهموزة أصلاً⁽³⁾؛ وقد يكون تخفيفها أثقل على القارئ من تحقيقها لذا يكون التحقيق أولى⁽⁴⁾

الهمز المفرد

من ذلك:

﴿هُزُوا﴾ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوا﴾ [البقرة:67].

قال أبو البقاء: وفيه ثلاث لغات: الهمز وضم الزاي، والهمز وسكون الزاي، وقلب الهمزة واواً مع ضم الزاي، قال: وربما سُكِّنَتِ الزاي أيضاً.⁽⁵⁾

قرأ حمزة ﴿هُزُوا﴾ ساكنة الزاي مهموزة، والوجه فيها أنه خَفَّفَ المضمومة ﴿هُزُوا﴾⁽⁶⁾، وقرأ الباقون ﴿هُزُوا﴾ بضم الزاي، وهما لغتان: التخفيف والتثقيل، أي ضم الزاي؛ وحكى الأخفش

(1) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة : 30، 31.

(2) ينظر: النشر في القراءات العشر 1/ 205.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1981م : 1/ 80.

(4) الكشف : 1/ 85، وينظر: حجة القراءات لأبي زرعة، دراسة تحليلية، د. هشام النعيمي، دار الفكر، بيروت، ط1، 2005م : 18.

(5) ينظر: التبيان في إعراب القرآن : 1/ 74.

(6) ينظر: إعراب القراءات الشواذ، للعكبري، تحقيق: عبد الحميد السيد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ط1، 2004م : 1/ 27.

عن عيسى بن عمر⁽¹⁾ أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم ففيه لغتان: التخفيف والتثقل، نحو: اليسر والعسر والهزء؛⁽²⁾ وقرأ حفص بغير همز بسبب كراهية الهمز بعد ضمتين في كلمة واحدة فَلَيَنَّهَا، قال القرطبي « ويجوز تخفيف الهمزة، تجعلها بين الواو والهمزة، وجعلها حفص واوا مفتوحة قبلها ضمة فهي تجري على البدل، وقرأ حمزة وخلف ﴿هَزُؤًا﴾ بسكون الزاي وقلب الهمزة واوا، ومن هذا يتبين أنها أربع لغات؛ وقد قرئ بها جميعاً، وهي من القراءات السبع»⁽³⁾

ومثل ﴿هَزُؤًا﴾، قوله تعالى: ﴿كُفُّوا﴾. [الإخلاص: 4].⁽⁴⁾

وكذلك في قوله تعالى ﴿رُؤْيَاكَ﴾ [يوسف: 5]، قرئ فيها بواو مكان الهمزة، لانضمام ما قبلها، وفي قوله ﴿الذِّئْبُ﴾ [يوسف: 13] يقرأ بالهمز، وقرئ بالياء على التخفيف، وفي قوله ﴿دَابًّا﴾ [يوسف: 47]؛ قرئ فيه بإسكان الهمزة وفتحها، ويقرأ بألف من غير همز على التخفيف.⁽⁵⁾

وقوله تعالى ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: 92]؛ قرئ بالهمز وبتخفيفه، وفيه وجهان⁽⁶⁾: أحدهما: أنه خفف الهمزة فقلبها ألفا فصار كالمقصور، والثاني: أنه حذفها حذفاً فبقي مثل: « دم ».

وفي قوله تعالى ﴿يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ﴾ [آل عمران: 13]

(1) هو أبو عمرو عيسى بن عمر النحفي البصري، من أئمة النحو، كانت له صحبة مع أبي عمرو بن العلاء، تتلمذ عليه سيبويه والخليل، قيل عنه إنه أول من هذب النحو ورتب أبوابه، كانت له مصنفات عديدة، ذكر أنها تزيد عن السبعين مؤلفاً، اندثرت في وقتها، وبقي منها كتابا الإكمال والجامع بعض الوقت، وقد أشار الخليل إليهما بقوله:

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

توفي سنة (149)؛ ينظر في ترجمته: (إنباه الرواة: 2/ 374، نزهة الألبا: 25، وفيات الأعيان: 3/ 486).

(2) ينظر: معاني القرآن للأخفش، تحقيق: د. فائز فارس: 1/ 103.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 1/ 447.

(4) ينظر: التبيان: 2/ 1309؛ قرأ حفص بإبدال الهمزة واوا، وقرأ الجمهور بالهمز. [غيث النفع: 401].

(5) ينظر: التبيان: 2/ 725، 734.

(6) التبيان: 1/ 380.

قرئ بالهمز وبالتخفيف؛ ويرفض أبو البقاء أن تجعل الهمزة بين بين، وذلك لقرب مخرجها من الألف، والألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، مستتباً من ذلك أن الهمزة المبدوء بها لا تكون بين بين بسبب استحالة الابتداء بالألف.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى ﴿تَوَّخَّذْنَا﴾ في قوله ﴿رَبَّنَا لَا تَوَّخَّذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286]. يقرأ بالهمز وبالتخفيف؛ قرأ الجمهور بالهمز، وقرأ ورش بتخفيف الهمز وإبدالها واوا. ⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿النَّبِيِّينَ﴾ ⁽³⁾ أين ما وجد، يقرأ بالتحقيق وبالتخفيف، فمن حقق أخذه من النبأ وهو الخبر، ومن خفف أخذه من النبوة وهو الارتفاع لأن رتبة النبي صلى الله عليه وسلم ارتفعت عن رتب سائر الخلق.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى ﴿أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: 33].

ذكر أنه يقرأ بتحقيق الهمزة على الأصل وبالياء على تليين⁽⁵⁾ الهمزة ولم يقلبها لأنه لو كان كذلك لحذفت الياء كما حذفت من قولك «أبقيهم» من بقيت.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى ﴿اشْتَرَوْا الضَّالَّةَ﴾ [البقرة: 16].

قال: همزها قوم، شبهوها بالواو المضمومة ضماً لازماً نحو أثوب، ومنهم من يفتحها إيثاراً للتخفيف ومنهم من يكسرها على الأصل في التقاء الساكنين ومنهم من يختلسها فيحذفها لالتقاء الساكنين وهو ضعيف؛ لأن قبلها فتحة والفتحة لا تدل عليها.⁽⁷⁾

(1) ينظر: التبيان 1/ 244.

(2) التبيان: 1/ 234، وينظر: غيث النفع: 171.

(3) وردت ﴿النَّبِيِّينَ﴾ في كتاب الله في ثلاثة عشر موضعاً: [البقرة: 61، 177، 213]، [آل عمران: 21، 80، 81]، [النساء: 69، 163]، [الإسراء: 55]، [مريم: 58]، [الأحزاب: 7، 40]، [الزمر: 69].

(4) التبيان 1/ 69، وينظر: لسان العرب: 1/ 163 (نبأ).

(5) التليين: هو جعل الهمزة بين الحرف الذي منه حركتها، فإن كانت مفتوحة جعلت بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة جعلت بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة جعلت بين الهمزة والواو، وقد تسمى همزة بين بين. ينظر: الرعاية: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمان، الأردن، ط2 1417 : 147.

(6) التبيان: 1/ 50.

(7) التبيان: 1/ 32.

الهمزتان

يحدث تلاقي الهمزتين في الكلمة الواحدة وفي الكلمتين المتجاورتين، ومن أمثلة تلاقي الهمزتين في الكلمة الواحدة قوله تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ء اَمَنْتُمْ ﴾ [الأعراف: 123]⁽¹⁾

فقد ذكر أبو البقاء فيها عدة قراءات قائلًا: « تقرأ بهمزتين على الاستفهام⁽²⁾ ومنهم من يحقق الثانية ومنهم من يخففها⁽³⁾ والفصل بينهما بألف بعيد⁽⁴⁾ لأنه يصير في التقدير كأربع ألفات، ويقرأ بهمزة واحدة على لفظ الخبر بغير استفهام⁽⁵⁾ أي صدقتم به ويجوز كذلك على هذه القراءة أن يكون استفهاماً ولكنه حذف همزة الاستفهام⁽⁶⁾ ».

والناظر في الآية الكريمة يجد أن قراءة ﴿ اَمَنْتُمْ ﴾ بالهمز والمد على الاستفهام تحتوي ثلاث ألفات: ألف الاستفهام للتوبيخ، والألف الوسطى ألف أفعل، والألف الأخير فاء الفعل، والأصل قبل دخول ألف التوبيخ ﴿ اَمَنْتُمْ ﴾ بهمزة بعدها ألف ملينة؛ والأصل «أمَنْتُمْ» فحُفِّفَ مثل «آدم»⁽⁷⁾؛ وقرئ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ وَاَمَنْتُمْ ﴾ بجعل الهمزة الأولى واوًا لانضمام ما قبلها.⁽⁸⁾

وفي قوله تعالى ﴿ فَقَاتِلُوا أَيِّمَةَ الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: 12]

من حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل، ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها المنقولة إليها.⁽⁹⁾

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ [الأعراف: 113].

يقرأ بهمزتين على الاستئناف وبالتحقيق⁽¹⁾ وبالتلين⁽²⁾، وبهمزة واحدة⁽³⁾ على الخبر.⁽⁴⁾

(1) ﴿ء اَمَنْتُمْ﴾ وردت في كتاب الله في [الأعراف: 123]، [طه: 71]، [الشعراء: 49].

(2) هي قراءة حمزة والكسائي، ينظر: غيث النفع: 227.

(3) وهي قراءة حفص: المصدر السابق: 227

(4) يظهر من كلام أبي البقاء هنا أن هناك قراءة بإدخال ألف بين الهمزتين كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿ ء اَنْذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة: 6]؛ ولم يقرأ أحد بها (ينظر: غيث النفع: 227، الروضة: 1 / 211).

(5) وهي قراءة ورش عن نافع وحفص، (ينظر: غيث النفع: 228، التيسير: 112).

(6) التبيان: 1 / 588.

(7) حجة القراءات: 21.

(8) التبيان: 1 / 588، وهي رواية قنبل عن ابن كثير، (ينظر: سراج القارئ، غيث النفع: 227).

(9) التبيان 2 / 637.

وفي سورة الشعراء ﴿أَيِّنَّا لَنَا لِأَجْرًا﴾، [41]، (5) كذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿ءَ انذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: 6] ذكر فيه: أنه قرئ بهمزة واحدة على لفظ الخبر، وهمزة الاستفهام مرادة، ولكنها حذفت تخفيفاً، وفي الكلام ما يدل عليها، وقرأ الأكثرون على لفظ الاستفهام ثم اختلفوا في كيفية النطق به، فحقق قوم الهمزتين ولم يفصلوا بينهما، وهذا هو الأصل، ومنهم من يحقق الأولى ويجعل الثانية بين بين: أي بين الهمزة والألف، ومنهم من يجعل الثانية ألفاً صحيحاً، وقرئ بتحقيق الهمزتين وبالفصل بينهما بالألف، ودخلت همزة الاستفهام هنا للتسوية، وذلك شبيه بالاستفهام، لأن المستفهم يستوي عنده الوجود والعدم، فكذاك يفعل من يريد التسوية، ويقع ذلك بعد "سواء" كهذه الآية، وبعد ليت شعري. (6)

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَيِّنْكُمْ لَنَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: 19]، ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ اللَّهُ﴾ [النمل: 65-60].

والهمزتان في الكلمة واحدة لهما عدة أحوال؛ ومن بين تلك الأحوال أن يفصل بين الهمزتين بحرف كما في قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ﴾، ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ وما جاء على هذا الباب، وفي هذه الحالة فإن الهمزة تأخذ حكم الهمزتين المتجاورتين في الكلمة ولا عبرة بما بينهما؛ مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام: 47، 41].

فقد ذكر أنه يقرأ فيها بالتحقيق وبالتلين فالتحقيق هو الأصل، وعند البعض تُلَيِّن للتحفيف وتحذف، وطريق ذلك أن تقلب ياء وتسكن ثم تحذف لالتقاء الساكنين وقرب ذلك حذفها في مستقبل الفعل. (7)

ومجمل القول عند التقاء الهمزتين في الاستفهام: أن قوماً حققوا ولم يفصلوا بين الهمزتين، وهذا هو الأصل، ولكن الجمع بين الهمزتين مستثقل؛ لأن الهمزة نبرة تخرج من الصدر بكلفه

(1) وهي قراءة شعبة وحمة والكسائي [بهمزتين على الاستفهام]، (ينظر : غيث النفع: 227).

(2) وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء ويدخل معها ألفاً (ينظر المصدر السابق)

(3) وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، ويدخل معها ألفاً، (ينظر المصدر السابق)

(4) التبيان : 1 / 587.

(5) لم يتعرض أبو البقاء لهذه القراءة اكتفاء بذكرها في سورة الأعراف، ينظر: التبيان: 2 / 996،

(6) التبيان 1 / 21، 22.

(7) التبيان 1 / 494.

فالنطق بها يشبه التهوع، فإذا اجتمعت همزتان كان أثقل على المتكلم فمن هنا لا يحققها أكثر العرب، ومنهم من يحقق الأولى ويجعل الثانية بين بين، أي: بين الهمزة والألف، وهذه في الحقيقة همزة ملينة وليست ألفاً، ومنهم من جعل الثانية ألفاً صحيحاً كما في «آدم»، «آمن»، ومنهم من يلين الثانية ويفصل بينها وبين الأولى بألف، ومنهم من يحقق الهمزتين ويفصل بينهما بألف، ومن العرب من يبدل الأولى هاء ويحقق الثانية، ومنهم من يلين الثانية مع ذلك، ولا يجوز أن يحقق الأولى ويجعل الثانية ألفاً صحيحاً ويفصل بينهما بألف لأن ذلك جمع بين ألفين.⁽¹⁾

الهمزتان من كلمتين

من استقرار القراءات القرآنية نجد أنه في بعض الآيات يحدث التقاء همزتين من كلمتين متجاورتين⁽²⁾، ولتجاوز الهمزتين تسع صور أو أوجه متحققة في الواقع؛ وهي: إما أن تكون الهمزتان متفتحتين فيحصل من هذا ثلاث صور: إما أن تكونا مفتوحتين، أو مضمومتين، أو مكسورتين.

فأما المفتوحتان فكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، [الأعراف: 47]⁽³⁾، قرأ بتحقيق الهمزتين مع المد ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم، وقرأ ورش وأبو جعفر المدني وقنبل بتحقيق الهمزة الأولى وتليين الهمزة الثانية، يعوضون منها مدة⁽⁴⁾، وقرأ قالون والبزي وأبو عمرو بحذف الهمزة الأولى من غير تعويض عنها.⁽⁵⁾

(1) التبيان: 1/ 22، وينظر: الكتاب: 3/ 549، ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، للزبيدي، تحقيق: طارق الجنابي، دار الكتب، بيروت، ط1، 1987م. : 82.

(2) يقصد بالتجاور هنا التلاصق أي أن تكون الهمزة الأولى آخر حرف من الكلمة الأولى والهمزة الثانية أول حرف من الكلمة الثانية دون أن يفصل بينهما فاصل، فإن فصل بينهما لم يكونا في حكم المتجاورتين، كما في قوله: ﴿غَاءَ أَحْوَى﴾ [الأعلى: 5]، وقوله: ﴿السَّوْءَى أَنْ كَذَبُوا﴾ [الروم: 10]، ففي الآيتين السابقتين فصل بين الهمزتين، في الأولى بالتثوين، وفي الثانية بالألف، عليه لا يعتبران من الهمزتين المتجاورتين. (ينظر: سراج القارئ: 69، 70).

(3) وجملتها في القرآن تسعة وعشرون موضعاً. [ينظر: غيث النفع: 70]

(4) هنا يجتمع في الكلمة مدتان على هذه القراءة، المدة الأولى قبل الهمزة "المد المتصل" بحكم الأصل، والمدة الثانية المعوضة من الهمزة الثانية.

(5) ينظر في ذلك: سراج القارئ: 70-72، الروضة: 1/ 204، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: 45، التذكرة في القراءات الثمان، لابن غلبون (399)، تحقيق: أيمن سويد، منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط1،

وتوجيه ذلك كما يأتي: فمن حقق أتى بها على الأصل،⁽¹⁾ ومن حقق الأولى ولين الثانية فقد أجرى ما كان من كلمتين مجرى ما كان من كلمة واحدة، كما ذكر ذلك الخليل،⁽²⁾ ومن حذف الأولى وخفف الثانية جعل الهمزة الثانية نائبةً عن الأولى ودالة عليها، متعللاً بأن الهمزة مخرجها من الصدر، وهي ثقيلة، والنطق بها يتطلب جهداً فخففت.⁽³⁾

والمكسورتان معا كقوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 31]،⁽⁴⁾ قرأ بالتحقيق على الأصل⁽⁵⁾ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم، وقرأ أبو عمرو بحذف الأولى كما في المفتوحتين، وقرأ أبو جعفر وورش وقنبل بتحقيق الهمزة الأولى، ويعوضون من الثانية مداً، وقرأ البري وقالون بتحقيق الهمزة الأولى وتليين الثانية.⁽⁶⁾

هنا يقوي أبو البقاء قراءة من حذف الهمزة الأولى في توجيهه لهذه الآية بقوله: وحذف الآخر أولى.⁽⁷⁾

والمضمومتان في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: 32]، وهو موضع واحد ليس في القرآن غيره، قرأ قالون والبري بتسهيل الهمزة الأولى مع المد، وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية كالواو، ولهما وجه آخر وهو إبدال الهمزة واوا لمجانستها الضمة، وقرأ أبو عمرو بإسقاط الأولى مع المد أو بغيره، وجهان رويَا عنه، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم بتحقيق الهمزتين.⁽⁸⁾

1412، 1/ 116.

(1) ينظر: الروضة: 1/ 205.

(2) ينظر: الكتاب: 3/ 549. التبيان: 1/ 48.

(3) ينظر: الكتاب: 3/ 548، الروضة: 1/ 206، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: 45.

(4) عدة هذه المواضع خمسة عشر موضعاً عند الجمهور، وعند ورش سبعة عشر، بزيادة موضعين هما قوله تعالى: ﴿مِنْ النَّبِيِّ إِلَّا﴾ [الأحزاب:]، وعند حمزة ستة عشر، الجمهور وزاد ﴿مِنْ الشُّهَدَاءِ إِنْ تَضِلَّ﴾ [البقرة: 281] فإنه يكسر الهمزة الثانية. ينظر: الغيث: 71.

(5) التبيان: 1/ 48، 49.

(6) ينظر في ذلك: سراج القارئ: 71، غيث النفع: 102، الروضة: 1/ 206، 207.

(7) التبيان: 1/ 49.

(8) غيث النفع: 352، 353.

وأما المختلفتان فعلى خمسة أضرب، والقسمة العقلية تقتضي أن تكون ستة إلا أن القسم السادس لم يوجد⁽¹⁾، وهذه الأقسام هي:

همزة مضمومة بعدها همزة مفتوحة: كقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ إِلَّا إِنْهُمْ هُمْ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: 13]، ذكر أبو البقاء القراءات التي قرئت بها، وهي: تحقيقهما معا، تحقيق الأولى وقلب الثانية واوا خالصة فرارا من توالي الهمزتين، تليين الأولى وتحقيق الثانية، وتليين الأولى وقلب الثانية واوا.⁽²⁾

همزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة: كقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ﴾ [البقرة: 133]، قرئ فيها بتحقيق الهمزتين، وتليين الثانية وجعلها بين بين، وقلبها ياء.⁽³⁾

همزة مضمومة بعدها همزة مكسورة: كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142].

همزة مفتوحة بعدها همزة مضمومة: وهو موضع واحد لا غير: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾، [المؤمنون: 44].

همزة مكسورة بعدها همزة مفتوحة: كقوله تعالى: ﴿مَنْ وَّعَا أَخِيهِ﴾ [يوسف: 76]،⁽⁴⁾ وقوله: ﴿ءِ امِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: 17].

وبيان الاختلاف في قراءات القراء لهذه الأقسام أن منهم من حقق على الأصل⁽⁵⁾، وهم ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية⁽⁶⁾ كما في القسمين الأوليين، وإذا كانت الثانية مفتوحة وما قبلها مخالف لها فإنهم يبدلونهما من جنسها واوا إذا نضم ما قبلها،

(1) وهو أن تكون الهمزة الأولى مكسورة، والثانية مضمومة نحو قولنا: على الماء أمم.

(2) التبيان: 30 / 1.

(3) التبيان: 118 / 1.

(4) ينظر: التبيان: 739 / 2.

(5) ينظر: الكتاب: 548 / 3، الروضة: 206 / 1، التبيان: 48 / 1، شرح الشافية: 32 / 3.

(6) التسهيل والتليين في باب الهمز بمعنى واحد، ينظر: الروضة: 180 / 1.

كقوله تعالى: ﴿وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي﴾ [هود: 44]، وحجتهم في ذلك أن الأولى لا تتوب عن الثانية لاختلاف حركاتهما؛ فلينوا الثانية بحركتها لا حركة ما قبلها.⁽¹⁾

ويبدلونها ياء إذا انكسر ما قبلها كقوله تعالى ﴿مِنْ وَّعَاءٍ أَخِيهِ﴾ [يوسف: 76]، ووجه ذلك أن تليينها تقريب من الألف، والألف لا يقع قبلها مضموم ولا مكسور، فكذا ما قرب منها⁽²⁾.

فلا خلاف في الهمزة الأولى لدى الجميع، وإنما الخلاف في الثانية بين التحقيق والتسهيل "التليين"، والإبدال.

(1) ينظر: الكتاب: 3/ 552، الروضة: 1/ 210، 211.

(2) ينظر: شرح الشافية: 3/ 45، الروضة: 1/ 211.

المبحث الثاني: الإدغام

من المسائل الصوتية الإدغام، وهو ظاهرة ترمي إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الخفة والسهولة⁽¹⁾، وهو في اللغة: الإدخال، وجاء في اللسان⁽²⁾: «الإدغام إدخال حرف في حرف، يقال أدغمت الحرف وأدغمته»، والإدغام بتشديد الدال من ألفاظ البصريين، وبالتخفيف من ألفاظ الكوفيين، ومعناه في الكلام أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيرا لشدة اتصالهما كحرف واحد، ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الحرف الأول كالمستهلّك لا على حقيقة التداخل والإدغام.⁽³⁾

والغرض من الإدغام التخفيف؛ لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق، وصار ذلك من الضيق في الكلام بمنزلة الضيق في الخطو على المقيد، لأنه إذا منعه المقيد من توسيع الخطو صار كأنما بقي يمشي على خطو المقيد، فثقل ذلك عليه فلما كان تكرير الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر فيضغوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة، ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه⁽⁴⁾.

والقبائل التي تتطق بالإدغام في كلامها هي تميم وقيس وأسد، ويرى أحد الباحثين المعاصرين أنه كان أوسع من ذلك⁽⁵⁾ إذ ظهر في قبائل عقيل وعامر بن صعصعة وبكر بن وائل وغيرها، وكذلك الحجاز، ومن ذلك ما روي

(1) اللهجات العربية في التراث: 314 / 1.

(2) لسان العرب : 202 / 12. (دغم)

(3) شرح المفصل لابن يعيش 121 / 10، وينظر شرح الشافية للرضي (646)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت: 235 / 3.

(4) ينظر المصدر السابق

(5) هو الدكتور حسام النعيمي، ينظر: حجة القراءات دراسة تحليلية، هشام النعيمي، دار الفكر، بيروت، ط1: 2005م: 36.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته»⁽¹⁾ بإدغام التاء في الدال.⁽²⁾

ينقسم الإدغام إلى قسمين ؛ فهو إما إدغام صغير وإما إدغام كبير،

الإدغام الكبير

هو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً، سواء أكانا مثليين أم جنسين أم متقاربين، وسمي كبيراً لكثرة وقوعه؛ إذ الحركة أكثر من السكون؛ وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه؛ وقيل لما فيه من الصعوبة؛ وقيل لشموله نوعي المثليين والجنسين والمتقاربين.

والصغير هو الذي يكون الأول منهما ساكناً.⁽³⁾

ومن أقسام الإدغام أيضاً: التام والناقص؛ فالتام أن يدرج الحرف الأول في الثاني ذاتاً وصفة، سواء كانا مثليين أم متقاربين، بأن ينقلب ذات الأول إلى ذات الثاني وصفته إلى صفته؛ مثال ذلك: «مد»، وكذلك إدغام الذال والظاء مثل ﴿إِذْ ظَلَمُوا﴾، [النساء: 64]؛ والناقص أن يدرج الأول في الثاني ذاتاً لا صفة، وينقلب ذات الأول إلى ذات الثاني ولم تنقلب صفته إلى صفته، ومثاله ﴿فَمَنْ يُّؤْمِنُ﴾ [الجن: 13] ⁽⁴⁾

الإدغام الصغير:

هو أن يلتقي حرفان الأول ساكن والثاني متحرك فيدغما، سواء أكانا مثليين أم متجانسين أم متقاربين.⁽⁵⁾

أمثلة ذلك: ﴿عَادَا الْاَوَّلَى﴾ [النجم: 50]

(1) لم أجد هذا الحديث في كتب التخریج بهذا النص، وإنما وجدته في سنن الدارمي بلفظ: «أَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنَتْهُ أَوْ شَتَمَتْهُ أَوْ جَلَدَتْهُ»، ينظر: سنن الدارمي (255)، كتاب الرقاق، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا رَجُلٍ لَعَنَتْهُ أَوْ سَبَبَتْهُ»، حديث رقم: 2821،

(2) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1/ 313.

(3) النشر في القراءات العشر: 1/ 274، 275.

(4) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم حمد قدوري، مطبعة الخلود، بغداد 1406 : 394، 395.

(5) ينظر: النشر في القراءات العشر: 1/ 275، الإقناع: 1/ 195.

يقرأ منونا مدغما وفيه تقديران: أحدهما: أنه ألقى حركة الهمزة على اللام، حذف همزة الوصل قبل اللام، فلقى التتوين اللام المتحركة فأدغم فيها، كما قالوا لَحَمَر في الأحمر، ويقرأ بغير تتوين على انه اسم للقبيلة.⁽¹⁾

وعلى هذه القراءة لا إدغام فيه لأن الإدغام ينتج من التقاء حرف ساكن بآخر متحرك وفي هذه القراءة لم يوجد الساكن « التتوين ».⁽²⁾

وهدف الإدغام رفع الكراهية أو الثقل أو الضيق، و التخفيف في النطق.

ومثله قوله تعالى ﴿ مِّن رَّاقٍ ﴾ [القيامة: 27].

فقد قرأ الجمهور بالإدغام وقرأ حفص بالسكت على النون، إعلاما أن "من" منفصلة من الراء،⁽³⁾ وسبب إدغام النون في الراء هو قرب مخرجي الحرفين "النون، الراء"

ومثل الآية السابقة قوله تعالى ﴿ بَل رَّانَ ﴾ [المطففين: 14]، قرأ حفص بسكتة لطيفة على اللام وملازمة إظهار اللام وغيره يدغمه في الراء.⁽⁴⁾

(1) ينظر: التبيان: 2 / 1190، 1191، ولم يذكر أبو البقاء التقدير الثاني لقراءة التتوين الذي أشار إليه بقوله: "وفيه تقديران"، ولم يتعرض لذلك في إعراب القراءات الشواذ.

(2) قرأ قالون بنقل ضمة الهمزة إلى لام التعريف قبلها، وإدغام تتوين ﴿عادا﴾ وصلا وهمز الواو همزا ساكنا، وقرأ ورش وأبو عمرو مثله إلا أنهما لا يهملان الواو، وقرأ الجمهور بإظهار تتوين ﴿عادا﴾ وكسره لالتقاء الساكنين وإسكان اللام وتحقيق الهمزة بعده مضمومة وإسكان الواو. (ينظر: غيث النفع: 360).

(3) ينظر: التبيان: 2 / 1255، غيث النفع: 378.

(4) سراج القارئ المبتدئ: 378.

المبحث الثالث: الإبدال

الإبدال: مسألة صوتية، وتعد سنة من سنن العرب تكمن في كلامهم،⁽¹⁾ والإبدال نوعان:⁽²⁾ لأجل الإدغام، وهو الإبدال الحرفي، ولغير الإدغام، وهذا الثاني يسمى بالإبدال الحركي.

الإبدال الحرفي:

والغرض من الإبدال الذي يحصل عن تأثير الأصوات وتشابهها التقريب بين الصوتين المتجاورين، تيسيراً لعملية النطق، واقتصاداً في الجهد العضلي، ولاشك أن هذا التشابه يحدث مع توالي الزمن عبر التطور اللغوي، ويرجع إلى قوة ذاتية في الصوت تجعله يحوّل مجاوره إلى مثله، لأن الحرف القوي له تأثير في الضعيف، إذ يؤثر فيه حتى يزحزحه عن مخرجه الأصلي ويحوّله إلى حرف أقرب ما يكون منه؛ ليكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد.⁽³⁾

والحروف التي تبدل من غيرها إبدالاً شائعاً تسعة أحرف جمعها ابن مالك رحمه الله بقوله «أحرف الإبدال هدأت موطياً»⁽⁴⁾، وهناك من جعلها بين التسعة والخمسة عشر، وممن ذهب إلى ذلك الرضي في شرحه للشافعية⁽⁵⁾ وهي عنده «انصت يوم جدّ طاه زلّ»، وهناك من أوصل هذه الحروف إلى اثنين وعشرين حرفاً،⁽⁶⁾ ومنهم من قال: «قلما نجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البديل ولو نادراً».⁽⁷⁾

أمثلة الإبدال الحرفي:

قال تعالى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ ﴾ [الفاتحة 5-6].

(1) ينظر المزهر للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، د.ت: 1/ 461.

(2) شرح الشافعية: 3/ 199.

(3) اللهجات العربية في التراث: 1/ 349. وينظر الكتاب: 4/ 478.

(4) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة ط20، 1419 : 4/ 210.

(5) 3/ 199.

(6) ينظر: حاشية الصبان على شرح الإسموني، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ت: 4/ 211.

(7) المزهر: 1/ 461.

ذكر أبو البقاء أن القراءة بالسين هي الأصل؛ لأنه «أي الصراط» من سرط الشيء إذا بلعه، ومن قرأ بالسين وهو قبل فقد جاء به على الأصل في جميع القرآن.⁽¹⁾

وقرئ بالصاد وهي قراءة الجمهور علي قلب السين صاداً لتجانس الطاء في الإطباق؛ أو علي أنها كتبت في المصاحف بالصاد⁽²⁾ وقرأ بإشمام الصاد زائاً خلفاً وخلا⁽³⁾ «ل» قصد أن يجعلها بين الجهر والإطباق⁽⁴⁾، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُصِيطِرُونَ﴾ [الطور: 37].

وقلب السين صاداً لغةً، قال سيبويه « وقالوا صاطع في ساطع، لأنها في التصعد مثل القاف، وهي أولى بهذا من القاف لقرب المخرجين والإطباق»⁽⁵⁾، وهذه اللغة تنسب إلي بني تميم وهي: ظاهرة تميمية محضة بيد أنها لم تكن تشمل تميماً كلها.⁽⁶⁾

قال تعالى: ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ [مريم: 23]

يقرأ بفتح النون وهمزة بعد السين، وهي من نسأت اللبـن إذا خلطت به ماء كثيراً،⁽⁷⁾ وقراءة الجمهور ﴿نِ سِيًّا﴾ - بالياء-، وفي الشواذ هو من نسأته إذا أخرته.⁽⁸⁾

الإبدال الحركي:

بعد استقرار الآيات القرآنية وجدت أن الإبدال يكون بين الحركات في الكلمة الواحدة، فقد يحدث في فاء الكلمة أو عينها أو لامها، وسأعرض كل مجموعة علي حدة، مقسماً المجموعة الواحدة بحيث تحتوي علي وجه معين من الإبدال، وسأبدأ بعرض الإبدال في فاء الكلمة.

فاء الكلمة:

(1) ينظر: سراج القارئ: 31،

(2) سراج القارئ: 31،

(3) ينظر غيث النفع: 62.

(4) التبيان: 8 / 1.

(5) الكتاب: 4 / 480، وينظر: لسان العرب: 8 / 154. (سرطع)

(6) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غانم المطليبي، دار المثني، بغداد، ط1، 1978م : 92.

(7) ينظر: التبيان: 2 / 870.

(8) ينظر: إعراب القراءات الشواذ: 2 / 7، وهي قراءة محمد بن كعب القرظي، ينظر: الروضة: 2 / 773، البحر: 6 / 172.

بين الضم والكسر: (1)

قال تعالى: ﴿قَبْلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [الأنعام: 111]

يقرأ بضم القاف والباء وفيه وجهان، أحدهما: هو جمع قبيل مثل قَلْبٍ وقُلْبٍ، والثاني أنه مفرد كَقَبْلِ الإنسان ودُبْرِهِ، ويقرأ بكسر القاف وفتح الباء وفيه وجهان أيضاً: أحدهما هو ظرف كقولك لي قبله حق، والثاني: مصدر في موضع الحال أي عياناً أو معاينة.⁽²⁾

قرأ الجمهور بضم القاف والباء ﴿قَبْلًا﴾، وقرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء.⁽³⁾

وقال أيضاً ﴿فَلَأَمَّهُ الثُّلُثُ﴾ [النساء: 11]

يقرأ بضم الهمزة وهو الأصل، وهي قراءة الجمهور، وقرئ بكسرها إتباعاً لكسرة اللام قبلها وكسرة الميم بعدها، وهي قراءة حمزة والكسائي.⁽⁴⁾

وقال تعالى ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189].

يقرأ بضم الباء وهو الأصل في الجمع على فُعُول والمعتل كالصحيح وإنما ضم أول هذا الجمع ليشاكل ضمة الثاني والواو بعده، وقرئ بكسر الباء، ووجه أبو البقاء ذلك بأن بعده ياء والكسرة من جنس الياء، ولا يحتفل بالخروج من كسر إلى ضم لأن الضمة هنا في الياء، والياء مقدرة بكسرتين، فكانت الكسرة في الباء كأنها وليت كسرة.⁽⁵⁾⁽⁶⁾

بين الكسر والضم

قال تعالى ﴿وَزِنُوا بِالْفُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35]. [الشعراء: 182].

(1) أخذت في الاعتبار هنا أن أذكر المواطن التي قرئت بالضم، وفيها قراءة أخرى بالكسر، أي أن الاعتماد يكون على ما يذكره أبو البقاء في ذكره للقراءة، فما كان مضموماً في الأصل أدرجناه في قسم الضم، وما كان مكسوراً في الأصل أدرجناه في قسم الكسر، وهذا نهجي في جميع هذا المبحث، وهو واضح.

(2) التبيان: 1/ 532.

(3) ينظر: غيث النفع: 214.

(4) ينظر: التبيان: 1/ 334، غيث النفع: 188.

(5) التبيان: 1/ 157.

(6) مما جاء بالكسر والضم في القرآن الكريم في سور: الأنعام: 63، طه: 58، الأحزاب: 21، الرحمن: 35.

يقرأ بضم القاف وكسرهما وهما لغتان،⁽¹⁾ قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسرهما وقرأ الجمهور بالضم.⁽²⁾

وقال ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: 110]

يذكر أبو البقاء في ﴿سُخْرِيًّا﴾ قراءتين، الضم والكسر، وهما لغتان، والكسر بمعنى الهزل، والضم بمعنى الإذلال من التسخير وقيل بعكس ذلك،⁽³⁾ والقراءة بالضم هي قراءة نافع وحمزة والكسائي، والقراءة بالكسر للباقيين.⁽⁴⁾

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 15].

ذكر أن الجمهور يقرأ بكسر الراء في جميع القرآن،⁽⁵⁾ وقرأ شعبة بالضم.⁽⁶⁾

بين الفتح والكسر.

قال تعالى ﴿مَالِكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الأنفال: 72]

يقرأ بفتح الواو وكسرهما في ﴿وَلَايَتِهِمْ﴾، والولاية بالكسر الإمارة، وبالفتح من موالاة النصر.⁽⁷⁾

و في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ [مريم: 23]

قريء: ﴿نَسِيًّا﴾ بالكسر، وهي قراءة حمزة وحفص بمعنى المنسي، وقرأ الجمهور بالفتح: ﴿نَسِيًّا﴾، أي شيئاً حقيراً.⁽¹⁾

(1) التبيان: 2 / 820. ولم يتعرض لذكرها في سورة الشعراء، ينظر: التبيان: 2 / 1000.

(2) ينظر: سراج القارئ: 275، غيث النفع: 273، 310.

(3) ينظر: التبيان: 2 / 961.

(4) سراج القارئ: 304.

(5) ينظر: التبيان: 1 / 246.

(6) ينظر: غيث النفع: 175.

(7) ينظر: التبيان: 2 / 633، وينظر، لسان العرب: 15 / 409.

وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [المؤمنون:20]

قرأ الكسائي وحمزة وعاصم بفتح السين ﴿سَيْنَاءَ﴾، وقرأ الباقون بكسرها،⁽²⁾ وهما لغتان، فعلى لغة الكسر تكون الهمزة أصلاً وليست للتأنيث، وعلى لغة الفتح تكون الهمزة للتأنيث إذ ليس في الكلام فَعَلال بالفتح.⁽³⁾ ولمثل هذا آيات أخر.⁽⁴⁾

بين الكسر والفتح

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران:97]

يقرأ بالفتح والكسر وهما لغتان، والكسر اسم المصدر، والفتح مصدر،⁽⁵⁾ وهي قراءة الجمهور، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بالكسر.⁽⁶⁾

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَامِ﴾ [البقرة:208]

﴿السِّلَامِ﴾ يقرأ بكسر السين وفتحها مع إسكان اللام، ويفتح السين واللام وهو الصلح، ويقال إن الكسر بمعنى السلام والفتح بمعنى الصلح.⁽⁷⁾

بين الضم والفتح.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ اِغْتَرَفَ غَرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة:249]

(1) ينظر: التبيان: 2/ 870، غيث النفع: 285، الروضة: 2/ 773..

(2) سراج القارئ: 300.

(3) التبيان: 2/ 952.

(4) الآيات: الفجر: 3، النمل: 72، الأنعام: 141.

(5) التبيان: 1/ 281.

(6) غيث النفع: 180.

(7) ينظر: التبيان: 1/ 168، لسان العرب: 12/ 295 (سلم).

غُرْفَةً بفتح العين وضمّها وقد قرئ بهما، وهما لغتان؛ "الغرفة" بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وهي المرّة الواحدة، والغُرْفَة بالضم قراءة الجمهور وهي ما تحمله اليد أي الشيء المغترف،⁽¹⁾ وذكر في الشواذ أنها ما بين القدمين.⁽²⁾

ونقل عن بعض المفسرين: الغُرْفَةُ "بالكفّ" والغُرْفَةُ "بالكفين"، وقال بعضهم: كلاهما لغتان بمعنى واحد،⁽³⁾ ولعل هذا ما يراه أبو البقاء حين يقول: "ويحتمل أن تكون الغرفة مصدراً وأن تكون المغروف".⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:146]، وقوله: ﴿مِمَّا عُلِّمَتْ رُشْدًا﴾ [الكهف:66].

ذكر أبو البقاء أن "الرُّشد" و"الرَّشَد" لغتان قرئ بهما،⁽⁵⁾ ففي الآية الأولى قرأ الجمهور "الرُّشد" بضم الراء وإسكان الشين، وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء والشين،⁽⁶⁾ وفي سورة الكهف قرأ أبو عمرو بفتح الراء والشين، والجمهور بضم الراء وإسكان الشين،⁽⁷⁾ ونقل عن أبي عمرو أن الرُّشد في الصلاح والرُّشد في الدين.⁽⁸⁾

بين الفتح والضم

قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران 140].

(1) إملاء ما من به الرحمن، العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1399: 1/ 104، وينظر: غيث النفع: 168.

(2) إعراب القراءات الشواذ: 1/ 132.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 3/ 253.

(4) يذكر ابن هشام في هذه الآية «إن فتحت الغين فمفعول مطلق، أو ضممتها فمفعول به» (مغني اللبيب لابن هشام (761)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ط1: 1994م : 2/ 599).

(5) التبيان: 1/ 594، 2/ 855.

(6) ينظر غيث النفع: 229.

(7) ينظر: غيث النفع: 281.

(8) ينظر: سراج القارئ، الجامع لأحكام القرآن: 7/ 281، إعراب القرآن للنحاس: 4/ 267.

يقراً بفتح القاف وسكون الراء وهي قراءة الجمهور، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة "قُرح" بضم القاف،⁽¹⁾ والقراءة بالضم بمعنى ألم الجرح، وبالفتح: الجراح،⁽²⁾ وهو هنا موافق للفراء في قوله: القرح بالضم ألم الجراحات وبالفتح الجراح بأعيانها".⁽³⁾

وقال تعالى ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء:163] [الإسراء:55]

يقراً "زبوراً" بالفتح، وهي قراءة الجمهور، وقرأ حمزة بالضم،⁽⁴⁾ وفيه وجهان؛ أحدهما: هو جمع "زبور" على حذف الزائد مثل فُلُس وفلوس، والوجه الثاني: أنه مصدر مثل القعود والجلوس، وقد سمي به الكتاب المنزل على داود؛⁽⁵⁾ وقراءة الجمهور على الأفراد كالحُلُوب اسم مفعول.⁽⁶⁾

وقال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَيْنِ﴾ [الكهف:93]

"السّد" بالفتح مصدر سد وهو بمعنى المسدود، وبالضم اسم للمسدود، وقيل المضموم ما كان من خلق الله والمفتوح ما كان من صنعة الآدمي.⁽⁷⁾

عين الكلمة.

بين الضم والكسر.

قال تعالى ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ [الأعراف:138]

(1) ينظر: سراج القارئ: 183.

(2) التبيان: 1/ 294.

(3) ينظر: معاني القرآن للفراء: 1/ 234.

(4) سراج القارئ: 197.

(5) التبيان 1/ 409.

(6) قلاند الفكر في توجيه القراءات العشر: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، د، ت: 38.

(7) التبيان: 2/ 860، وينظر لسان العرب: 3/ 207، (سدد).

قال أبو البقاء عند إعرابه لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: بضم الراء وكسرهما، لغتان، وكذلك يعكفون، وقد قرئ بهما فيهما،⁽¹⁾ ﴿يَعْكِفُونَ﴾ بالكسر لغة أسد، وبالضم لغة بقية العرب.⁽²⁾

بين الفتح والكسر.

قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة: 246]

الجمهور على فتح السين "عَسَيْتُمْ"، وقرأ نافع ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وهما لغتان،⁽³⁾ ولغة الفتح أشهر كما صرح بذلك القرطبي فقال بخصوص قراءة الفتح: وهي الأشهر، وزيادة في العلم أنه قيل: "وجه الكسر قول العرب: هو عَسٍ بذلك مثل: حرٍ وشجٍ، وقد جاء فَعَلَ وفَعِلَ في نحو نَعَمْ نَعَمْ، وكذلك عَسَيْتُ وَعَسَيْتُ، فإذا استند الفعل إلى ظاهر فقياس عَسَيْتُمْ أَنْ يقال: عَسِيَّ زيد، ورَضِيَّ زيد، فإن قيل فهو القياس، وإن لم يقل فسائغ أن يؤخذ باللغتين فتستعمل إحداها موضع الأخرى.⁽⁴⁾

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: 273].⁽⁵⁾

وقوله: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: 44]؛ قرئ بفتح العين وبكسرهما،⁽⁶⁾ وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ [الحج: 33، 67]. ذكر أنه يقرأ فيهما بالفتح وبالكسر.⁽⁷⁾

بين الضم والسكون.

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ تُكْرَهُ﴾ [القمر: 6]

(1) التبيان: 1 / 592.

(2) فلاتد الفكر: 51.

(3) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: 1 / 103.

(4) الجامع لأحكام القرآن: 3 / 244.

(5) التبيان 1 / 222، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بكسر السين في جميع القرآن، وقرأ الباقر بفتحها كذلك في كل القرآن، (ينظر: غيث النفع: 171).

(6) التبيان: 1 / 570، إعراب القراءات الشواذ: 1 / 279، وقرأ الجمهور بالفتح، وقرأ الكسائي بالكسر (غيث النفع: 223)

(7) التبيان: 2 / 941، وينظر: 2 / 948؛ وقراءة الجمهور بفتح السين ﴿مَنَسَكًا﴾، وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين؛ (ينظر: غيث النفع: 296، سراج القارئ: 297).

يقرأ بضم النون والكاف "تُكْر" وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير بإسكان الكاف ﴿تُكْر﴾، وهو صفة بمعنى منكر. (1)

وفي قوله تعالى ﴿فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ [يس: 55]

يقرأ بضميتين ﴿شُغْلٍ﴾ "شُغْل"، وبضم بعده سكون ﴿شُغْلٍ﴾، (2) وبفتحتين "شَغْل" وبفتحة بعدها سكون "شَغْل" وهي لغات قرئ بها. (3)

وفي ﴿خُطُو تِ﴾ في قوله تعالى ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُو تِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168][النور: 21]

يقرأ بضم الطاء على إشباع الضم، وهي قراءة قنبل وابن عامر وحفص والكسائي، وهي لغة الحجاز، وقرأ نافع والبيزي وأبو عمرو وشعبة وحزمة بإسكانها، وهي لغة تميم. (4)

وفي قوله تعالى ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: 88]

﴿غُلْفٌ﴾ يقرأ بضم اللام وهو جمع غلاف وهي قراءة، (5) ويقرأ بسكونها وفيه وجهان؛ أحدهما هو تسكين الضم مثل كُتِبَ وكُتِبَ، والثاني: هو جمع أَغْلَفَ مثل أَحْمَرَ وَحُمَرَ، وعلى هذا لا يجوز ضمه. (6)

بين السكون والضم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً﴾ [البقرة: 260]

قال أبو البقاء: وفي الجزء لغتان: ضم الزاي، وتسكينها، وقد قرئ بهما. (7)

(1) ينظر: التبيان: 2 / 1192، سراج القارئ: 361.

(2) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بإسكان الغين ﴿شُغْلٍ﴾ وقرأ حمزة وعاصم والكسائي وابن عامر بضمها، (ينظر: غيث النفع: 333).

(3) التبيان: 2 / 1084، وينظر: البحر المحيط: 7 / 342.

(4) ينظر: التبيان: 1 / 139، غيث النفع: 156، 144 الجامع لأحكام القرآن

(5) وهي قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. (ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 2 / 25).

(6) التبيان: 1 / 89.

(7) التبيان: 1 / 212، وينظر: سراج القارئ: 165، وفيه أن القراءة بالضم لشعبة، والتسكين للجمهور.

وفي قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:99]

قراءة الجمهور بسكون الراء، وقرأ ورش رحمه الله بضمها،⁽¹⁾ ووجه أبو البقاء قراءة الضم بأنها على الإتياع.⁽²⁾

وقال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران:66]

قراءة الجمهور بسكون العين أينما وقع، وقرأ ابن عامر والكسائي ﴿الرُّعْبَ﴾،⁽³⁾ في جميع القرآن، وهما لغتان.⁽⁴⁾

وفي قوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ [المائدة: 3]⁽⁵⁾ قال: والأكثر ضم الياء من السبع، وتسكينها لغة، وقد قرئ به.

بَيِّنَ الْكُسْرَ وَالسُّكُونَ.

قال تعالى ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:128].

الجمهور على كسر الراء وقرأ ابن كثير والسوسي بالإسكان،⁽⁶⁾ وضعف أبو البقاء هذه القراءة محتجا بـ« أن الكسرة هنا تدل على الياء المحذوفة، ووجه الإسكان أن يكون شبه المنفصل بالمتصل فسكن كما سكن فَخَذٌ وَكَثْفٌ.

وقيل: لم يضبط الراوي عن القارئ لأن القارئ اختلس فظن أنه سكن».⁽⁷⁾

أقول: وفي هذا القول نظر؛ لأنه قد قرئ بكل من الاختلاس والسكون والكسر، وتفصيل ذلك كما هو مذكور في كتب القراءات على النحو الآتي:

(1) سراج القارئ: 137.

(2) ينظر: التبيان: 2 / 656.

(3) ينظر: سراج القارئ: 180.

(4) ينظر: التبيان 1 / 300.

(5) ينظر: التبيان 1 / 417.

(6) ينظر: غيث النفع: 138.

(7) التبيان 1 / 116.

قرأ ابن كثير والسوسي قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، وكذلك قوله: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153]، وقوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143] بالسكون، وقرأ الجمهور بكسر الراء، وقرأ الدوري بالاختلاس في ﴿أَرِنَا﴾ و﴿أَرِنِي﴾؛⁽¹⁾ ويتبين لنا من ذلك أن كلا من القراءات الثلاث قرئ بها ويعتبر من القراءات السبعية التي لا مجال للطعن فيها، الأمر الذي يعكس طبيعة منهج أبي البقاء في الحكم على القراءة وهو قياس القراءة على كلام العرب، خاصة وأن هذه القراءات كما أسلفنا من السبع، التي توصف بأنها متواترة في جميع طبقاتها كما حرر ذلك علماء هذا الفن، وكتب القراءات محل ذلك.

ووجه قراءة من قرأ بالسكون: أن الراء في الأصل ساكنة وأصلها أرئنا على وزن أكرئنا، فحذفت الياء للجزم ثم تركت الهمزة كما تركت في يرى وترى وبقيت الياء كما كانت.⁽²⁾

وهذا الوجه أقوى من توجيه أبي البقاء، ولأبي البقاء توجيه آخر لقراءة السكون ذكره في إعراب القراءات الشواذ، مفاده أن تسكين الراء للتخفيف كما يخفف كتف فتسكن تاؤه،⁽³⁾ وهذا الوجه يفسر الوجه الذي نقلناه عنه في إعراب للآية الكريمة.

وقال تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ﴾ [الإسراء: 67].

يقرأ بسكون الجيم وهم الرجال ويقرأ بكسرهما وهو فعل من رَجَلَ يُرْجُلُ إِذَا صَارَ رَاجِلًا،⁽⁴⁾ وهي قراءة الجمهور، وقرأ حفص بالكسر.⁽⁵⁾

وكذلك القول في قوله تعالى: ﴿بَوْرَقَكُمْ هَذِهِ﴾ [الكهف: 19]

يقرأ فيها بكسر الراء، وهي قراءة الجمهور، قال أبو البقاء: وهي الأصل،⁽¹⁾ وقرأ أبو عمرو وحمزة وشعبة بإسكانها على التخفيف.⁽²⁾

(1) ينظر: غيث النفع: 138.

(2) ينظر: حجة القراءات: 114.

(3) ينظر: 104 / 1

(4) التبيان: 2 / 827.

(5) ينظر: غيث النفع: 274.

وفي قوله تعالى ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ ﴾ [فصلت:16]

قرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء والجمهور على السكون.⁽³⁾

وفي قراءة الكسر وجهان: أحدهما: هو اسم فاعل مثل نَصِبَ وَنَصِبَاتٍ، والثاني: أن يكون مصدراً في الأصل مثل الْكَلِمَةِ؛ وفي قراءة السكون وجهان: أحدهما هي بمعنى المكسورة، وإنما سكن لعارض، والثاني: أن يكون اسم فاعل في الأصل وسكن تخفيفاً.⁽⁴⁾

بين الفتح والسكون.

قال تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ ﴾ [المائدة: 2]

ذكر أبو البقاء أن في قوله ﴿ شَنَاٰنُ ﴾ قراءتان، والجمهور على فتح النون الأولى من شَنَاٰن، وهو مصدر كالغليان والنَّزْوَان، ويقرأ بسكونها، وهو صفة مثل عَطْشَانٍ وَسَكْرَانٍ والتقدير على هذا لا يحملنكم بغض قوم أي عداوة بغض قوم، وقيل: من سكن أراد المصدر أيضاً، لكنه خفف لكثرة الحركات.⁽⁵⁾

والقراءة بالسكون هي قراءة نافع من رواية إسماعيل⁽⁶⁾ وابن عامر،⁽⁷⁾ وقد رجح ابن زنجلة قراءة الجمهور فقال: « وهو الاختيار، لأن المصادر مما أوله مفتوح جاء أكثرها محركا مثل غَلِي غلياناً وضرب ضرباناً، والإسكان قليل، ويجيء في المضموم والمكسور مثل شكران، وكفران، وحرمان»،⁽⁸⁾ والوجه إذا كان مصدرا أن يثقل، وإذا أردت به بغض قوم قلت: شَنَاٰن.

وقال تعالى ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴾ [الإسراء:92]

(1) التبيان: 2 / 842، وينظر: إعراب القراءات الشواذ: 1 / 431.

(2) ينظر: التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون: 2 / 413، غيث النفع: 278.

(3) ينظر: سراج القارئ: 432، 433.

(4) التبيان: 2 / 1125.

(5) ينظر: التبيان 1 / 416.

(6) هو إسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاري، روى القراءة عن نافع، توفي سنة (180)، ينظر في ترجمته: (معرفة القراء الكبار: 1 / 144، غاية النهاية: 1 / 102).

(7) ينظر: حجة القراءات: 219.

(8) ينظر: المصدر السابق، وينظر: معاني القرآن للفراء: 1 / 300.

يقرأ بفتح السين،⁽¹⁾ وهو جمع كِسْفِه مثل قِرْبَةٍ وَقَرَب، وبسكونها وفيه وجهان: أحدهما هو مخفَّف من المفتوحة أو مثل سِدْرٍ وَسِدْر، والثاني هو واحد فَعَلَ بمعنى مفعول وانتصابه على الحال من السماء.⁽²⁾

بين السكون والفتح.

قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:145]

قرأ عاصم وحزمة والكسائي ﴿الدَّرَكِ﴾ بسكون الراء، وقرأ الباقر الدَّرَك بفتح الراء،⁽³⁾ وهما لغتان مثل: "النَّفَر، النَّفَر"، "الطَّرْد، الطَّرْد".⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿ظَعْنُكُمْ﴾ [النحل:80]. يقرأ بسكون العين وفتحها⁽⁵⁾ وهما لغتان مثل النهر والنهر.⁽⁶⁾

اختلاف اللفظ.

يرى بعض العلماء أنه يمكن أن يجعل قسم ثالث للإبدال بعد الإبدال الحرفي والإبدال الحركي اللذين عرضنا أمثلة لهما في هذا المبحث، وهذا القسم هو الإبدال اللفظي كما سماه البعض، واكتفى آخرون بإدراجه تحت "اختلاف اللفظ"،⁽⁷⁾ ومن أمثلة هذا الإبدال.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:219].

قرأ حمزة والكسائي ﴿إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾، وقرأ الباقر ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾،⁽⁸⁾ ويرى أبو البقاء أن القراءة بالباء هي الأحسن، معللاً ذلك بقوله: «لأنه يقال إثم كبير وصغير، ويقال في الفواحش العظام

(1) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم، وقرأ الجمهور بالإسكان؛ (ينظر: غيث النفع: 275).

(2) التبيان: 2 / 832.

(3) ينظر: غيث النفع: 196.

(4) ينظر: حجة القراءات: 218، التبيان: 1 / 401.

(5) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين، وقرأ الباقر بإسكانها (غيث النفع: 271).

(6) ينظر: التبيان: 2 / 804.

(7) ينظر: حجة القراءات لأبي زرع، دراسة تحليلية: 65.

(8) غيث النفع: 161.

الكبائر وفيما دون ذلك الصغائر»، وهو في ذلك لا ينكر قراءة الناء، وإنما بقوي قراءة الباء حيث يقول: «وقد قرئ بالناء، وهو جيد في المعنى، لأن الكثرة كبر والكثير كبير كما أن الصغير يسير حقاً»⁽¹⁾ ويحتج أبو زرعة لقراءة الناء بقوله والحجة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: 91]، وحجة أخرى: الإثم واحد يراد به الآثام فوحد في اللفظ ومعناه الجمع، والذي يدل عليه: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾، فعودل الإثم بالمنافع، لذا حسن أن يوصف بالكثير، وتقدير الكلام: قل فيهما آثام كثيرة ومنافع للناس، كما قال تعالى: ﴿يَتَفَقَّهُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [النحل: 48] فوحد اليمين في اللفظ والمراد الأيمان لذلك عطف بالشمائيل وهي جمع.⁽²⁾

و يحتج لقراءة الجمهور، بقوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾، إذ استعملت اللفظة في الذنب إذا كان موبقاً، بدليل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ [النجم: 32]، كذلك يكون "إثم كبير" لأن شرب الخمر والميسر من الكبير.⁽³⁾

وفي قوله تعالى ﴿يَقْضُ الْحَقَّ﴾⁽⁴⁾ [الأنعام: 57].

يقرأ بالضاد من القضاء "يَقْضِي" بدون ياء، وهي قراءة الجمهور، وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بالصاد.⁽⁵⁾

يوجه أبو البقاء القراءتين بقوله: «يقرأ بالضاد من القضاء وبالصاد من القصص»، ثم يرجع إلى قراءة إمامه أبي عمرو بقوله: «والأول أشبه بخاتمة الآية»⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ [الأعراف: 156]

(1) التبيان: 1/ 176.

(2) حجة القراءات: 132، 133.

(3) المصدر السابق.

(4) كتبت في كتاب التبيان "يقضي الحق" (ينظر: التبيان: 1/ 501)، والصواب ما أثبتناه، وإن كانت هناك قراءة بالضاد إلا أنها بغير ياء وليس كما جاء في متن الكتاب.

(5) ينظر: التبيان: 1/ 501، غيث النفع: 207، سراج القارئ: 208.

(6) التبيان: 1/ 501.

يقول أبو البقاء: المشهور القراءة بالشين، وقرئ بالسين والفتح: ﴿أَسَاءَ﴾،⁽¹⁾ وهو فعل ماضٍ أي أعاقب المسيء.⁽²⁾

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف: 19]

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿عِنْدَ﴾ بنون ساكنة وفتح الدال من غير ألف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: 206]، وقرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة وعاصم ﴿عِبَادُ﴾ بباء مفتوحة بعدها ألف.⁽³⁾

(1) تنسب هذه القراءة إلى الحسن وزيد بن علي، ونفى أبو حيان نسبة هذه القراءة إليهما، ينظر: الكشف: 2 / 97، البحر المحيط: 3 / 206 .

(2) التبيان: 1 / 597.

(3) غيث النفع: 347، وينظر: إعراب القراءات الشواذ: 2 / 220، وينظر: التبيان: 2 / 1138، البحر المحيط: 8 / 10.

المبحث الرابع: الاختلاس والإشباع.

الاختلاس والإشباع من المسائل الصوتية، وهما يترادفان في كلام العرب، وذلك لحاجة الفصاحة إليهما، فالاختلاس يرد من أجل التخفيف أو الفاصل أو النقاء الساكنين، والإشباع هو إشباع الحركة الذي يؤدي إلى حرف لين من جنسها، فمثلا الضمة المشبعة تؤدي إلى واو مدية وهكذا، قال سيبويه: "الفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضممة من الواو".⁽¹⁾

ومن أمثلة ذلك:

قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:6،7].

قرأ حمزة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بضم الهاء، وقرأ ابن كثير وقالون في أحد وجهيه ﴿عَلَيْهِمْو﴾ بكسر الهاء وضم الميم ويصلون بواو في اللفظ، وقرأ الجمهور بكسر الهاء وسكون في الميم.

ويذكر أبو البقاء أن في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عشر لغات كلها قرئ به؛ خمس مع ضم الهاء، إسكان الميم وضمها من غير إشباع، وضمها مع واو، وكسر الميم من غير ياء، وكسرها مع الياء، وخمس مع كسر الهاء: إسكان الميم وكسرها من غير ياء، وكسرها مع الياء، وضمها من غير واو، وضمها مع الواو.

ويوجه هذه الاختلافات فيقول:⁽²⁾

وأما الميم فالأصل فيها أن تضم ويتبعها واو كما قرأ ابن كثير، والعلة في ذلك من وجهين: أحدهما: أن الألف ثابتة في التنثية كقولك: عليهما؛ فيجب أن تكون الواو للجمع لتكون له علامة كما للتنثية علامة، والأصل أن الميم علامة مُجَاوِزَة الواحد ثم يزداد عليهما علامة التنثية والجمع، والثاني أن علامة جمع المؤنث حرفان، نحو عليهن فالمذكّر أولى بذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:75]

في قوله ﴿يُؤَدِّهِ﴾ ذكر أبو البقاء أن فيها قراءات: إحداها كسر الهاء وصلتها بياء في اللفظ، وهي قراءة الجمهور، الثانية: كسر الهاء من غير ياء، "باختلاس الحركة" اكتُفِيَ بالكسرة عن الياء لدالاتها عليها، ولأن الأصل ألا يزداد علي الهاء شيء كبقية الضمائر، وهي قراءة قالون،

(1) ينظر: الكتاب: 4/ 242، وينظر: سر صناعة الإعراب: 1/ 17، 18.

(2) التبيان: 1/ 12.

الثالثة: إسكان الهاء؛ ووجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف وقد ضعفه؛ لأن حق هاء الضمير الحركة، وإنما تُسَكَّن هاء السكت، وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وشعبة، الرابعة: ضم الهاء وصلتها بواو في اللفظ علي تبیین الهاء المضمومة بالواو لأنها من جنس الضمة، كما بُيِّنَت المكسورة بالياء، والخامسة: ضم الهاء من غير واو لدلالة الضمة عليها، ولأنه الأصل.⁽¹⁾

وقراءة الضم بالوصل نسبها أبو حيان للزهري، وقراءة الضم مع الاختلاس قرأ بها سالم.

ومثل ذلك : ﴿يُؤَدِّهِ﴾ في قوله تعالى ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:7].⁽²⁾

وفي قوله تعالى ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف:111]

ذكر أنه قوله ﴿أَرْجِهْ﴾ فيه قراءات منها: أنه يقرأ ﴿أَرْجِئْهُ﴾ بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع،⁽³⁾ وهو الجيد⁽⁴⁾، وبالإشباع ﴿أَرْجِئْهُو﴾⁽⁵⁾ وهو ضعيف، لأن الهاء خفية فكأن الواو التي بعدها تتلو الهمزة، وهو قريب من الجمع بين ساكنين.

ويقرأ بكسر الهاء مع الهمز⁽⁶⁾ وهو ضعيف؛ لأن الهمز حرف صحيح ساكن فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر، ووجهه أنه أتبع الهاء كسرة الجيم والحاجز غير حصين.⁽⁷⁾

هذا ما ذكر من قراءات في هذه الآية، وفيها قراءتان أخريان: ﴿أَرْجِهْ﴾ بإشباع الهاء ياء، وهي قراءة الكسائي وورش وخلف العاشر، والقراءة الأخرى ﴿أَرْجِهْ﴾ بكسر الهاء دون إشباع، وهي رواية قالون عن نافع.⁽⁸⁾

وفي هذه الآية يحيل أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، وقد نقلنا قوله فيما سبق.

(1) ينظر: التبيان: 1/ 272، الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 349، الروضة: 2/ 589، غيث النفع: 179، إعراب القراءات الشواذ: 1/ 167.

(2) ينظر: التبيان: 2/ 1109.

(3) وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء، ينظر: غيث النفع: 226، الروضة: 2/ 668.

(4) هنا يرجح أبو البقاء قراءته بدون أن يذكر سببا لذلك.

(5) قرأ بها ابن كثير وهشام: ينظر: التيسير: 111، غيث النفع: 226.

(6) قراءة ابن عامر في ما رواه ابن ذكوان عنه، ينظر: الروضة: 2/ 668.

(7) التبيان: 1/ 587.

(8) ينظر: غيث النفع: 226، الروضة: 2/ 668، 669.

المبحث الخامس : التشديد والتخفيف

التشديد والتخفيف ظاهرة صوتية لها علاقة وطيدة باللسان العربي فالتشديد فيه غلظة تلائم البداوة، لأن القبائل البدوية تميل إلى شدة الأصوات، فالبدوي يحرص على توضيح الصوت لكي يسمع في أنحاء الفلاة، وهو بهذا يلجأ إلى عدة طرق منها: التشديد وكذلك التفخيم والتثقل، والذي يقوم بدوره فيدخل على الحرف سمناً يمتلئ الفم بصداه، عكس ما في الحواضر فإنهم يميلون إلى التأنى والتخفيف والهدوء وبما ينسجم مع طبيعتهم.⁽¹⁾

وكما هو معروف عن أهل الفن من أن الزيادة في المبني تدل على الزيادة في المعني فإن للتشديد معني، فعندما نقول «كسرتُها قطعتُها ومزقتُها، فإذا أردت كثرة العمل قلت كسرتُها وقطعتُها ومزقتُها.....» واعلم أن التخفيف في هذا جائز كله عربي، إلا أن "فَعَّلْتُ" إدخالها هنا لتبنيين التكثير⁽²⁾، وفي اللسان⁽³⁾ أن التخفيف لغة أهل الحجاز، والتثقل لغة بني تميم وسفلى قيس، كما أن بعض القبائل البدوية تميل أحياناً إلى التخفيف كما تميل قريش إلى التشديد أحياناً.⁽⁴⁾

وفي هذا المبحث نعرض أمثلة لبعض الآيات القرآنية التي قرئت بين التشديد والتخفيف.

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ [البقرة: 173].

قال أبو البقاء: الأصل الميتة بالتشديد لأن بناءه فيعلة والأصل "مَيَّوتُهُ"، فلما اجتمعت الياء والواو وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت، فمن قرأ بالتشديد أخرجه علي الأصل، ومن خفف حذف الواو التي هي عين - ومثله "سيد" و"هين"،⁽⁵⁾ وهما لغتان بمعنى، ومثل ذلك قوله: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [آل عمران: 27].⁽⁶⁾ ولفظ الميتة كذلك .

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 2 / 657.

(2) الكتاب: 4 / 64.

(3) 20 / 234. مادة (خفف).

(4) ينظر: المصدر السابق.

(5) التبيان: 1 / 141، 251.

(6) التبيان: 1 / 251.

قرأ بالتخفيف ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وشعبة في جميع القرآن، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ﴿المَيِّت﴾ بالتشديد أينما وقع.⁽¹⁾

وذكر صاحب الحجة أن القراءة بالتخفيف لاستئصال تشديد الياء مع كسرها فأسكنت⁽²⁾ فاختاروا التخفيف لأنه أخف وأكثر استعمالاً.

والمَيِّت والمَيِّت لغتان معروفتان قال الشاعر: [خفيف]

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَخْيَاءِ⁽³⁾

قال تعالى ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: 80].

قرأ نافع ﴿أَتَحَاجُّونِي﴾ وابن ذكوان وهشام في أحد وجهيه بتخفيف النون، والباقون بتثقيلها مع مد الواو لئلا يجتمع الساكنان.⁽⁴⁾

فمن قرأ بالتشديد فهو على إدغام نون الرفع في نون الوقاية والأصل تحاجونني، ومن قرأ بالتخفيف فهو على حذف إحدى النونين، وفي المحذوفة وجهان: أحدهما: هي نون الوقاية، لأنها الزائدة، وحذفت نون الوقاية ولم تحذف الأولى لأنها . أي الأولى . علامة الرفع، فلو حذفت لاشتبه المرفوع بالمنصوب والمجزوم.⁽⁵⁾

والثاني: المحذوفة نون الرفع لأن الحاجة دعت إلى نون مكسورة من أجل الياء ونون الرفع لا تكسر، وقد جاء ذلك في الشعر كثيراً،⁽⁶⁾ قال الشاعر: [بسيط]

كُلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضٍ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَقْلِيكُكُمْ وَتَقْلُونَا⁽⁷⁾

(1) التنكرة: 2/ 285، وينظر: غيث النفع: 175.

(2) ينظر: حجة القراءات: 159، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: 1/ 399، والبحر المحيط: 2/ 421.

(3) ينسب هذا البيت إلى شاعر جاهلي يدعى ابن الرعاء، والرعاء أمه، (ينظر: معجم الشعراء: المرزباني، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت: 354).

(4) غيث النفع: 211.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 7/ 29.

(6) ينظر: التبيان: 1/ 512، 513، حجة القراءات: 257، 258.

(7) هذا البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، (ت 95)، اشتهر بـ"الأخضر اللهبى" لسمة كانت فيه، شاعر من فصحاء بني هاشم، كان معاصراً للفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار. ينظر: معجم الشعراء: 178.

وذكر القرطبي أنه قد حكى عن أبي عمرو بن العلاء: أن هذه القراءة " التخفيف " لحن، ثم ذكر بعد ذلك رأي سيبويه بجوازها معللاً لها بقوله: استنقلوا التضعيف،⁽¹⁾ قال في الكتاب: «وهم في هذا الموضع أشد استنقالا للنونات، وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا؛ بلغنا أن الفراء قرأ: ﴿أَتُحْجُونِي﴾، وكان يقرأ ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: 54]، وهي قراءة أهل المدينة، وذلك لأنهم استنقلوا التضعيف».⁽²⁾

وفي قراءة التضعيف يحدث اجتماع الساكنين "الواو، وأول المشدد " فكان لابد من مد الواو لئلا يلتقي الساكنان، فصارت المدة فاصلة بين الساكنين.⁽³⁾

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿تَـأْمُرُونِيْٓ أَعْـبُدُ﴾ [الزمر: 64].⁽⁴⁾

قرأ ابن عامر من رواية ابن ذكوان عنه ﴿تَأْمُرُونِيْٓ﴾ بنونين، وقرأ نافع بنون واحدة مكسورة مع تحريك الياء، وقرأ الجمهور بتشديد النون ﴿تَأْمُرُونِيْٓ﴾.⁽⁵⁾

و في قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 89]

يقرأ بتشديد النون وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن ذكوان بالتخفيف وجها واحدا على أن لا نافية والفعل معرب مرفوع بثبوت النون، ووجه قراءة التشديد أن النون للتوكيد وليست للرفع لأن التي تدخل للرفع لا وجه لها ها هنا، لأن الفعل هنا غير معرب.⁽⁶⁾

وجه أبو البقاء قراءة التخفيف بأنها نهى، وحذف النون الأولى من الثقيلة تخفيفا، ولم تحذف الثانية لأنه لو حذفها لحذف نونا محركة واحتاج إلى تحريك الساكنة، وحذف الساكنة أقل تغييرا.⁽¹⁾

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 7/ 29.

(2) الكتاب: 3/ 519، 520.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 7/ 29، وينظر: إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت: 78/2.

(4) ينظر: التبيان: 2/ 1113.

(5) ينظر: الروضة: 2/ 895، 896، غيث النفع: 339.

(6) غيث النفع: 247.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 143].

قرأ الكسائي وحفص بالتخفيف ﴿نُنَاجِ﴾، من أنجى ينجي، وقرأ الجمهور بالتشديد ﴿نُنَاجِ﴾ من نَجَّى ينجي، وهما لغتان. (2)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران: 120]

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بكسر الضاد وإسكان الراء وقرأ الجمهور بالضم، قال الشاطبي: [بسيط] (3)

يضركم بكسر الضاد مع جزم رائه سما ويضم الغير والراء ثقلا

(1) التبيان: 2 / 685.

(2) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: 1 / 523.

(3) سراج القارئ: 183.

الفصل الثالث: التوجيهات الصرفية

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأسماء

المبحث الثاني: أبنية المصادر

المبحث الثالث: أوزان الفعل.

المبحث الأول: الأسماء

ويضم ثلاثة مطالب:.

المطلب الأول: الإفراد والجمع.

المطلب الثاني: جموع التكسير.

المطلب الثالث: التذكير والتأنيث.

المطلب الأول: الإفراد والجمع

يتناول هذا المطلب القراءات القرآنية التي ذكرها العكبري بصيغتي الإفراد والجمع

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ [البقرة:184].

قرأ بالجمع « مساكين » والإضافة في « فدية طعام » نافع وابن عامر، وهي قراءة أهل المدينة والشام وقرأ الباقون بالإفراد⁽¹⁾، وهي قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهي قراءة حسنة لأنها بينت الحكم في اليوم؛ قال أبو عبيد: بيّنت أن لكل يوم إطعاما واحدا⁽²⁾.

وجاء⁽³⁾ على الإفراد، والمعنى أن ما يلزم بإفطار كل يوم إطعام مسكين واحد، وجاء على الجمع لأنه جمعه في قوله: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ ، فقابل الجمع بالجمع، ولم يجمع ﴿فِدْيَةٌ﴾ لأمرين: أحدهما أنها مصدر، والهاء فيها لا تدل على المرة الواحدة، بل هي للتأنيث، والثاني: أنه لما أضافها إلى مضاف إلى الجمع فهم منها الجمع.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى ﴿ إِصْرُهُمْ وَالْأَغْلَالُ ﴾ [الأعراف:157].

((قرأ الجمهور على الإفراد وهو جنس، ويقرأ ﴿ أَصَارُهُمْ ﴾ على الجمع لاختلاف أنواع الثقل الذي كان عليهم ولذلك جمع الأغلال))⁽⁵⁾.

وكذلك القول في قوله تعالى ﴿ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ ﴾ [الحجر:22]، و﴿ تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ ﴾ [الكهف:45] ، و﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ ﴾ [البقرة:164]

قرأ حمزة والكسائي بالإفراد، وقرأ الجمهور بالجمع، لاختلاف أنواع الرياح، وقراءة الإفراد على الجنس أو إقامة المفرد مقام الجمع.⁽⁶⁾

(1) سراج القارئ: 61.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 2 / 287.

(3) هنا يتضح اهتمامه بالجانب الفقهي.

(4) ينظر: التبيان: 1 / 150.

(5) ينظر: التبيان: 1 / 598، وقراءة الجمع هي قراءة ابن عامر الشامي؛ ينظر : سراج القارئ: 229.

(6) سراج القارئ: 158، وينظر: التبيان: 1 / 133، 2 / 850،

وقوله: ﴿وَكُتِبَ﴾ في كل من: [البقرة: 285]، [التحریم: 12].

تقرأ بالإنفراد وهو جنس يحتمل أن يراد به القرآن في الآية الأولى، وفي الثانية الإنجيل، والجمع في كُلِّ بإرادة جميع الكتب المنزلة.⁽¹⁾

وقوله ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: 42].

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الكاف بالإنفراد على الجنس، وقرأ الجمهور بالجمع على الأصل.⁽²⁾

وقوله ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا﴾ [الفرقان: 74].

ذرياتنا، قرأ الجمهور بالإنفراد وهو جنس، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بالجمع.⁽³⁾

﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ [الشورى: 37]. [النجم: 43]

قرأ حمزة والكسائي ﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ بكسر الباء وياء ساكنة من غير ألف، وقرأ الباقرن بالألف على الجمع⁽⁴⁾؛ واحدها كبيرة ومن أفرد ذهب به إلى الجنس⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِهِ﴾ [المائدة: 67].

قرأ نافع وابن عامر وشعبة بالإنفراد، وهو جنس في معنى الجمع، والجمهور بالجمع لأن جنس الرسالة مختلف.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى ﴿غَيَّبَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: 10، 15].

قرأ نافع بالجمع وقرأ الباقرن بالإنفراد ﴿غَيَّبَتِ﴾؛⁽¹⁾

(1) ينظر : سراج القارئ: 170، غيث النفع: 171، 370، وقراءة الإفراد في سورة البقرة للكسائي وحمزة، والجمهور بالجمع، وقراءة الجمع في سورة التحريم لأبي عمرو وحفص، وقرأ الجمهور بالإنفراد. وينظر في ذلك: التبيان 1/ 234، البحر المحيط: 8/ 295، إعراب القراءات الشواذ: 2/ 308.

(2) ينظر: التبيان: 2/ 760. غيث النفع: 264.

(3) ينظر: التبيان: 2/ 992. غيث النفع: 306.

(4) سراج القارئ: 345، وينظر: غيث النفع: 347، 359، 360.

(5) التبيان في إعراب القرآن 2/ 1135

(6) التبيان: 1/ 450، وينظر: غيث النفع: 204.

وجه أبو البقاء قراءة الأفراد بأنها الموضع الذي يخفي من فيه وقراءة الجمع على وجهين: إما أن يكون جمعها بما حولها كقول الشاعر: [طويل]

يَزِلُّ الْغُلَامُ الْخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ⁽²⁾

أو أن يكون في الجب مواضع على ذلك.⁽³⁾

ويقرأ بتشديد الياء مفرداً وجمعاً، ويقرأ "غَيْبَةً" بفتح الياء من غير ألف، وهو جمع مثل "كافر، كفرة" ويجوز أن يكون مصدرًا مثل الغَلَبَةِ، ويقرأ بفتح الغين وإسكان الياء، أي في ما غاب من الجب، فالمصدر هنا بمعنى الغائب، كالنجم بمعنى الناجم والطلع بمعنى الطالع، ويقرأ كذلك إلا أنه بكسر الغين إتياعاً للياء.⁽⁴⁾

وفي قوله: ﴿إِنَّ صَلَوَ تَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: 103]، و﴿أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ﴾ [هود: 87]

قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿صَلَوَاتُكَ﴾ على التوحيد ونصب التاء، والباقون بإثباتها على الجمع في كل⁽⁵⁾؛ وذكر العكبري في توجيهها أنها ظاهرة.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [ص: 45].

قال: « يقرأ على الجمع، والأسماء التي بعده بدل منه، وعلى الأفراد فيكون ما بعده بدلاً منه وما بعده معطوفاً على عبدنا، ويجوز أن يكون جنساً في معنى الجمع فيكون كالقراءة الأولى⁽¹⁾، وقراءة الأفراد هي قراءة ابن كثير وقرأ الباقر بالجمع.⁽²⁾

(1) سراج القارئ: 254.

(2) هو صدر بيت من معلقة امرئ القيس الكندي قفا نبك، وتمامه: ويلوي بأثراب العنيف المثقل؛ وفي الديوان: "يطير" بدل "يزل"؛ ينظر: ديوان امرئ القيس: 20.

(3) ينظر: التبيان: 2/ 723.

(4) إعراب القراءات الشواذ: 2/ 360.

(5) ينظر: التبيان: 2/ 658، غيث النفع: 239، 252.

(6) ينظر: التبيان: 2/ 658.

ومثل هذه الآية قوله تعالى ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس:41]

قرأ نافع وابن عامر بألف على الجمع مع كسر التاء، وقرأ الجمهور بالإفراد.⁽³⁾

وقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ [سبأ:15]

يقرأ على الإفراد والجمع،⁽⁴⁾ والمساكن جمع مسكن بفتح الكاف وكسرها، وهما المنزل موضع السكون؛ ويجوز أن يكون مصدرًا فيكون الواحد مفتوحاً مثل: المقعد والمطلع، والمكان بالكسر.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾ [يوسف:7].

يقرأ على الجمع لأن كل خصلة مما جرى آية، ويقرأ على الإفراد لأن جميعها يجري مجرى الشيء الواحد، وقيل وضع الواحد موضع الجمع، وهي قراءة ابن كثير، وقرأ الجمهور بالجمع.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ [المؤمنون:8] [المعارج:32]

قرأ الجمهور بالجمع، لأنها كثيرة كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ [النساء:58]، وقرأ ابن كثير بالإفراد لأنها جنس عهد في الإفراد كـ"عهدهم".⁽⁷⁾

ومثله ﴿صَلَوْتِهِمْ﴾ في الإفراد والجمع، قرأ حمزة والكسائي بالإفراد والجمهور بالجمع.⁽⁸⁾

وقال تعالى ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون:14]

(1) التبيان: 2 / 658.

(2) ينظر: سراج القارئ: 336، غيث النفع: 336.

(3) ينظر: التبيان: 2 / 1083، غيث النفع: 332.

(4) قرأ حفص والكسائي وحمزة على الإفراد والباقيون على الجمع. [سراج القارئ: 329].

(5) التبيان: 2 / 1066.

(6) التبيان: 2 / 723، و ينظر: غيث النفع: 354.

(7) التبيان: 2 / 950 .

(8) التبيان: 2 / 950، وينظر: غيث النفع: 299.

قرأ ابن عامر وأبو بكر⁽¹⁾ ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ﴾ علي التوحيد، والعظم يجزئ عن العظام؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أراد أطفالا،⁽²⁾ وحجة ذلك أن لفظ الواحد يراد به الجمع.

وقرأ الباقر ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ﴾ على الجمع، والحجة قوله تعالى ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:78]، وقوله ﴿أَذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ [النزعت:11]، فالجمع هو الأكثر في القرآن؛ ومن خلال مناقشة الحجج نجد أن الأكثر في المصحف قراءة الجمع، وأما قراءة التوحيد فاستدل بها على أن الواحد يدل على الجمع، علما بأن العظم اسم جنس وفيه متسع لذلك⁽³⁾، وكما نعلم فإن الإنسان عظم ولحم، فإذا ذكرنا العظم بلفظ التوحيد وذكرنا معه اللحم يستدل في ضوء هذا الذكر أن العظم بالتوحيد يراد به العظام جمعا،⁽⁴⁾ و يقوي هذه القراءة قراءة عبد الله بن مسعود: «ثُمَّ جَعَلْنَا النُّطْفَةَ عِظْمًا وَصُلْبًا فَكَسَوْنَاهُ لَحْمًا» وذكر أن المراد بالعظم عظم الصلب.⁽⁵⁾

وهذه اللغات في الآيات السابق ذكرها مستقيمة ولا غبار عليها، ذلك لأن اللغة العربية فيها متسع فبوساطة التوحيد يقصد الجمع وبالعكس، ولمثل تلك الآيات أمثلة أخرى ذكرت فيها بالجمع والتوحيد.

(1) سراج القارئ: 299، 300.

(2) ذكر القرطبي في قوله تعالى: ﴿طِفْلًا﴾ «أي أطفالا فهو اسم جنس، وأيضا فإن العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد، قال: يلخينني في حبها ويلممني * * إن العواذل ليس لي بأمير

فلم يقل أمراء، وذكر عن المبرد أنه قال: وهو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل، فيقع على الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَازِ النِّسَاءِ﴾ [النور: 31]، وقيل المعنى ثم نخرج كل واحد منكم طفلا، ودليل أنه بمعنى الجمع نعتة في الآية بـ«الذين»، وقد كتب في مصحف حفصة "أو الأطفال" على الجمع» [الجامع لأحكام القرآن: (12/ 11، 236)، (16/ 302)].

(3) ينظر: التبيان: 2/ 951، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: 2/ 126، إعراب القرآن للنحاس: 3/ 112.

(4) معاني القرآن وإعرابه: الفراء: 4/ 8.

(5) تفسير ابن كثير 2/ 240.

المطلب الثاني: جموع التكسير

سنتناول في هذا المطلب الاختلافات في جموع التكسير بين القراءات القرآنية المختلفة، مع عرض نماذج لهذه الخلافات وتوجيه أبي البقاء لذلك، مع عرض توجيهات لبعض الأئمة الآخرين إذا اقتضى الأمر ذلك، و مقارنتها بتوجيهات أبي البقاء ما أمكن لذلك سبيلا.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ [يوسف: 62].

قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿لِفَتْنَيْتِهِ﴾ بالألف، مثل جار جيران، تاج تيجان، وهو من جموع الكثرة وعلى هذا يكون واقعا موقع جموع القلة،⁽¹⁾ والفتيان للكثير من العدد؛ وقوى هذه القراءة قول النبي ﷺ وقد مر يقوم يرفعون حجرا فقال: ⁽²⁾ «فتيان الله أشد من هؤلاء»⁽³⁾، وقرأ الباقون بالتاء على فِعْلَةٍ وهو جمع قلة مثل صبية، ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: 13]، وقوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: 10] فرد ما اختلف فيه إلى ما اجمعوا عليه.⁽⁴⁾

قال الكسائي: «هما لغتان مثل: إخوان إخوة، صبيان صبية، غلمان غلمة»،⁽⁵⁾ و«فتية» على وزن «فعلة» و«فتيان» على وزن «فعلان»، فمن قرأ ﴿فَتْنَانِهِ﴾ جعله لأكثر العدد، ومما يقوي هذا ﴿رِحَالِهِمْ﴾، فأخبر بكثرة الخدم ليوسف عليه السلام.⁽⁶⁾

ومن قرأ بـ﴿فِتْيَةٍ﴾ جعله جمعا لأقل العدد؛ لأن القليل من الخدم جعلوا البضاعة في الرحال،⁽⁷⁾ وهي قراءة الجمهور، وعليها المعنى، وهي القراءة المختارة كما يراها النحّاس ومكي⁽⁸⁾، ويذكر النحّاس أن أصل «فتية» أفعله، وإن كان صغّر لفظه، علما أن جمع فتية

(1) التبيان: 2 / 736.

(2) لم أجد هذا الحديث في كتب التخرّيج.

(3) ينظر: حجة القراءات: 360، 361.

(4) ينظر الحجة 360، 362، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: 2 / 12.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 9 / 223.

(6) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 2 / 12، والكشاف: 2 / 264.

(7) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: 2 / 12.

(8) ينظر: إعراب القرآن للنحّاس: 2 / 334، والكشف: 2 / 12.

لم يطرد في الأوزان القياسية، وهو سماعي ولا قياس فيه، وذكر ابن السراج أنه اسم جمع لا جمع، ويرى الفراء أن القراءتين سواء. (1)

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: 27].

قرأ الكسائي وابن كثير بإسكان الطاء والباقون بفتحها، (2) ويوجه أبو البقاء قراءة الفتح بأنها: جمع قطعة، (3) ولم يتعرض لقراءة السكون.

وقد ذكر صاحب حجة القراءات أن إسكان الطاء من وجهين: أحدهما: إرادة الجمع، وعلى هذا تكون قطعاً هنا جمع قطعة، كقولنا: سُدرة، سُدْر، الآخر: إرادة المفرد، فـ "قطعاً" تعني ظلمة الليل أو بقية من سواد الليل. (4)

وكهذه الآية قوله تعالى: ﴿كَسَفًا﴾، في ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ [الروم: 48].

قراءة الجمهور بفتح السين، على أنه جمع "كِسْفَة"، وقرأ ابن عامر وهشام في أحد وجهيه بإسكانها للتخفيف، ويجوز أن يكون مصدراً. (5)

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: 4]

ذكر أنه يقرأ بالضم والإسكان ﴿خَشَبٌ﴾ جمع "خَشَب" مثل أسد أُسْد، (6) وقراءة الجمهور بالضم على الأصل ﴿خَشْبٌ﴾، وقرأ أبو عمرو والكسائي وقنبل بإسكان الشين تخفيفاً. (7)

وفي قوله تعالى: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: 19].

قال: «جمع لِبْدَة ويقرأ بضم اللام وفتح الباء مثل حُطَم»، وكذلك غُرَف، وبها قرأ هشام ﴿لِبْدًا﴾، وقراءة الجمهور ﴿لِبْدًا﴾. (1)

(1) ينظر: معاني القرآن للفراء: 48 / 2.

(2) ينظر: غيث النفع: 240.

(3) التبيان: 2 / 679.

(4) ينظر: حجة القراءات: 330.

(5) ينظر: التبيان: 2 / 1042، غيث النفع: 321.

(6) التبيان: 2 / 1224.

(7) ينظر: غيث النفع: 368.

ويشير العكبري في هذه الآية إلى قراءة أخرى هي: ﴿لَبَدَا﴾ مثل: صَوْم، وهي قراءة أبي العالية، والحسن، والجحدري.⁽²⁾

وفي قوله: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: 99]، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [الأنعام: 141]

ذكر أنه يقرأ بفتح التاء والميم جمع ثَمَرَةٍ مثل ثَمَرَةٍ وَثَمَرٍ⁽³⁾، وهو جنس في التحقيق لا جمع، ويقرأ بضم التاء والميم ﴿ثُمَرِهِ﴾ وهو جمع ثَمَرَةٍ، مثل خَشَبَةٍ وَخُشْبٍ، وقيل هو جمع ثمار مثل كتاب وكتب، فهو جمع جمع.⁽⁴⁾

قرأ الجمهور ﴿ثَمَرِهِ﴾ بفتحيتين، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ثُمَرِهِ﴾⁽⁵⁾، وقرأ أبو عمرو ﴿ثُمَرٍ﴾ [الكهف: 34] بضم فسكون،⁽⁶⁾ ذكر ذلك أبو البقاء قائلاً: « ويجوز تسكين الميم تخفيفاً »⁽⁷⁾ على أنها مخففة من المضمومة.⁽⁸⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ [الحج: 2].

قرأ حمزة والكسائي بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف، وقرأ الباقر بضم السين وفتح الكاف بعدها ألف.⁽⁹⁾

قال أبو البقاء « والضم والفتح فيه لغتان قد قرئ بهما »⁽¹⁰⁾.

يذكر الفراء أن "فَعَلَى" جمع كل ذي ضرر مثل: "مريض، مرضى"، ولأن السكر آفة كالمرض، والعرب تذهب بـ"فاعل، فاعيل وفعل" إذا كان صاحبه كالمرضى أو الصريع أو الجريح

(1) التبيان: 2 / 1245. وينظر: سراج القارئ: 375.

(2) ينظر: التبيان: 2 / 1245، وينظر: البحر المحيط: 8 / 436، الجامع لأحكام القرآن: 19 / 23.

(3) لم يوجد في كلام العرب "ثمر" بفتح التاء والميم، [ينظر: لسان العرب: 4 / 93، 94].

(4) التبيان: 1 / 525، 526. وينظر أيضاً: 2 / 847.

(5) ينظر: غيث النفع: 213.

(6) ينظر: غيث النفع: 213، التبيان: 2 / 847.

(7) التبيان: 1 / 526.

(8) إعراب القراءات الشواذ: 1 / 435، 436.

(9) غيث النفع: 295.

(10) التبيان: 2 / 932.

فيجمعونه على "فَعَلَى".⁽¹⁾ وقراءة الجمهور ﴿سُكَّرَى﴾ جمع سكران، لأن باب فعلان يجمع على فعالي.⁽²⁾

قال أبو البقاء : « ويقرأ "سُكَّرَى" مثل حبلَى، وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه،⁽³⁾ وقيل هو محذوف من سكارى، وقيل هو واحد مثل حُبْلَى، كأنه قال: ترى الأمة سُكَّرَى؛⁽⁴⁾ ووجه الفراء قراءة ابن مسعود بأنها: « وجه جيد في العربية لأنه بمنزلة الهَلَكَى والجرحَى »⁽⁵⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة: 283].

قرأ بضم الهاء وسكونها ﴿رُهْنٌ﴾ أبو عمرو وابن كثير، وقرأ الباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها،⁽⁶⁾ والقراءة الأولى جمع رَهْن، مثل سَقَف سُقْف، وسُكِّنَت الهاء لنقل الضمة بعد الضمة؛ وقيل رُهْن جمع رِهَان، ورِهَان جمع رُهْن فتكون رُهْن هنا جمعا للجمع،⁽⁷⁾ على قول الأخفش.⁽⁸⁾

(1) معاني القرآن للفراء: 2 / 215.

(2) ينظر: حجة القراءات: 472.

(3) ينظر: البحر المحيط: 2 / 170.

(4) التبيان: 2 / 932.

(5) ينظر معاني القرآن للفراء: 2 / 214، 215.

(6) غيث النفع: 171.

(7) ينظر: التبيان: 1 / 232، و الجامع لأحكام القرآن: 3 / 408،

(8) ينظر: لسان العرب: 13 / 188 (رهن).

المطلب الثالث: التذكير والتأنيث

تناول هذا المطلب الكلمات القرآنية التي ذكرها أبو البقاء مختلفة تذكيرا وتأنيثا باختلاف القراءات القرآنية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: 40].

قرأ أبو عمرو ﴿تُفَتَّحُ﴾ بالتاء والتخفيف، وقرأ الكسائي وحمزة ﴿يُفَتَّحُ﴾ بالياء والتشديد، وقرأ الجمهور ﴿تُفَتَّحُ﴾ بالتاء والتشديد،⁽¹⁾ للتكثير، ووجه قراءة الياء أن تأنيث الأبواب غير حقيقي فجازت المخالفة.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: 158].

قرأ الجمهور بالياء في الآيتين ﴿يَأْتِي﴾ ﴿يَنْفَعُ﴾ على التذكير، وقرأ بالتاء على التأنيث ﴿تَنْفَعُ﴾ وفيها وجهان: أحدهما: أنه أنت المصدر على المعنى، لأن الإيمان والعقيدة بمعنى، فهو بمثل قولهم جاءتته كتابي فاحتقرها، أي صحيفتي أو رسالتي، والوجه الثاني: أنه حسن التأنيث لأجل الإضافة إلى المؤنث.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: 16].

قرأ حمزة والكسائي وشعبة ﴿يَسْتَوِي﴾ بالياء، وحجة ذلك: أن تأنيث الظلمات غير حقيقي، فجاز تذكيره كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: 275].

(1) ينظر: غيث النفع 233.

(2) ينظر: التبيان: 1/ 567، إعراب القراءات الشواذ: 1/ 277، الحجة في القراءات السبع: 154.

(3) ينظر: التبيان: 1/ 551.

وقرأ الجمهور بالتاء وحجة ذلك: تأنيث الظلمات لفظاً.⁽¹⁾

ويذكر القرطبي أنه إذا كان الفاعل جمع مؤنث سالماً وتقدمه فعل، فيجوز في الفعل التذكير والتأنيث، لأنه جمع قلة، والعرب تذكر وتؤنث إذا كان كذلك.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [النور: 35].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿تَوَقَّدَ﴾ بالتاء مفتوحة مع تشديد القاف، ووجه ذلك أن التأنيث للزجاجة، وقرأ الباقرن بالياء على معنى المصباح.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿يَكَادُ السَّمَوْتُ يَتَقَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ [مريم: 90].

قرأ نافع والكسائي ﴿يكاد﴾ بالياء ، والجمهور بالتاء.⁽⁴⁾

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: 2 / 19، وينظر: التبيان: 2 / 765، غيث النفع: 264، الحجة للقراءات السبع: 83، 201.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 9 / 303.

(3) ينظر: غيث النفع: 303، التبيان: 2 / 970.

(4) ينظر: غيث النفع: 283.

المبحث الثاني: أبنية المصادر

المصدر هو اللفظ الدال على الحدث مجردا عن الزمان متضمنا أحرف فعله لفظا مثل "علم علما"، أو تقديرا "قاتل قتالا"؛ وهو أصل المشتقات عند البصريين ، أما عند الكوفيين فالفعل هو الأصل، والمصدر قسمان: مصدر للثلاثي، ومصدر لغير الثلاثي.

وكما نعلم فإن للفعل الثلاثي أوزانا ثلاثة « فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ » ولمصادره أوزان كثيرة؛ و"فَعَلَ" هو المصدر الأصلي للأفعال الثلاثية المجردة، ثم عُدل بكثير من مصادرها عن هذا الأصل، وبقي كثير منها على هذا الوزن.⁽¹⁾

وسأتناول في هذا المبحث المصادر واختلافاتها بين القراءات.

المصدر الثلاثي القياسي (فَعَلَ):

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 251]، [الحج: 34].

قرأ نافع ﴿دَفَعَ﴾ بكسر الدال وبالألف،⁽²⁾ فيحتمل أن يكون مصدر دفعت، ويجوز أن يكون مصدر دافعت،⁽³⁾ وقراءة الجمهور ﴿دَفَعُ﴾ بفتح الدال من غير ألف، وهو مصدر مضاف إلى الفاعل.

ومثله قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ [طه: 87].

قرأ حمزة والكسائي بضم الميم فيها ﴿بِمَلَكِنَا﴾، ونافع وعاصم بفتحها ﴿بِمَلَكِنَا﴾، والباقون بالكسر ﴿بِمَلَكِنَا﴾؛⁽⁴⁾ وذكر أبو البقاء أن فيه وجهين: أحدهما: أنها لغات والجميع مصدر بمعنى القدرة، والثاني: أن الضم مصدر "مَلَك" يقال: "مُلِك"، والفتح بمعنى المملوك، والكسر مصدر مالك، ويكون بمعنى المملوك أيضا؛⁽⁵⁾ قال القرطبي: والكسر هو اللغة العالية.⁽⁶⁾

(1) ينظر: الكتاب : 43/4.

(2) غيث النفع: 168، 297.

(3) إملاء ما من به الرحمن: 105 / 1.

(4) غيث النفع: 291.

(5) التبيان: 2 / 900.

(6) 234 / 11. وينظر: لسان العرب: 492/10.

وفي قوله تعالى: ﴿شَرِبَ الْهَيْمِ﴾ [الواقعة:55].

ذكر أنه يقرأ بالضم والفتح والكسر؛ فالفتح مصدر، والآخران اسم له، وقيل إنها لغات في المصدر،⁽¹⁾ وقراءة الضم لنافع وعاصم، وقرأ الباقر بالفتح.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء:5].

قرأ نافع وابن عامر بغير ألف بعد الياء والباقر بالألف.⁽³⁾

وقراءة الجمهور ﴿قِيَامًا﴾ مصدر "قام"، والياء بدل من الواو وأبدلت منها لما أعلت في الفعل وكانت قبلها كسرة، والتقدير التي جعل الله لكم سبب قيام أبدانكم، أي بقائها؛ وقراءة ﴿قِيَمًا﴾ بغير ألف فيها ثلاثة أوجه: أحدها أنه مصدر مثل الحَوْل والعَوَض، وكان القياس أن تثبت الواو لتُحَصِّنَهَا بتوسطها كما صحت في الحَوْل والعَوَض، ولكن أبدلت ياءً حملاً على قيام وعلى اعتلالها في الفعل، والثاني: أنها جمع "قِيَمَة" كـ"دِيَمَة" و"دِيم"، والمعنى أن الأموال كالقيم للنفوس إذ كان بقاؤها بها، وقال أبو علي: هذا لا يصح لأنه قد قرئ في قوله ﴿دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام:163]⁽⁴⁾ وفي قوله ﴿الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا﴾ [المائدة:99]، ولا يصح معنى القيمة فيهما، والوجه الثالث: أن يكون الأصل ﴿قِيَامًا﴾ فحذفت الألف كما حذفت في خيم.⁽⁵⁾

وفيها قراءات أخرى ذكرها أبو البقاء وهي:

"قواما": بكسر القاف وبواو وألف، فيها وجهان: أحدهما: هو مصدر قاومت قواما، مثل "لاوذت لواذا"، فصحت في المصدر لما صحت في الفعل، والثاني: أنها اسم لما يقوم به الأمر وليس بمصدر.

(1) التبيان: 2/ 1205.

(2) غيث النفع: 364.

(3) المصدر السابق: 188.

(4) الاستشهاد بالآية هنا على قراءة الجمهور، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف وفتح الياء (ينظر: غيث النفع:

220).

(5) التبيان: 1/ 330، 331.

"قَوَامًا" بفتح القاف وواو وألف، وفيه وجهان: أحدهما: هو اسم للمصدر مثل السلام والكلام والدوام، والثاني: هو لغة في القَوَام الذي هو بمعنى القامة، يقال جارية حسنة القَوَام والقَوَام، وتقدير الآية: التي جعل الله سبب بقاء قاماتكم.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ [الأنبياء: 58]

يقرأ بالضم⁽²⁾ والفتح والكسر⁽³⁾ وهي لغات، وقيل الضم على أن واحده جُذَاذة والكسر على أن واحده جِذَاذة بالكسر، والفتح على المصدر كالحصاد، والتقدير: ذوي جذاذ.⁽⁴⁾

ويقرأ بضم الجيم من غير ألف وواحد "جُذَّة"، ك"قبة" و"قُبب"؛ ويقرأ كذلك إلا أنه بضم الذال الأولى، وواحد جُذِذ ك"قُلَيْب" و"قُلْب".⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا﴾ [الاسراء: 31]

يقرأ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمز وهي قراءة الجمهور⁽⁶⁾، وهو مصدر خطئ مثل علم علما وقرأ ابن ذكوان بكسر الخاء وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مصدر مثل شَبِعَ شِبْعًا، إلا أنه أبدل الهمزة ألفا في المصدر وياء في الفعل لانكسار ما قبلها؛ والثاني: أن يكون ألقى حركة الهمزة على الطاء فانفتحت وحذف الهمزة؛ والثالث: أن يكون خفف الهمزة بان قلبها ألفا على غير القياس فانفتحت الطاء.⁽⁷⁾

وقرأ ابن كثير⁽⁸⁾ كذلك إلا أنه بالهمز.

ويقرأ بالفتح والهمز مثل نَصَب وهو كثير، ويقرأ بالكسر والمد مثل قام قياما.⁽¹⁾

(1) ينظر: التبيان: 331 / 1

(2) وهي قراءة الجمهور، (ينظر: غيث النفع: 294)، ولم أجد فيما اطلعت من كتب القراءات التي اطلعت عليها قراءة الفتح، وإنما تشير جميع تلك المصادر إلى قراءتي الرفع والجر.

(3) قرأ الكسائي بالكسر (ينظر: غيث النفع: 294)

(4) التبيان: 920 / 2.

(5) التبيان: 921 / 2.

(6) ينظر: المصدر السابق.

(7) ينظر: التبيان: 819 / 2، غيث النفع: 273.

(8) ينظر: غيث النفع: 273.

المصدر الثلاثي غير القياسي:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [الأحقاف: 15]

قرأ الكوفيون، الكسائي وحمزة وعاصم ﴿إِحْسَانًا﴾ والجمهور ﴿حُسْنًا﴾⁽²⁾؛ ووجه أبو البقاء قراءة الجمهور: ألزمناه حسنا، تقدير ذلك: وصية ذات حسن، و﴿إِحْسَانًا﴾ أي: ألزمناه إحسانا، ويقرأ "حَسْنَا": أي إيصاء حسنا أو ألزمناه فعلا حسنا.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُبُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8].

قرأ الجمهور بفتح النون، قيل هي مصدر، وقيل هي اسم فاعل أي: ناصحة على المجاز، ويقرأ بضمها "نُصُوحًا"، وهو مصدر لا غير مثل القعود،⁽⁴⁾ وهي قراءة شعبة.⁽⁵⁾

مصادر غير الثلاثي:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: 3]

ذكر أنها بالالف وضم الواو مصدر تَفَاوَتْ، و"تَفَوَّت" مصدر تَفَوَّتَ، وذكر أنهما لغتان،⁽⁶⁾ وقراءة الجمهور ﴿تَفَاوُتٍ﴾، وقرأ حمزة والكسائي ﴿تَفَوَّتٍ﴾⁽⁷⁾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: 40]

ذكر انه يقرأ ﴿أَذْبَارَ﴾ بفتح الهمزة جمع دبر، وهي قراءة الجمهور، و﴿إِذْبَارَ﴾ بكسرها مصدر أدبر، وتقدير ذلك: وقت إدبار السجود، وهي قراءة نافع وابن كثير وحمزة.⁽⁸⁾

(1) ينظر: التبيان: 2 / 819.

(2) غيث النفع: 351.

(3) ينظر: التبيان: 2 / 1156.

(4) ينظر: التبيان: 2 / 1230.

(5) ينظر: غيث النفع: 370.

(6) ينظر: التبيان: 2 / 1232.

(7) غيث النفع: 371.

(8) ينظر: التبيان: 2 / 1177، غيث النفع: 356.

المصدر الميمي

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمُعَلِّمِهِمْ مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 59].

قرأ شعبة ﴿لِمُعَلِّمِهِمْ﴾ على مَفْعَل، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام ﴿لِمُعَلِّمِهِمْ﴾، وقرأ الجمهور ﴿لِمُعَلِّمِهِمْ﴾⁽¹⁾ على مُفَعَّل بضم الميم وفتح اللام وفيه وجهان: أحدهما: هو مصدر بمعنى الإهلاك مثل المُدْحَل، والثاني: هو مفعول، أي لمن أَهْلَكَ، أو: كما أَهْلَكَ منها.⁽²⁾

وقراءة الفتح على أنها مصدر "هَلَكَ يَهْلِك"، وقراءة الفتح والكسر مصدر أيضا، ويجوز أن تكون زمانا، أي لوقت هلاكهم.⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿مَا شَهِدْنَا مُهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [النمل: 49].

قرأ عاصم بفتح الميم والباقون بضمها، وقرأ حفص بكسر اللام والباقون بالفتح،⁽⁴⁾ وتوجيهه كسابقتها.⁽⁵⁾

وفي قوله: ﴿وَنُذْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31]، ﴿لِيُذْخِلَهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ [الحج: 55]

قرأ نافع بفتح الميم⁽⁶⁾ وهو مصدر "دخل" والتقدير: وندخله فيَدْخُل مَدْخَلًا، ومفعل إذا وقع مصدرا كان مصدر فَعَلَ؛ وقيل مدخل هنا مكان فيكون مفعولا؛⁽⁷⁾ وقراءة الجمهور بالضم.

قال الأزهري: من قرأ ﴿مَدْخَلًا﴾ بضم الميم فهو مصدر أدخله مَدْخَلًا وإِدْخَالًا، ويجوز أن يكون "المدخل" اسماً كأنه وضع موضع الإدخال؛ ومن قرأ ﴿مَدْخَلًا﴾ بفتح الميم فله معنيان: أحدهما: مصدر دخل مَدْخَلًا، أي دخولا؛ والثاني: موضع الدخول.⁽⁸⁾

(1) ينظر: غيث النفع: 280 .

(2) التبيان: 2 / 853.

(3) ينظر: المصدر السابق .

(4) غيث النفع: 312، وتفصيل ذلك: قراءة الجمهور ﴿مُهْلِكًا﴾، وقراءة حفص: ﴿مَهْلِكًا﴾، وقراءة شعبة: ﴿مَهْلِكًا﴾.

(5) ينظر: التبيان: 2 / 1009.

(6) غيث النفع: 190.

(7) التبيان: 1 / 135.

(8) ينظر: الحجة في القراءات السبع 122، 123، والكشف 1 / 386، 387 .

وفي قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾ [المؤمنون : 29].

قرأ شعبة ﴿مَنْزِلًا﴾ بفتح الميم وكسر الزاي، وهي مكان، أو مصدر "نزل"، وقرأ الباقر ﴿مُنْزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي، وهو مصدر بمعنى الإنزال، ويجوز أن يكون مكانا. (1)

وفي قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم : 22].

قرأ ابن كثير بضم الميم والباقر بفتحها، (2) وفيها وجهان: أحدهما هو موضع الإقامة، والثاني هو مصدر كالإقامة. (3)

ومثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان : 51]. (4)

وفي قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر : 5].

قرأ الكسائي وابن محيصن بكسر اللام، وقرأ الباقر بفتحها (5) مصدر "طلع مَطْلَعًا وَطُلُوعًا"، لأن ما كان على "فعل يفعل" فالمصدر والمكان منه على وزن "مَفْعَل" بفتح العين، نحو "المقتل" و"المخرج"؛ والفتح والكسر لغتان في المصدر (6)

(1) ينظر: التبيان: 2/ 953، غيث النفع : 300.

(2) غيث النفع: 286.

(3) التبيان: 2/ 880.

(4) ينظر: التبيان: 2/ 1149.

(5) ينظر: غيث النفع: 391، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 135.

(6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 20/ 135.

مصدر الهيئة.

قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: 106].

قرأ حمزة والكسائي ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين والقاف وألف بعدها، والجمهور بكسر الشين وإسكان القاف ﴿شِقْوَتُنَا﴾⁽¹⁾؛ وهما مصدران، قال: والشَّقْوَةُ كالفِطْنَةِ، وزنها "فَعْلَةٌ" مصدر هيئة، قال أبو البقاء: وهما بمعنى واحد،⁽²⁾ بمعنى المرة والهيئة.

(1) ينظر: غيث النفع: 301.

(2) التبيان: 2 / 961.

المبحث الثالث: أوزان الفعل

قال تعالى: ﴿وَلَن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: 157].

قوله ﴿مِتُّمْ﴾: «الجمهور على ضم الميم وهو الأصل» ﴿مِتُّمْ﴾، لأن الفعل منه يموت، ويقرأ بالكسر وهو لغة؛ يقال "مات يَمَات"، مثل "خاف يخاف"؛ وكسرت الميم للدلالة على أن عين الفعل مكسورة، ككسر خِفْتُ؛ قال: فكما تقول خفت، تقول مِتُّ. (1)

قرأ بالكسر نافع وحمزة والكسائي (2)، وهي لغة الحجاز، (3)

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: 81].

قرأ الجمهور بكسر اللام، وقرأ الكسائي (4) بضم اللام ﴿يَخْلُلْ﴾: أي ينزل، كقوله تعالى: ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: 31]، وبالكسر بمعنى يجب كقوله تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر: 40]. (5)

نلاحظ في توجيه القراءات في هذه الآية الكريمة منهجية أخرى لأبي البقاء، فقد استند في توجيه القراءتين هنا إلى القرآن، وهو أحد مناهج توجيه القراءات، وقوام هذا المنهج هو الاستدلال على القراءة المختلف فيها بقراءة مجمع عليها لا خلاف فيها.

ومثل الآية السابقة قوله تعالى ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: 57].

قرأ نافع وابن عامر والكسائي ﴿يَصِدُّونَ﴾ بضم الصاد، وقرأ الجمهور ﴿يَصِدُّونَ﴾ بالكسر بمعنى: يعرضون، (6) وهي لغة منه، وقيل: أنها بمعنى: يَضِجُونَ. (7)

(1) التبيان: 1/ 305.

(2) غيث النفع: 184.

(3) ينظر: البحر المحيط: 3/ 96.

(4) غيث النفع: 291.

(5) التبيان: 2/ 900.

(6) التبيان: 2/ 1141، وينظر: غيث النفع: 348..

(7) إعراب القراءات الشواذ: 2/ 225، وينظر: البحر المحيط: 8/ 25.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: 22].

قرأ بضم الكاف الجمهور وقرأ عاصم بفتحها، وهما لغتان، والفتح أشهر.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَلِيْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: 14].

قرأ أبو عمرو بهمزة بعد الياء ﴿يَالَيْتُكُمْ﴾⁽²⁾، وماضيه أَلَتْ، وقرأ الجمهور بغير همز ﴿يَلَيْتُكُمْ﴾، وماضيه "لات"⁽³⁾ وهما لغتان؛ وفيه لغة ثالثة أَلَتْ يَلَيْتُ.⁽⁴⁾

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: 21]، قرأ ابن كثير: ﴿وَمَا أَلْتَهُمْ﴾ بكسر اللام، وقرأ الباقر ﴿أَلْتَهُمْ﴾ بفتح اللام، وهما لغتان بمعنى: نقص.⁽⁵⁾

وقال تعالى: ﴿لَوْوَا رُؤُوسَهُمْ﴾ [المنافقون: 5].

قرأ نافع بتخفيف الواو الأولى والباقر بتشديدها؛⁽⁶⁾ ولم يوجه أبو البقاء القراءتين مكتفياً بقوله «وهو ظاهر»،⁽⁷⁾ ومثلها الاختلاف في ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: 54]⁽⁸⁾ بين التشديد والتخفيف؛ قرأ نافع بكسر النون، وفيه وجهان: إما أن تكون نون الوقاية أو نون الرفع، وتقرأ بالتشديد ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ وهي قراءة ابن كثير؛ قال أبو البقاء: وقراءة التشديد أوجه.⁽⁹⁾

وفي قراءة أخرى ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون، قال أبو البقاء: وهو الوجه.

وفي قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: 1].

(1) ينظر: التبيان: 2/ 1006، غيث النفع: 311.

(2) غيث النفع: 356.

(3) لات، ألت : معناهما : حَبَسَهُ عَنْ وَجْهِهِ وَصَرَفَهُ، فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ " وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِيْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا " قال الفراء : معناه لَا يَنْقُصُكُمْ وَلَا يَظْلِمُكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا وَهُوَ مِنْ لَاتَ يَلَيْتُ، ينظر: تاج العروس(ليت).

(4) ينظر: التبيان: 2/ 1172.

(5) النشر في القراءات العشر: 2/ 397، وينظر: غيث النفع: 359، التبيان: 2/ 1184.

(6) غيث النفع: 368.

(7) التبيان: 2/ 1224.

(8) ينظر تفاصيل هذا الاختلاف في : النشر في القراءات العشر: 2/ 239، 240، غيث النفع: 267.

(9) التبيان: 2/ 785.

يقرأ ﴿فَرَضْنَهَا﴾ بالتشديد وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو،⁽¹⁾ بأنه تكثير ما فيها من الفرائض، أو على تأكيد إيجاب العمل بما فيها، وقرأ الجمهور بالتخفيف ﴿فَرَضْنَهَا﴾ على معنى فرضنا العمل بما فيها.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 140].

يقرأ بالتخفيف وبالتشديد على التكثير،⁽³⁾ وهي قراءة ابن عامر وابن كثير، والجمهور بالتخفيف.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: 139].

يقرأ بالتشديد وبالتخفيف؛ قرأ نافع وابن كثير وأبي عمرو بتخفيف الزاي ورفع ﴿الرُّوحُ﴾، والجمهور ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ﴾ بتشديد الزاي ونصب الروح؛⁽⁵⁾ أي أنزل الله جبريل بالقرآن.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: 20].

قرأ الجمهور بالتخفيف، وعلى هذا إبليس فاعله، وتقدير ذلك كأنه ظن فيهم أمرا وواعده نفسه فصدقته، وقيل التقدير صدق في ظنه؛ ويقرأ بالتشديد على هذا المعنى؛⁽⁷⁾ وهي قراءة أهل الكوفة:⁽⁸⁾ حمزة والكسائي وعاصم؛ ومعناها قريب؛ ذلك أنه لما قال ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ قال ذلك وهو ظان غير متيقن، فلما تابعه من تابعه صدق ظنه عليهم.⁽⁹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ [الصافات: 8].

(1) غيث النفع: 302.

(2) التبيان: 2 / 963.

(3) التبيان: 1 / 543.

(4) غيث النفع: 218.

(5) ينظر: المصدر السابق: 310.

(6) ينظر: التبيان: 2 / 1000.

(7) ينظر: المصدر السابق: 2 / 1067.

(8) غيث النفع: 326.

(9) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 294، 295.

يقرأ بتخفيف السين وبتشديدها، والمعنى واحد؛⁽¹⁾ قرأ الجمهور على التخفيف، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي بالتشديد.⁽²⁾

والحجة لمن شدد أنه أراد يَنْسَمِعُونَ، فأسكن الدال وأدغمها في السين فصارتا سينا مشددة؛ والحجة لمن خفف أنه أخذه من سَمِعَ يَسْمَعُ، لأن الشياطين كانت تسرق السمع من السماء فتقلبه إلى أوليائها من الإنس، كان ذلك قبل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما ولد رُجِمُوا بالنجوم فامتنعوا من الاستماع.⁽³⁾

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117].

قرأ الجمهور بفتح اللام وتشديد القاف مع تخفيف التاء مثل تكلم، وقرأ حفص ﴿تَلْقَفُ﴾ بسكون اللام وفتح القاف وماضيه لَقَفَ مثل عَلِمَ.⁽⁴⁾

وذكر فيها قراءة أخرى هي ﴿تَلْقَفُ﴾ بتشديد التاء والقاف أصلها "تَلَقَّفَ" فأدغمت الأولى في الثانية ووصلت بما قبلها فأغنى عن همزة الوصل، وهي قراءة البزي عن ابن كثير.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: 75].

يقرأ بالتخفيف وتسمية الفاعل ﴿يُلْقُونَ﴾، وبالتشديد وترك التسمية، وهي قراءة الجمهور، وقرأ بالتخفيف حمزة والكسائي وشعبة.⁽⁶⁾

وقوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: 67].

ذكر أنه يقرأ بفتح التاء ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من قولك "هَجَرَ يَهْجُرُ" إذا هَذَى، وقيل يَهْجُرُونَ القرآن، ويقرأ ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بضم التاء وكسر الجيم وهو في معنى المخفف⁽¹⁾، وهي قراءة نافع، والقراءة الأولى قراءة الجمهور.⁽²⁾

(1) ينظر: التبيان: 2/ 1088.

(2) ينظر: غيث النفع: 334.

(3) الحجة للقراءات السبع: 605، 606.

(4) ينظر: التبيان: 1/ 588، غيث النفع: 227.

(5) ينظر: المصدران السابقان.

(6) ينظر: غيث النفع: 306.

وفي قوله تعالى ﴿ نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ [المؤمنون: 21].

هنا⁽³⁾ يذكر أبو البقاء أنه قد ذكره في النحل في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ [النحل: 66]، غير أنه لم يذكر ذلك في سورة النحل،⁽⁴⁾ فهو سهو منه، والذي يجب التنبيه له أن المحقق لم يفتن لذلك، فلم يعلق على هذه الهفوة وتركها تمضي شأنها شأن بعض الأخطاء الأخرى.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يُمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ﴾ [الأعراف: 202].

قرأ الجمهور ﴿يُمُدُّونَهُمْ﴾ بفتح الياء وضم الميم من مَد يُمَدُّ مثل قوله: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ [البقرة: 15] ويقرأ بضم الياء وكسر الميم من أَمَدَه إِمْدَادًا،⁽⁵⁾ وهي قراءة نافع.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: 180].

قرأ الجمهور بضم الياء وكسر الحاء على أن ماضيه أَلْحَدَ، وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء وماضيه لحد، وهما لغتان.⁽⁷⁾

وفي قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: 106].

يقرأ بفتح النون وماضيه نَسَخَ، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر⁽⁸⁾ بضم النون وكسر السين ﴿نُنَسِّخُ﴾ ماضيه أُنَسِّخْتُ، يقال: أُنَسَخْتُ الكتاب، أي عَرَضْتُهُ للنسخ.⁽⁹⁾

قال تعالى: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَذِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9].

(1) التبيان: 2 / 958.

(2) ينظر: غيث النفع: 299.

(3) ينظر: التبيان: 2 / 953.

(4) ينظر: التبيان: 2 / 800.

(5) التبيان: 1 / 609.

(6) غيث النفع: 232.

(7) ينظر: التبيان: 1 / 604، غيث النفع: 230.

(8) ينظر: غيث النفع: 128.

(9) التبيان: 1 / 103.

أكثر القراءة بالالف، ويقرأ ﴿يُخَذَعُونَ﴾ بغير ألف مع فتح الياء، ويقر بضمها ﴿يُخَذَعُونَ﴾ على أن يكون الفاعل للخدع الشيطان، فكأنه قال: وما يخدعهم الشيطان.⁽¹⁾

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال⁽²⁾، وهي القراءة التي وصفها أبو البقاء بـ"أكثر القراءة" وربما كان ذلك من باب الانتصار لقراءته، أو كان نهجا يريد أن يتبعه ثم عدل عنه، وقرأ الجمهور ﴿يُخَذَعُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج:38].

ذكر أنه يقرأ بغير ألف وبالف، وهما سواء، ويقال إن الألف تدل على أن المدافعة تكون بين الله تعالى وبين من يقصد أذى المؤمنين.⁽³⁾

قرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿يُدْفَعُ﴾، وقرأ الباقون ﴿يُدْفَعُ﴾ بالف.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: 105].

يقرأ بالف وفتح التاء ﴿دَارَسْتَ﴾، أي دارست أهل الكتاب، ويقرأ كذلك إلا أنه بغير ألف أي: دَرَسْتَ الكتب المتقدمة.⁽⁵⁾

قرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿دَارَسْتَ﴾ بالف، وقرأ الجمهور بغير ألف ﴿دَرَسْتَ﴾⁽⁶⁾؛ وفيه قراءات أخرى: دَرَسْتَ، والمعنى كالمعنى الأول؛ ويقرأ "دورست" بالتخفيف والواو على ما لم يسم فاعله والواو مبدلة من الألف في دارست، ويقرأ ﴿دَرَسْتَ﴾ بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء، أي انقطعت الآيات وانمحت، أو قرئت وعلمت، وهي قراءة ابن عامر، ويقرأ "دُرَسْتَ" على ما لم يسم فاعله، وتنسب هذه القراءة إلى قتادة، ويقرأ "دَرَسَ" من غير تاء والفاعل النبي ﷺ، والمعنى قرأ، وقيل الكتاب لقوله: ﴿وَلَنُبَيِّنَهُ﴾.⁽⁷⁾

(1) التبيان: 26 / 1.

(2) غيث النفع: 82، 83.

(3) التبيان: 2 / 943.

(4) ينظر: سراج القارئ: 297.

(5) التبيان: 1 / 528، وينظر: الحجة للقراءات السبع: 147.

(6) ينظر: غيث النفع: 213.

(7) ينظر: التبيان: 1 / 528، 529، معاني القرآن للفراء: 1 / 349، المحتسب: 1 / 225، تفسير الطبري: 12 / 26 - 30،

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: 191].

قرأ الجمهور بالألف في الثلاثة، ﴿تُقَاتِلُوهُمْ، يُقَاتِلُوكُمْ، قَاتِلُوكُمْ﴾،⁽¹⁾ وهو نهي عن مقدمات القتل، فيدل على النهي عن القتل من طريق الأولى، وهو مشاكل لقوله ﴿وَقَتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 242] ويقرأ ثلاثتها بغير ألف، وهو منع من نفس القتل،⁽²⁾ وهي قراءة حمزة والكسائي.

قال تعالى: ﴿لَاتَّخَذَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: 77].

يقرأ بكسر الحاء مخففة، وهو من تخذ يتخذ إذا عمل شيئاً، ويقرأ بالتشديد وفتح الخاء وفيه وجهان: أحدهما: هو افتعل من تخذ، والثاني: أنه من الأخذ، وأصله "إِتَّخَذَ" فأبدلت الياء تاء وأدغمت؛⁽³⁾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لَتَّخَذَتْ﴾، وقرأ الباقون ﴿لَاتَّخَذَتْ﴾.⁽⁴⁾

ومثل هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ [الأعراف: 193]، فقد قرأ الجمهور ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بتشديد التاء وكسر الباء،⁽⁵⁾ وقرأ نافع ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بسكون التاء وفتح الباء.⁽⁶⁾

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: 40].

قرأ ابن عامر وابن كثير ﴿يُضَعِّفْهَا﴾ بحذف الألف بعد الضاد وتشديد العين، والجمهور بالألف وتخفيف العين،⁽⁷⁾ قال أبو البقاء: وهما لغتان.⁽⁸⁾

الجامع لأحكام القرآن: 7 / 58، 59، البحر المحيط: 4 / 197.

(1) ينظر: غيث النفع: 154.

(2) التبيان: 157.

(3) التبيان: 2 / 857.

(4) غيث النفع: 281.

(5) غيث النفع: 231.

(6) ينظر التبيان: 1 / 607.

(7) ينظر: غيث النفع: 191.

(8) إعراب القراءات الشواذ: 1 / 195.

وفي قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيِّنٍ أَسْفَارْنَا﴾ [سبأ: 19] قراءات:

منها "باعِد"، و"بَعْدَ" على السؤال، و﴿بَاعِدَ﴾ قراءة الجمهور و﴿بَعْدَ﴾ بالتشديد قراءة أبي عمرو وابن كثير وهشام؛ وفيه قراءة أخرى "بَعْدَ" على لفظ الماضي، وفيه "رَبَّنَا بَاعَدَ"، "بَعْدَ" على الخبر. (1)

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [البقرة: 132].

يقرأ بالتشديد من غير ألف ﴿وَوَصَّى﴾، وهي قراءة الجمهور، و﴿أَوْصَى﴾ بالألف، وهي قراءة نافع وابن عامر؛ قال أبو البقاء: وهما بمعنى واحد (2)؛ ووصَّى للتكثير. (3)

وفي قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [الأعراف: 54].

بالتخفيف وضم الياء، وهو من أغشى متعدياً، ويقرأ ﴿يُغْشِي﴾ بالتشديد، والمعنى واحد، (4) وهي قراءة شعبة وحزمة والكسائي، (5) والجمهور ﴿يُغْشِي﴾، وفيه قراءة أخرى: ﴿يَغْشَى﴾ بفتح الياء والتخفيف. (6)

وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النساء: 128].

يقرأ بتشديد الصاد من غير ألف ﴿يُصْلِحَا﴾ وأصله يصطلحا فأبدلت التاء (7) صاداً وأدغمت فيها الأولى؛ وقرئ بضم الياء وإسكان الصاد ﴿يُصْلِحَا﴾ وماضيه أصلح. (8)

(1) ينظر: التبيان: 2 / 1067، إعراب القراءات الشواذ: 2 / 161، غيث النفع: 327.

(2) التبيان: 1 / 117.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 2 / 135.

(4) التبيان: 1 / 574.

(5) غيث النفع: 224.

(6) لم أجد من تعرض لذكر هذه القراءة في كتب القراءات والتفسير.

(7) يقصد بالتاء هنا تاء الافتعال، وربما كان على المحقق الإشارة إلى ذلك حتى لا يوهم الآخرين بوجود خطأ في كلام أبي البقاء في قوله: "وأصله يصطلحا فأبدلت التاء صاداً".

(8) ينظر: التبيان: 1 / 395.

وقوله « يقرأ بتشديد الصاد من غير ألف » دليل على قراءة ﴿يَصَّالِحًا﴾، التي لم يتعرض لذكرها اكتفاء بالإشارة إلى ذلك قبل خوضه في توجيه ﴿يُصْلِحًا﴾، ﴿يُصْلِحًا﴾.⁽¹⁾

قرأ الجمهور ﴿يَصَّالِحًا﴾، وقرأ عاصم وحمة والكسائي ﴿يُصْلِحًا﴾؛⁽²⁾ وفيه قراءة أخرى "يُصطلحا".

قال تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي آخِرَةٍ﴾ [النمل: 66].

ذكر أبو البقاء أن فيه قراءات إحداها: ﴿أَدْرَكَ﴾ مثل أخرج⁽³⁾، ومنهم من يلقي حركة الهمزة على اللام: "بَلْ دَرَكٌ"، والثانية: ﴿بَلِ ادَّارَكَ﴾ على افتعل⁽⁴⁾، والثالثة ﴿ادَّارَكَ﴾،⁽⁵⁾ وأصله تدارك ثم سكنت التاء واجتلب لها همزة الوصل، والرابعة [تدارك]: أي تتتابع علمهم في الآخرة أي بالآخرة، والمعنى بل تم علمهم بالآخرة لما قام من الأدلة فما انتفعوا، بل هم في شك.⁽⁶⁾

والحجة لمن قرأ بالقطع "القراءة الأولى" أنه جعله ماضيا من الأفعال الرباعية.⁽⁷⁾

ومثلها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38].

ذكر أنه يقرأ ﴿ادَّارَكُوا﴾ بتشديد الدال وألف بعدها، أصلها تداركوا، أبدلت التاء دالا وأسكنت ليصح إدغامها، ثم جلبت لها همزة الوصل ليصح النطق بالساكن؛ وقرئ "ادركوا" بغير ألف بعد الدال، فالتاء هنا بعد الدال، وقرئ: "تداركوا" أي: أدرك بعضهم بعضا، وقرئ: "إِذَا إِدَّارَكُوا" بقطع الهمزة على نية الوقف على ما قبلها والابتداء بها.

وقرئ "إِذَا ادَّارَكُوا" بألف ممدودة والدال بعدها مشددة، وهو جمع بين ساكنين، وجاز ذلك لما كان الثاني مدغما؛ كما قالوا: دابة، شابة، وجاز في المنفصل كما جاز في المتصل، وقد قال بعضهم: اثنا عشر⁽¹⁾ بإثبات الألف وسكون العين.⁽²⁾

(1) المصدر السابق.

(2) ينظر: غيث النفع: 195

(3) وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير، ينظر: (غيث النفع: 313، الروضة: 2/ 837).

(4) تنسب هذه القراءة إلى الأعمش، ينظر: الروضة: 2/ 837.

(5) وهي قراءة باقي السبعة: ينظر: (غيث النفع: 313، الروضة: 2/ 837).

(6) التبيان: 2/ 1012، وينظر: إعراب القراءات الشواذ: 2/ 116.

(7) الحجة للقراءات السبعة: 273.

قال تعالى: ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المجادلة:8].

يقرأ ﴿وينتجون﴾، وهما بمعنى، يقال: تناجوا وانتجوا⁽³⁾؛ قرأ حمزة ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾ من غير ألف كـ"ينتهون"، أصله "ينتجيون" استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الجيم بعد سلب حركتها ثم حذفت الياء لسكونها وسكون الواو، وقرأ الباقر بن بقاء فَنُونٍ مفتوحتين، بعد النون ألف وفتح الجيم ﴿يَتَنَاجَوْنَ﴾، وأصله "يتناجيون" كـ"يتفاعلون" فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت للساكنين وبقيت فتحة الجيم دليلا عليها،⁽⁴⁾ والعرب تقول: اختصموا يختصمون، وتخاصموا ويتخاصمون، وتقاتلوا واقتتلوا، وكذلك انتجوا وتناجوا.⁽⁵⁾

وفي اللسان: وَاَنْتَجَى الْقَوْمُ وَتَنَاجَوْا: تَسَارَوْا؛ وَأَنشَدَ ابْنُ بَرِي: [رجز]

قَالَتْ جَوَارِي الْحَيِّ لَمَّا جِئْنَا وَهَنَّ يَلْعَبَنَّ وَيَتَنَجِينَا:

مَا لِمَطَايَا الْقَوْمِ قَدْ وَجِينَا؟⁽⁶⁾

(1) تنطق "اثنًا عشر"، وهذه اللغة منتشرة اليوم في العراق، كما تنتشر في مناطق غرب ليبيا.

(2) التبيان: 1/ 566، 567، وينظر: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1419: 1/ 247.

(3) التبيان: 2/ 1213.

(4) غيث النفع: 366.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 17/ 291.

(6) لسان العرب: 20/ 179.

الفصل الرابع: التوجيهات النحوية

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأسماء

المبحث الثاني: الأفعال

المبحث الثالث: الحروف.

يتناول الجانب النحوي دراسة الكلمة في أحوالها المختلفة، والكلمة هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد، وهي أقسام ثلاثة: اسم وفعل وحرف، والحروف كلها مبنية، والأسماء قسمان: معرب والآخر مبني لمشابهته الحروف، والأفعال قسمان أيضا، الأول: مبني أصالة، والثاني معرب لمشابهته الاسم، قال ابن مالك: (1)

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَأَسْمَانِمْ وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمِ
وَاجِدُهُ كَلِمَةٌ وَالْقَوْلُ عَم وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يُؤَمِّمُ

والكلم اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالتاء، مثل كلمة، كلم، والكلمة قد تطلق على جملة مفيدة أو أكثر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64]، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: 100] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: 99].

والاسم ما دلَّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمن، وقد يلزم حالة إعرابية واحدة وهو المبني، أو يكون آخره متغيرا على وفق موضعه في الجملة، فهو المعرب، (2) والفعل: ما دل على معنى في نفسه مقيدا بزمن، وهو أقسام: فإما أن يدل على معنى وقع وانتهى فهو الماضي، وهو مبني على الفتح، وإما أن يدل على الأمر فهو مبني على السكون، وإما أن يدل على حدوث الفعل في الزمن الحاضر أو المستقبل فهو والحالة هذه يعرب إذا لم تتصل به نونا النسوة والتوكيد، والحرف ما جاء لمعني، وليس باسم أو فعل، نحو: ثم، سوف. (3)

وفي ضوء القراءات القرآنية تكون المفردة ذات موضع أو أكثر ضمن المسائل النحوية، وقد رأيت أن يكون تقسيم هذا الفصل على مباحث النحو التي تتناول دراسة الكلمة العربية في الكلام وما يعترض لها من تغيير، فبدا لي أن أقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث: مبحث للأسماء، ومبحث للأفعال، ومبحث للحروف، وفي كل مبحث أتعرض لهذه الكلمة ومواضعها النحوية عند أبي البقاء.

(1) شرح ابن عقيل: 1 / 13.

(2) ينظر: الكتاب: 1 / 12.

(3) المصدر السابق.

المبحث الأول: الأسماء

ويضم أربعة مطالب.

المطلب الأول: المرفوعات

المطلب الثاني المنصوبات

المطلب الثالث: المجرورات.

المطلب الرابع : الضمائر.

المطلب الأول: المرفوعات.

بين التتوين وعدمه

قال تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: 95].

قرأ حمزة والكسائي وعاصم بالتتوين،⁽¹⁾ ﴿فَجَزَاءٌ﴾ فعلى هذا يكون ﴿مِثْلٌ﴾ صفةً له أو بدلاً، ويقرأ في المشهور بإضافة "جزاء" إلى الـ "مِثْل" وإعراب الجزاء مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير "فالواجب جزاءٌ"، و﴿مِثْلٌ﴾ على هذه القراءة في حكم الزائدة، وهو كقولهم: «مثلي لا يقول ذلك»، أي: أنا لا أقول، وإنما دعا إلى هذا التقدير أن الذي يجب به الجزاء المقتول لا مثله.⁽²⁾

نلاحظ هنا استرشاده بالفقه في فهم النص، كما نلاحظ في توجيهه لهذه الآية استشاده بالقواعد النحوية لتوجيه القراءة كما سيأتي لاحقاً في مبحث المنصوبات.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30].

فقد قرأ عاصم والكسائي بالتتوين⁽³⁾، على أن عزيراً مبتدأ و﴿ابْنُ﴾ خبره، ولم يحذف التتوين إذاناً بأن الأول مبتدأ، وأن ما بعده خبراً وليس صفةً، ، ويقرأ بحذف التتوين، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مبتدأٌ وخبرٌ أيضاً، وفي حذف التتوين وجهان: أحدها : أنه حذف لانتقاء الساكنين، والثاني: أنه لا ينصرف للعجمة والتعريف، وهذا ضعيف؛ لأن الاسم عربي عند أكثر الناس، ولأن مكبره ينصرف لسكون أوسطه، فصرفه في التصغير أولى.

(1) غيث النفع: 204، وقرأ الجمهور بإضافة جزاء إلى المثل، وهو ما وصفه أبو البقاء بقوله: ويقرأ في المشهور.

(2) ينظر: التبيان: 1/ 460.

(3) ينظر: غيث النفع: 237.

الوجه الثاني: أن عزيزا خبر مبتدأ محذوف، تقديره: نبينا، أو صاحبنا، أو معبودنا، و﴿ابْنُ﴾ صفة، أو يكون ﴿عَزِيزُ﴾ مبتدأ، و﴿ابن﴾ صفة، والخبر محذوف؛ أي: عزيز ابن الله صاحبنا [على حد قولهم].

والثالث: أن ابنا بدل من عزيز أو عطف بيان، وحُذِفَ التثوين في الصفة لأنها مع الموصوف كشيء واحد،⁽¹⁾ وهي قراءة الجمهور.

وفي قوله تعالى: ﴿سَحَابٌ ظُلُمَتْ﴾ [النور: 40].

قال: «ويقراً: ﴿سَحَابٌ ظُلُمَتْ﴾ بالإضافة والجر، على جعل الموج المتراكم بمنزلة السحاب،⁽²⁾ ويقراً ﴿سَحَابٌ ظُلُمَتْ﴾ بالرفع والتثوين، و"ظلمات" بالجر⁽³⁾ على أنها بدل من ظلمات الأولى»،⁽⁴⁾ ويجوز أن يكون صفة لـ"بحر"، أي بحر ذي ظلمات.⁽⁵⁾

ولم يشر أبو البقاء إلى قراءة الجمهور ﴿سَحَابٌ ظُلُمَتْ﴾ بتثوين سحاب ورفع ظلمات خبر مبتدأ محذوف، أي هي ظلمات.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف: 8].

ذكر انه يقرأ بالتثوين والإضافة، وإعرابهما ظاهر.⁽⁷⁾

قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وشعبة بتثوين ﴿مُتِمُّ﴾ ونصب نوره ﴿نُورُهُ﴾ على إعمال اسم الفاعل على الأصل، وقرأ الباكون بترك التثوين، وكسر نوره على إضافة اسم الفاعل تخفيفاً.⁽⁸⁾

كذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: 3].

(1) التبيان: 2 / 640.

(2) وهي قراءة البزي عن ابن كثير. (غيث النفع: 303).

(3) وهي قراءة قنبل عن ابن كثير. المصدر السابق.

(4) التبيان: 2 / 973.

(5) إعراب القراءات الشواذ: 2 / 84.

(6) غيث النفع: 303.

(7) التبيان: 2 / 1220، وقال النحاس: ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ أي مكمل الإسلام ومعليه، والأصل التثوين (4 / 422).

(8) ينظر: غيث النفع: 368، وينظر إعراب القرآن للنحاس: 4 / 422.

بالتنوين والنصب ﴿بَالِغٌ أَمْرُهُ﴾، وبالإضافة والجر،: ﴿بَالِغٌ أَمْرُهُ﴾ والإضافة غير محضة،
ويقرأ بالتنوين والرفع على أنه فاعل.⁽¹⁾

قرأ الجمهور بالتنوين والرفع ﴿بَالِغٌ أَمْرُهُ﴾، وقرأ حفص بالإضافة ﴿بَالِغٌ أَمْرُهُ﴾،⁽²⁾ وهنا يظهر
لنا إشكال في كلام أبي البقاء: «ويقرأ بالتنوين والرفع على أنه فاعل بالغ»!، هل يقصد أن أمره
يقرأ بالتنوين والرفع؟ أم لا؟ فظاهر كلامه أنه يقصد "أمره"؛ دل على ذلك قوله بعدها: «وقيل :
أمره مبتدأ و﴿بَالِغٌ﴾ خبر.»⁽³⁾

وهي قراءة داود بن أبي هند، قال الفراء: أي أمره بالغ،⁽⁴⁾ وقيل: ﴿أَمْرُهُ﴾ مرتفع بـ﴿بَالِغٌ﴾
والمفعول محذوف تقدير ذلك: بالغ بأمره ما أراد.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12][النزعت: 16].

ذكر أنه يقرأ بالضم والتنوين على أنه اسم علم للوادي، وهو بدل منه، وهي قراءة الكسائي
وحمزة وعاصم وابن عامر، كما يجوز فيه أن يكون رفعا على الخبر، أي: هو طوى، ويقرأ بغير
تنوين على أنه معرفة مؤنث اسم لبقة، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.⁽⁶⁾

بين الرفع والنصب⁽⁷⁾

قال تعالى: ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ [الأعراف: 26].

(1) التبيان: 2 / 1227.

(2) غيث النفع: 369.

(3) التبيان: 2 / 1227.

(4) ينظر: معاني القرآن وإعراجه للفراء: ، إعراب القرآن للنحاس: 4 / 452،

(5) الجامع لأحكام القرآن: 18 / 161.

(6) ينظر: التبيان: 2 / 886، 2 / 1269، غيث النفع: 287.

(7) تفسير مجيء هذا الفرع محتويا النصب وهو في مطلب المرفوعات أن هذا المطلب قد عني بما ذكره أبو البقاء مرفوعا في
الأصل، وفيه قراءة أخرى بغير ذلك، إما بالنصب أو بالجر أو بالتنوين، وهذا في مبحث الأسماء في هذا الفصل، وهو فيما
أرى غير محتاج للتوضيح.

قرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب لباس، وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء، وقراءة
النصب عطفًا على ﴿رِيشًا﴾.⁽¹⁾

هنا يستطرد أبو البقاء إلى المنطق ليوضح للقارئ إجابات لأسئلة يطرحها هو بنفسه ثم
يجيب عنها، كما هي عادته في كتابه، ويبيِّن هنا شيء من التفسير المنطقي لهذه الآية في
قوله: «فإن قيل كيف ينزل اللباس والريش؟ قيل: لَمَّا كان الريش واللباس ينبتان بالمطر،
والمطر ينزل جعل ما هو المسبب بمنزلة السبب». ⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: 3].

قرأ حمزة والكسائي بكسر التاء،⁽³⁾ وفيها وجهان: أحدهما: أن "إن" مضمرة حذفت لدلالة
﴿إِنَّ﴾ الأولى عليها، وليست ﴿ءَايَتٌ﴾ معطوفة على آية الأولى، لما فيه من عطف على
العاملين، والثاني: أن يكون مجرورا ﴿ءَايَتٌ﴾ للتوكيد؛ لأنها من لفظ آيات الأولى، فأعربها
بإعرابه، كقوله: "إن بَيِّنَاتٍ دما وبَيِّنَاتٍ دما"؛ فدما الثانية مكررة؛ لأنك مستغن عن ذكره.
ويقرأ بالرفع على أنه مبتدأ، و﴿فِي خَلْقِكُمْ﴾ خبره، وهي جملة مستأنفة، وقيل هي في الرفع
على التوكيد أيضا. ⁽⁴⁾

و﴿ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: 5]، بالكسر والرفع، كالسابقة. ⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقَّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لِأَمْلَنَ جَهَنَّمَ﴾ [ص: 84].

(1) ينظر: غيث النفع، 222، التبيان: 1/ 562.

(2) التبيان: 1/ 562.

(3) ينظر: غيث النفع: 350، وقراءة الجمهور بضم التاء.

(4) التبيان: 2/ 1150.

(5) المصدر السابق.

قرأ عاصم وحمزة بالرفع، والباقون بالنصب،⁽¹⁾ وفي نصبه وجهان، أحدهما: مفعول لفعل محذوف، أي: فَأَحَقَّ الْحَقَّ، أو فاذكر الحقَّ، والثاني: على تقدير حذف القسم؛ أي: فبالحق لأملأن⁽²⁾، ويقرأ بالرفع أي: فأنا الحق، أو فالحق معي.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: 119].

قرأ الجمهور برفع ﴿يَوْمَ﴾، وقرأ نافع بنصبها،⁽⁴⁾ ووجه قراءة الرفع أنها خبر، وهو معرب لأنه مضاف إلى معرب فبقي على حقه من الإعراب؛ ومن قرأ بالنصب فعلى الظرف، وعلى هذا القول ففي هذا وجهان: أحدهما: هو مفعول ﴿قَالَ﴾، أي قال الله هذا القول في يوم، الثاني: أن هذا مبتدأ، و﴿يَوْمَ﴾ ظرف لخبر محذوف، أي: هذا يقع أو يكون يوم ينفع؛ قال الكوفيون: يوم في موضع رفع خبر ﴿هذا﴾، لكنه بني على الفتح لإضافته إلى الفعل، وعندهم يجوز بناؤه، وإن أضيف إلى معرب، وذلك عندنا لا يجوز إلا إذا أضيف إلى مبني.⁽⁵⁾

"يوم" مما يضاف إلى الجملة جوازا، وعلى هذا يجوز فيه الإعراب والبناء، هذا مذهب الكوفيين، وتبعهم في ذلك ابن مالك رحمه الله، وأبو علي الفارسي، والمختار فيما أضيف إلى جملة معربة الإعراب، ويجوز البناء، قال ابن مالك:

وَابْنِ أَوْ اْعْرِبْ مَا كَاذٌ قَدْ أَجْرِيَا وَاخْتَرْ بِنَاءً مَثَلُ فِعْلٍ بُيَا
وَقَبْلِ فِعْلٍ مُعْرَبٍ أَوْ مُبْتَدَا اْعْرِبْ وَمَنْ بَنَى فَلَنْ يُفَنَّدَا

أما البصريون فيرون أنه لا يجوز فيما أضيف إلى جملة فعلية صدرت بمضارع أو جملة اسمية إلا الإعراب، ولا يجوز البناء إلا فيما أضيف إلى جملة فعلية صدرت بـماض.⁽⁶⁾

يتبين لنا هنا بصرية أبي البقاء الواضحة مما يقوي انتماءه لهذه المدرسة، وانتهاج نهجها، كما أوضحت ذلك فيما سبق.

(1) غيث النفع: 338.

(2) فعلى هذا يكون منصوبا على نزع الخافض، "حرف القسم"

(3) التبيان: 2/ 1107، وينظر: إعراب القراءات الشواذ: 2/ 196.

(4) غيث النفع: 205.

(5) التبيان: 1/ 477.

(6) ينظر: شرح ابن عقيل: 3/ 58-60.

وفي قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿صِدْقُهُمْ﴾ قرئ بالرفع على أنه فاعل ﴿يَنْفَعُ﴾، وقرئ شاذاً ﴿صِدْقُهُمْ﴾ بالنصب على أربعة أوجه: أحدها: أن يكون مفعولاً له، أي لصدقهم، والثاني: أن يكون حذف حرف الجر، والثالث أن يكون مصدراً مؤكداً، أي: الذين يصدقون صدقهم كما تقول: تصدق الصدق، والرابع أن يكون مفعولاً به، والفاعل مضمَر في الصادقين أي: يصدقون الصدق، والمعنى: يحققون الصدق.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: 95].

يقرأ بالرفع على أنه صفة لـ ﴿الْقَاعِدُونَ﴾ لأنه لم يقصد به قَصْدَ قوم بأعيانهم، وقيل هو بدل من القاعدين، ويقرأ ﴿غَيْرِ﴾ بالنصب على الاستثناء من القاعدين أو من المؤمنين أو حالاً،⁽²⁾ وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي، والجمهور بالرفع.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: 38].

قرأ الجمهور ﴿سَيِّئَةً﴾ بالرفع والإضافة، أي: شيء ما ذكر، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالنصب والتأنيث ﴿سَيِّئَةً﴾ أي: كل ما ذكر من المناهي.⁽⁴⁾

بين الرفع والجر

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 1]

الجمهور على رفع الحمد، ويقرأ بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام، كقولهم: رغيف.⁽⁵⁾

قال تعالى: ﴿مَالِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59].⁽⁶⁾

(1) ينظر: التبيان: 1 / 477، إعراب القراءات الشواذ، 2 / 240، وفيه ذكر أن شيخه أبو علي ذكر ذلك في التذكرة.

(2) التبيان: 1 / 383.

(3) ينظر: غيث النفع: 194.

(4) التبيان: 2 / 822، وينظر: غيث النفع: 273.

(5) التبيان: 1 / 5.

(6) ورد قوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ في القرآن الكريم على السنة رسل الله تعالى: نوح وهود وصالح وشعيب، عليهم

قرأ الجمهور برفع غيره، وفيه وجهان: أحدهما: هو صفة لـ﴿إِلَهٍ﴾ على الموضع، والثاني: هو بدل من الموضع، مثل: لا إله إلا الله،⁽¹⁾ وقرأ الكسائي ﴿غَيْرِهِ﴾ بجرّها صفة على اللفظ في جميع القرآن.⁽²⁾

وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: 3].

يقرأ بالرفع الجمهور، وقرأ حمزة والكسائي ﴿غَيْرٍ﴾ بالجر،⁽³⁾ وفي قراءة الرفع وجهان: أحدهما: هو صفة خالق على الموضع، و﴿خَالِقٌ﴾ مبتدأ والخبر محذوف تقديره: لكم، أو للأشياء، والثاني: أن يكون فاعل خالق، أي: هل يخلق غير الله شيئاً؟، ويقرأ بالجر على الصفة لفظاً.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَزَرَعَ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ﴾ [الرعد: 4].

بالرفع، وهو عطف على ﴿قَطَعٍ﴾، وجره آخرون عطفاً على ﴿أَعْنَابٍ﴾، وضعف قوم هذه القراءة لأن الزرع ليس من الجنات، وقال آخرون، قد يكون في الجنة زرع، ولكن بين النخيل والأعناب، وقيل التقدير: ونبات زرع، فعطفه على المعنى.⁽⁵⁾

قرأ أبو عمرو وابن كثير وحفص: ﴿زَرْعٍ﴾، ﴿نَخِيلٍ﴾، ﴿صِنَوَانٍ﴾، ﴿غَيْرٍ﴾ بالرفع، وقرأ الباقر في ذلك بالجر ﴿زَرْعٍ﴾...،⁽⁶⁾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: 33، 34].

الصلاة والسلام وقد وردت في القرآن الكريم في تسعة مواضع: في سورة الأعراف في أربعة مواضع، الآيات: [59، 65، 73، 85]، وفي سورة هود في ثلاثة مواضع: [50، 61، 84]، وفي سورة المؤمنون موضعان [23، 32].

(1) التبيان: 1/ 577.

(2) غيث النفع: 225.

(3) ينظر: غيث النفع: 328.

(4) التبيان: 2/ 1072، 1073.

(5) التبيان: 2/ 750، 751، وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 2/ 350، وفيه ذكر أنه إذا اجتمع الزرع مع النخيل قيل لهما جنة.

(6) ينظر: غيث النفع: 262.

قرأ الجمهور ﴿شَوَاطُ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٍ﴾ بالرفع عطفاً على شواط، وهو الأقوى في المعنى، لأن النحاس الدخان، وهو والشواط من النار،⁽¹⁾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿مِن نَّارٍ وَنَحَاسٍ﴾ بالجر، عطفاً على قوله ﴿مِن نَّارٍ﴾ كأنه أراد ومن نحاس، قال يونس: كان أبو عمرو يقول: لا يكون الشواط إلا من النار والنحاس جميعاً، والنحاس: الدخان.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: 61].

ذكر أنه يقرأ بالرفع عطفاً على ﴿أُذُنٌ﴾،⁽³⁾ أي: هو أذن ورحمة، ويقرأ بالجر عطفاً على ﴿خَيْرٌ﴾ على قراءة من جر خيراً،⁽⁴⁾ وهي قراءة حمزة، والجمهور على الرفع.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ [الكهف: 44].

يقرأ بالرفع صفة ﴿الْوَلَايَةُ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي الحق، أو: هو الحق، ويجوز أن يكون المبتدأ، و﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ خبره، ويقرأ بالجر نعتاً لـ ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى،⁽⁶⁾ وهي قراءة الجمهور، وقرأ أبو عمرو والكسائي بالرفع.⁽⁷⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: 22].

ذكر أنه يقرأ بالرفع، وفيه أوجه: أحدها: هو معطوف على ولدان؛ يطفن عليهم للتنعم لا للخدمة، والثاني: تقديره: لهم حور، أو عندهم، أو وثم، والثالث: تقديره: ونساؤهم حور.

ويقرأ بالجر عطفاً على أكواب في اللفظ دون المعنى، لأن الحور لا يطاف بهن، وقيل: هو معطوف على ﴿جَنَّاتٍ﴾ [19]، أي: في جنات، وفي حور،⁽¹⁾ وقراءة الجمهور بالرفع فيهما، وقرأ حمزة والكسائي بالجر فيهما.⁽²⁾

(1) التبيان: 2 / 1200.

(2) ينظر: غيث النفع: 362، إعراب القرآن للنحاس: 4 / 311، حجة القراءات: 692، 693.

(3) في قوله تعالى أول الآية: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

(4) التبيان: 2 / 684. وقراءة الجمهور بجر ﴿خَيْرٍ﴾، وقرأ الأعشى برفعها مع تنوين أذن: ﴿أُذُنٌ خَيْرٌ﴾ (ينظر: التذكرة في القراءات الثمان: 2 / 358).

(5) ينظر: غيث النفع: 238.

(6) التبيان: 2 / 849.

(7) ينظر: غيث النفع: 279، 280.

وفي قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: 9].

قرأ الجمهور بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ وما بعده الخبر، وقرأ حمزة وشعبة والكسائي وابن عامر بالجر على البدل.⁽³⁾

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ [النبا: 37].

يقرأ بالرفع على الابتداء، وخبره الرحمن، ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي هو رب السماوات، ويقرأ ﴿رَبِّ﴾، ﴿الرَّحْمَنِ﴾ بالجر على البدل من ﴿رَبِّكَ﴾.⁽⁴⁾

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم ﴿رَبِّ﴾ بالجر، والجمهور بالرفع، وفي قوله ﴿الرَّحْمَنُ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم بجرها، وقرأ الجمهور بالرفع.⁽⁵⁾

كذلك قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الدخان: 7].⁽⁶⁾

قرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسر الباء، وقرأ الجمهور بالرفع على الخبر أو الابتداء.⁽⁷⁾

(1) التبيان: 2 / 1204.

(2) ينظر: غيث النفع: 363.

(3) ينظر: التبيان: 2 / 1247، غيث النفع: 375.

(4) التبيان: 2 / 1268.

(5) ينظر: غيث النفع: 380.

(6) ينظر: التبيان: 2 / 1145.

(7) ينظر: غيث النفع: 349.

المطلب الثاني: المنصوبات

بين التثوين وعدمه

قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 83] [يوسف: 76].

قراءة الجمهور⁽¹⁾ ﴿درجاتٍ﴾ بالإضافة مفعول نرفع، ورفع درجة الإنسان رفع له، ويقرأ ﴿درجاتٍ﴾ بالتثوين وهي هنا ظرف أو حذف منها حرف الجر والمفعول على هذه القراءة هو "من"، والتقدير: نرفع من نشاء إلى درجات،⁽²⁾ وقرأ بالتثوين عاصم وحمزة والكسائي.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [هود: 68].

يقرأ بالتثوين لأنه مذكر وهو حي، أو أبو القبيلة، ويحذف التثوين غير مصروف على أنها القبيلة.⁽⁴⁾

قرأ الجمهور بالتثوين، وقرأ حفص وحمزة بغير تثوين.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: 4].

ذكر أبو البقاء فيه أن القراءة بترك النون، وهي قراءة الجمهور، وقرأ بالتثوين نافع وهشام وشعبة والكسائي.⁽⁶⁾

(1) ينظر: سراج القارئ: 212.

(2) ينظر: التبيان: 1/ 515.

(3) ينظر: غيث النفع: 211، 259.

(4) ينظر: التبيان: 2/ 705.

(5) ينظر: غيث النفع: 250.

(6) ينظر: المصدر السابق: 378.

نلاحظ في هذه الآية انتصار أبي البقاء لقراءة أبي عمرو، و يفهم من كلامه في هذا الموضوع وغيره من المواضع أنه يعتمدها؛ ومن نَوَّنه أخرجه على الأصل، لأمرين: أحدهما إتباعه بما بعده، والآخر: أنهم وجدوا في الشعر مثل ذلك منونا في الفواصل.⁽¹⁾

بقي هنا هل هذه الحجة أو التوجيه من أبي البقاء كافيا لتوجيه هذه القراءة؟ أم أنه أحيانا يرمي بتوجيهات بسيطة ليضعف بها رأي من خالفه.

ويُحتج لقراءة التنوين بأنه جاء مشاكلا لما قبله من رؤوس الآي، لأنها بالألف، والحجة لمن لم ينوَّن أنها على وزن فعال، وهذا الوزن لا ينصرف إلا في الضرورة الشعرية.⁽²⁾

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 15، 16].⁽³⁾

بين النصب والرفع.

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾ [البقرة: 37].

يقرأ برفع ﴿آدَمُ﴾، ونصب ﴿كَلِمَتٍ﴾، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير برفع كلمات ونصب آدم، قال أبو البقاء: لأن كل ما تلقاك فقد تلقَّيْتَه.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

يذكر أن المشهور هو جَعَلَ الْعَهْدِ هو الفاعل، ويقرأ "الظالمون" على العكس، والمعنيان متقاربان، لأن كل ما نلته فقد نالك.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: 217].

(1) ينظر: التبيان: 2 / 1257.

(2) ينظر: الحجة للقراءات السبع: 358، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: 2 / 436، معاني القرآن: 3 / 214.

(3) التبيان: 2 / 1259، غيث النفع: 378.

(4) ينظر: التبيان: 1 / 54، غيث النفع: 107.

(5) التبيان: 1 / 112، وهي قراءة ابن مسعود وطلحة بن مطرف، (ينظر: تفسير الطبري: 2 / 24، الجامع لأحكام القرآن: 2 / 108).

يقرأ بالرفع على أنه خبر والمبتدأ محذوف تقديره: قل المنفق، وهو إذا جعلت "ماذا" مبتدأ أو خبراً، ويقرأ بالنصب بفعل محذوف تقديره "ينفقون العفو"، وهو إذا جعلت «ما» «ذا» اسماً واحداً، لأن العفو جواب، وإعراب الجواب كإعراب السؤال.⁽¹⁾

وقراءة الجمهور بالنصب ﴿العَفْوُ﴾، وقرأ أبو عمرو ﴿العَفْوُ﴾ بالرفع.⁽²⁾

قلت: هنا أوضح دليل على اعتماد أبي البقاء لقراءة أبي عمرو، وإلا فما وجه أن يخالف الجمهور - كلهم - مستهلاً كلامه بذكر قراءة أبي عمرو وتوجيهها ثم يذكر قراءة الجمهور، وفي مواضع أخرى في كتابه مثل هذا، كما نجد إشارات في هذا البحث مؤيدة بالأدلة تثبت صحة زعمنا هذا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ﴾ [البقرة: 240].

بالنصب والرفع؛ وفي النصب تقدير الفعل: "يوصون وصية"، وفي الرفع: "عليهم وصية"،⁽³⁾ قرأ نافع وابن كثير وشعبة والكسائي بالرفع، مبتدأ خبره ﴿لأزواجهم﴾، والباقون بالنصب بفعل مضمر، أي: كتب الله عليكم وصية.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْىِ﴾ [المعارج: 16].

بالرفع: أي هي نزاعة، وقيل هي بدل من ﴿لَطَى﴾، وقيل: كلاهما خبر، وقيل خبر "إن"، وقيل ﴿لَطَى﴾ بدل من اسم إن، و﴿نزاعة﴾ خبرها؛ وأما النصب فقيل: هو حال من الضمير في ﴿تَدْعُو﴾ مَقْدَمَةٌ، وقيل: هي حال مما دلت عليه ﴿لَطَى﴾، أي "تتلطى نزاعة"، وقيل هو حال من الضمير في ﴿لَطَى﴾ على أن تجعلها صفة غالبية مثل الحارث والعباس، وقيل التقدير: أعني.⁽⁵⁾

(1) التبيان: 1/ 176

(2) ينظر: غيث النفع: 161.

(3) التبيان: 1/ 192.

(4) غيث النفع: 167.

(5) التبيان: 2/ 1240.

قرأ حفص بالنصب، وقرأ الجمهور بالرفع⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154].

يقرأ بالنصب على التوكيد أو البدل، و﴿لِلَّهِ﴾ خبر، وبالرفع على الابتداء، و﴿لِلَّهِ﴾ خبر، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾؛⁽²⁾ قرأ أبو عمرو برفع لام كله مبتدأ، والجمهور بنصبه.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ [البقرة: 282]، [النساء: 29].⁽⁴⁾

يقرأ الجمهور بالرفع في الموضعين على أَنَّ ﴿تَكُونَ﴾ تامة، و﴿حَاضِرَةً﴾ صفتها، ويجوز أن تكون الناقصة واسمها ﴿تِجَارَةً﴾، و﴿حَاضِرَةً﴾ في البقرة صفتها، و﴿تُذِيرُونَهَا﴾ الخبر، وقرئ بنصبهما، على أن يكون اسم الفاعل مضمرًا فيه، تقديره في سورة البقرة إلا أن تكون المبايعة تجارة، وفي سورة النساء: إلا أن تكون المعاملة أو التجارة تجارة، والجملة المستثناة في موضع نصب.⁽⁵⁾

قرأ عاصم في سورة البقرة بالنصب، وفي سورة النساء هو وحمة والكسائي بالنصب والجمهور بالرفع.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: 40].

﴿حَسَنَةً﴾ بالرفع على أن كان تامة، وهي قراءة نافع وابن كثير، وتقدير الكلام: "وإن تقع حسنة"، والجمهور بالنصب على أنها ناقصة.⁽⁷⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: 45].

(1) ينظر: غيث النفع: 373.

(2) التبيان: 303 / 1.

(3) ينظر: غيث النفع: 184.

(4) في سورة البقرة: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُذِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ ، وفي سورة النساء: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾

(5) ينظر: التبيان: 231 / 1، 351 / 1.

(6) ينظر: غيث النفع: 171، 190.

(7) ينظر: التبيان: 358 / 1، غيث النفع: 191.

قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالنصب⁽¹⁾ حملاً على النفس، ويقرأ بالرفع وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو مبتدأ، والثاني: أن المرفوع معطوف على الضمير في قوله ﴿بِالنَّفْسِ﴾، والثالث: أنه معطوف على المعنى، ويجوز أن يكون مستأنفاً، أي: والجروح قصاص في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.⁽²⁾

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء: 95]، [الحديد: 10]

قرأ الجمهور بنصب ﴿كُلًّا﴾ مفعولاً به لـ"وعد" مقدماً، وقرأ ابن عامر ﴿وَكُلًّا﴾ أي وكلهم بالرفع على الابتداء وجعل الفعل بعده خبراً، وعدّي الفعل إلى ضميره والتقدير: «وكل وعده». ⁽³⁾ وفي قوله تعالى: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [الأنبياء: 47].

قرأ الجمهور بالنصب ﴿مِثْقَالَ﴾ على أنه خبر كان؛ أي: وإن كان الظلم أو العمل، وقرأ نافع ﴿مِثْقَالَ﴾ بالرفع على أن تكون كان تامة.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا﴾ [الروم: 10].

يقرأ بالرفع، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو على جعله اسم كان وفي الخبر وجهان: أحدهما: ﴿السُّوْأَى﴾، و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ في موضع نصب مفعول له، أي: لأن كذبوا، أو بأن كذبوا، أو في موضع خبر بتقدير الجار على قول الخليل؛ والثاني: ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ أي: كان آخر أمرهم التكذيب، و﴿السُّوْأَى﴾ على هذا صفة مصدر، وقرأ الجمهور بالنصب على أنه خبر كان، وفي الاسم وجهان، أحدهما ﴿السُّوْأَى﴾، والآخر: ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رُكُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: 126].

(1) ينظر: غيث النفع: 203.

(2) التبيان: 1/ 439.

(3) ينظر: حجة القراءات 698، التبيان: 1/ 388، 2/ 1208، الحجة للقراءات السبع: 342.

(4) ينظر: التبيان: 2/ 919، غيث النفع: 293.

(5) ينظر: التبيان: 2/ 1037، غيث النفع: 319.

يقرأ في الثلاثة ﴿الله﴾، ﴿رَبِّكُمْ﴾، ﴿رَبِّ﴾ بالنصب بدلا من ﴿أَحْسَنَ﴾،⁽¹⁾ أو على إضمار أعني.⁽²⁾

قرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب في الثلاثة، والباقون بالرفع.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقَّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [ص: 84].

﴿الْحَقَّ﴾ الثاني يقرأ بالنصب عند السبعة منصوب بـ"أقول"، وقرئ بالرفع على تقدير تكرير المرفوع قبله، أو على إضمار مبتدأ، أي: قولي الحق، ويكون ﴿أَقُولُ﴾ على هذا مستأنفا موصولا بما بعده، أي: أقول لأملأن، وقيل يكون أقول خبرا عنه، والهاء محذوفة، أي: أقوله، وفيه بعد.⁽⁴⁾

بين النصب والجر

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهََ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1]

قرأ الجمهور⁽⁵⁾ بالنصب وفيه وجهان: أحدهما: [أنه] معطوفٌ على اسم الله، أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، والثاني: محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول: مررت بزيد وعمرا، والتقدير: الذي تعظمونه والأرحام، لأن الحلف به تعظيم له.

ويقرأ بالجر؛ قيل هو معطف على المجرور، وهذا لا يجوز عند البصريين، و غنما جاء في الشعر على قبحه، وأجازه الكوفيون على ضعف، وقيل: الجر على القسم وهو ضعيف أيضا؛ لأن الأخبار وردت بالنهي عن الحلف بالآباء، ولأن التقدير في القسم: وبرب الأرحام، وهذا قد أغنى عنه ما قبله.⁽⁶⁾ وهي قراءة حمزة.

(1) في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [125].

(2) التبيان: 2 / 1093.

(3) غيث النفع: 235.

(4) التبيان: 2 / 1107.

(5) ينظر: غيث النفع: 188.

(6) التبيان: 1 / 326-327، وبعد ذلك ذكر ان فيه قراءة أخرى بالرفع "شاذة"، وهو مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: محترمة، او واجب حرمتها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6].

قرأ بالنصب نافع وابن عامر والكسائي وحفص،⁽¹⁾ وفيه وجهان: أحدهما: أن معطوف على الوجوه والأيدي، أي: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم، وذلك جائز في العربية بلا خلاف، والسنة الدالة على وجوب غسل الرجلين تقوي ذلك،⁽²⁾ والوجه الثاني أنه معطوف على موضع ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، والأول أقوى، لأنَّ العطف على اللفظ أقوى من العطف على الموضع.

ويقرأ بالجرّ وهو مشهور كشهرة النصب، وفيه وجهان: أحدهما أنها معطوفة على الرؤوس في الإعراب، والحكم مختلف، فالرؤوس ممسوحة والأرجل مغسولة، وهو الإعراب الذي يقال على الجواز، وليس يمتنع أن يقع في القرآن لكثرتها،⁽³⁾⁽⁴⁾ وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وشعبة.

ويستشهد أبو البقاء أيضا بهما - قراءة النصب، وقراءة الرفع، وهي شاذة - لصحة كلامه بقوله: «والرفع والنصب غير قاطعين ولا ظاهرين أن حكم الرجلين المسح، وكذلك الجر، يجب أن يكون كالنصب والرفع في الحكم دون الإعراب».⁽⁵⁾

والوجه الثاني: أن يكون جر الأرجل بجارّ محذوف تقديره: وافعلوا بأرجلكم غسلا، وهو جائز في العربية؛ ومن ذلك قول الشاعر: [طويل]⁽⁶⁾

مَشَائِمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا تَأْعِبُ إِلَّا بَيْنَ غُرَابِهَا

-
- (1) وقرأ بالجر ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وشعبة ينظر: غيث النفع: 200.
- (2) يظهر لنا هنا أحد الجوانب العلمية في شخصية أبي البقاء، وهي إلمامه بعلم الحديث، حيث يستشهد هنا بالسنة النبوية والفقه لإثبات أمر لغوي وهو الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.
- (3) يستدل أبو البقاء لهذا الوجه بقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: 22] على قراءة من جر، وهو معطوف على قوله: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ في اللفظ والمعنى مختلف، إذ ليس المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بحور عين.
- (4) التبيان: 422 / 1.
- (5) التبيان: 424 / 1.
- (6) البيت للأحوص اليربوعي: قيس بن زيد بن عمرو بن عتاب شاعر إسلامي، والبيت من شواهد سيبويه، (الكتاب: 3 / 29)، وهو ينسبه إلى الفرزدق، في حين أنه منسوب في لسان العرب: (12 / 314 شأم)، خزانة الأدب: (4 / 148، الشاهد رقم 278)، والغريب أن الأنباري في كتابه الإنصاف ذكره ثلاث مرات، ينسبه في الأولى للأحوص وفي الثانية للفرزدق، وفي الثالثة للأحوص: (ينظر: 1 / 193، 1 / 195، 2 / 565).

فجر بتقدير الباء،⁽¹⁾ وقد أفرد أبو البقاء لهذه المسألة كتاباً.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 57].

قرأ الجمهور بالنصب ﴿الْكَفَّارَ﴾، وقرأ أبو عمرو والكسائي بالجر ﴿الْكَفَّارِ﴾ عطفًا على الذين المجرورة، وقراءة النصب عطفًا على ﴿الَّذِينَ﴾ المنصوبة، والمعنيان صحيحان.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقَّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَنَ جَهَنَّمَ﴾ [ص: 84].

يقرأ بالنصب فيهما كما سبق عرضه، ويقرأ بالجر فيهما، فأما جر الأول فعلى القسم، وأما الثاني فعلى تكرار القسم بحرفه كقولك: والله والله، والمقسم عليه ﴿أقول﴾، وجواب القسم: لأملأن.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ﴾ [هود: 66]. ﴿وَهُمْ مِّنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ ءَامَنُونَ﴾ [النمل: 89].

قريء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بالنصب على أنه مبني مع إذ، لأن إذ مبنية، وظرف الزمان إذا أضيف على مبني جاز أن يبنى، وكذا لأن المضاف يكتسب من أحوال المضاف إليه، ويقرأ ﴿مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ﴾ بكسر الميم على أنه معرب، وانجراره بالإضافة،⁽⁴⁾

وهي قراءة الجمهور، وقرأ نافع والكسائي بالكسر في سورة هود،⁽⁵⁾ وفي سورة النمل قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بكسر الميم، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم بفتحها.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرَ نَظْرَيْنِ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: 53].

(1) ينظر: التبيان: 1/ 424

(2) ينظر: التبيان: 1/ 446، غيث النفع: 204.

(3) إعراب القراءات الشواذ: 2/ 198.

(4) التبيان: 2/ 704، وينظر: 2/ 1015.

(5) ينظر: غيث النفع: 250،

(6) ينظر: غيث النفع: 314، التذكرة: 2/ 479.

ذكر أنه يقرأ بالنصب على الحال من الفاعل في ﴿تَدْخُلُوا﴾، ويقرأ بالجر على الصفة للطعام، ثم ذكر أن هذا خطأ عند البصريين؛ لأنه جرى على غير من هو له، فيجب أن يبرز ضمير الفاعل.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَرْبِّ إِنِّ هَؤُلَاءِ﴾ [الزخرف: 88].

بالنصب وفيه أوجه، أحدها: أن يكون معطوفاً على ﴿سِرَّهُمْ﴾⁽²⁾ [80]، أي: يعلم سرهم وقيله؛ والثاني: أن يكون معطوفاً على موضع ﴿السَّاعَةِ﴾⁽³⁾ [85]، أي: وعنده أن يعلم الساعة وقيله، والثالث: أن يكون منصوباً على المصدر، أي: وقال قيلة؛ ويقرأ بالجر عطفاً على لفظ الساعة، وقيل هو قسم؛ وفيه قراءة أخرى بالرفع على الابتداء، و﴿يَرْبِّ﴾ خبره، وقيل التقدير: قيله هو قيل يارب؛ وقيل الخبر محذوف؛ أي قيله يارب مسموع أو مجاب.⁽⁴⁾

قرأ عاصم وحمزة بنصب اللام ورفع الهاء، وقرأ الباقر بكسر اللام والهاء.⁽⁵⁾

(1) التبيان: 2 / 1060.

(2) في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَهُمْ﴾

(3) في قوله: ﴿وَتَبَرَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾

(4) ينظر: التبيان: 2 / 1142، 1143.

(5) غيث النفع: 349.

المطلب الثالث: المجرورات

قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ [الذريت: 46].

يقراً ﴿وَقَوْمَ﴾ بالجر عطفاً على ﴿ثَمُودَ﴾، وبالنصب على تقدير: "وأهلكنا"، ودل عليه ما تقدم من إهلاك الأمم المذكورين، ويجوز أن يعطف على موضع ﴿وَفِي مُوسَى﴾، ويقراً بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده، أو على تقدير أهلكوا. (1)

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالجر، والجمهور بالنصب. (2)

وفي قوله تعالى: ﴿طس تِلْكَ ءَايَةُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 1] .

يقراً بالجر عطفاً على ﴿الْفُرْقَانِ﴾، وبالرفع عطفاً على ﴿ءَايَةُ﴾، وجاء بالواو كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ﴾ [الحجر: 87]. (3)

ويستطرد أبو البقاء هنا متسائلاً. «فإن قيل: فما وجه الرفع عطفاً على آيات؟ ففيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن الكتاب مجموعة آيات، فكان التأنيث على المعنى، الثاني: أن التقدير: وآيات كتاب فأقيم المضاف إليه مقام المضاف، والثالث: أنه حَسُنَ لَمَّا صَحَّتْ الإشارة على الآيات، ولو وَلِيَ الكتابُ تلك لم يَحْسُنْ؛ ألا ترى أنك تقول: جاءتني هنذا وزيد، فلو حذفت هنذا أو أخرتها لم يجز التأنيث». (4)

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 2].

يقراً الجمهور بالجر على البدل، (5) ويقراً بالرفع على ثلاثة أوجه: أحدها: على الابتداء، و ما بعده خبر، والثاني، على الخبر، والمبتدأ محذوف؛ أي هو الله، والثالث: هو مبتدأ و﴿الَّذِي﴾

(1) التبيان: 2 / 1182.

(2) ينظر: غيث النفع: 358.

(3) ينظر: التبيان: 2 / 1003.

(4) ينظر: المصدر السابق.

(5) غيث النفع: 265.

صفته، والخبر محذوف، تقديره: الله الذي له مافي السماوات ومافي الأرض العزيز الحكيم، وحذف لتقدم ذكره،⁽¹⁾ و قراءة الرفع قراءة نافع وابن عامر.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [سبأ: 22].

يقرأ بالتثوين على أنها اسم رجل أو لمكان، وهي قراءة الجمهور، وقرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمزة من غير تثوين ممنوعاً من الصرف للعلمية والتأنيث على أنها اسم قبيلة أو بقعة.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: 7].

قرأ الجمهور بغير تثوين [جراً]، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي بالتثوين.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبَرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35].

قرأ أبو عمرو بتثوين الباء ﴿قَلْبٍ﴾، وهنا ﴿مُنْكَبَرٍ﴾ صفة له، والمراد صاحب القلب، وقرأ الجمهور بالإضافة، وإضافة ﴿كُلِّ﴾ إلى القلب يراد بها عموم القلب لاستيعاب كل قلب بالطبع، وهما في المعنى سواء.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: 46].

قرأ نافع وهشام بغير تثوين على الإضافة،⁽⁵⁾ وهي من باب إضافة الشيء إلى ما يُبَيَّنُّهُ، لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى، وقيل: خالصة مصدر مضاف إلى المفعول، أي: بإخلاصهم ذكرى الدار، وقيل: خالصة بمعنى خلوص، فيكون مضافاً إلى الفاعل، أي: بأن خلصت لهم ذكرى الدار، وقيل خالصة اسم فاعل تقديره: يخالص ذكرى الدار، أي خالص من أن يشاب بغيره.

(1) التبيان: 2 / 762.

(2) ينظر: التبيان: 2 / 1007، غيث النفع: 311، الجامع لأحكام القرآن: 13 / 181.

(3) غيث النفع: 310، وينظر: التبيان: 2 / 1004.

(4) ينظر: التبيان: 2 / 1120، غيث النفع: 341.

(5) ينظر: غيث النفع: 337.

وقرئ بالتثوين ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ فيجوز أن يكون ﴿ذَكَرَى﴾ بدلا منها، أو يكون في موضع نصب مفعول خالصة، أو على تقدير ذكرى،⁽¹⁾ وهي قراءة الجمهور.

وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: 40] [المؤمنون: 27].

قرأ الجمهور بالإضافة في ﴿كُلِّ﴾، وفيه وجهان: أحدهما: أنها مفعول⁽²⁾ ﴿اثْنَيْنِ﴾ تقديره: احمل أو اسلك فيها من كل زوجين، والثاني: أن المفعول: ﴿كُلِّ﴾ على أن ﴿مِنْ﴾ زائده، و﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيد، وهو قول الأخفش، وقرأ حفص بالتثوين، فعلى هذا مفعول ﴿احْمِلْ﴾، ﴿زَوْجَيْنِ﴾، و﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيداً له، و﴿مِنْ﴾ على هذا يجوز أن تتعلق بالأمر "احمل" أو "اسلك" أو أن يكون حالا، والتقدير: من كل شيء أو صنف.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصفت: 6].

ذكر أنه يقرأ بالإضافة، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون من إضافة النوع إلى الجنس، كقولك باب حديد، فالزينة كواكب، والثاني: أن تكون الزينة مصدرا أضيف إلى الفاعل أو إلى المفعول، أي: زَيَّنَّا السماء الدنيا بترينا الكواكب.

ويقرأ بالتثوين ﴿زِينَةٍ﴾ ونصب الكواكب، وفيه وجهان: أحدهما: إعمال المصدر منونا في المفعول، والثاني: بتقدير: أعني، ويقرأ بتثوين الأول وجر الثاني على البدل، ويرفع الثاني على المصدر، أي: بأنَّ زِينَتَهَا الكواكب، أو على تقدير: هي الكواكب.⁽⁴⁾

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بترك التثوين والجر، وقرأ حفص وحمزة بالتثوين والجر، وقرأ شعبة بالتثوين والنصب.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: 89].

(1) التبيان: 2 / 1102.

(2) لـ ﴿احْمِلْ﴾ في سورة هود، أما في سورة المؤمنون فلـ ﴿اسْلُكْ﴾.

(3) ينظر: التبيان: 2 / 697، 2 / 953، غيث النفع: 248، 299.

(4) التبيان: 2 / 1087.

(5) ينظر: غيث النفع: 334.

يقرأ بالتثوين ﴿فَرَعَ﴾ و ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بالنصب، ويقرأ ﴿مِنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ﴾ بالإضافة، والميم في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بالكسر على أنه معرب. (1)

قرأ نافع بترك تثوين فرع مع فتح الميم، وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر بترك التثوين مع كسر الميم، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي بالتثوين مع الفتح. (2)

وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ﴾ [هود: 66].

يقرأ بكسر الميم على أنه معرب، وانجراره بالإضافة، ويفتحها على أنه مبني مع إذ، لأن إذ مبنية، وظرف الزمان إذا أضيف على مبني جاز أن يبنى، وكذا لأن المضاف يكتسب من أحوال المضاف إليه. (3)

قرأ (4) نافع والكسائي بفتح الميم والجمهور بالكسر، ومثلها قوله تعالى: ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَبْنِيهِ﴾ [المعارج: 11]. (5)

وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7].

يقرأ بالجر ﴿غَيْرِ﴾، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه بدل من الذين، والثاني: أنه بدل من الهاء والميم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، والثالث: أنه صفة لـ ﴿الَّذِينَ﴾.

ويقرأ بالنصب على أنه حال من الهاء والميم، والعامل فيها ﴿أَنْعَمْتَ﴾، ويضعف أن يكون حالا من الذين لأنه مضاف إليه، والصراط لا يصح أن يعمل بنفسه في الحال، وقد قيل إنه ينتصب على الحال من الذين، ويعمل فيها معنى بالإضافة، والوجه الثاني: أنه ينتصب على الاستثناء من ﴿الَّذِينَ﴾ أو من الهاء والميم، والثالث: أنه ينتصب بإضمار أعني. (6)

وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْتِيَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النور: 31].

(1) ينظر: التبيان: 2 / 1015، 2 / 704.

(2) ينظر: غيث النفع: 250.

(3) التبيان: 2 / 704، وينظر: الحجة: 188.

(4) ينظر: غيث النفع: 250، التذكرة: 2 / 373.

(5) ينظر: التبيان: 2 / 1239، وينظر: الحجة: لابن خالويه: 188.

(6) التبيان: 1 / 9 - 10.

يقرأ بالجر على الصفة أو البدل، ويقرأ بالنصب على الحال أو الاستثناء.⁽¹⁾

قرأ الجمهور بالجر، وقرأ ابن عامر وشعبة بالنصب.⁽²⁾

وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ [سبأ: 5].

قرأ الجمهور بالجر ﴿أَلِيمٍ﴾ صفة لـ ﴿رَّجْزٍ﴾، وقرأ ابن كثير وحفص برفع الميم صفة لـ ﴿عَذَابٌ﴾.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [المؤمنون: 92].

يقرأ بالجر ﴿عَالِمٍ﴾ على الصفة أو البدل من اسم الله تعالى: في قوله: ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [91]، وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وحفص وابن عامر، وقرأ نافع وشعبة وحمزة والكسائي بالرفع على الخبر؛ هو عالم.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: 9].

يقرأ بالجر على البدل، وبالنصب على إضمار أعني، أو بدلا من: ﴿اسْمَ﴾، أو بفعل يفسره ﴿فَاتَّخَذَهُ﴾، أي: اتخذ رب المشرق، وبالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الخبر،⁽⁵⁾ وهي قراءة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص، وقرأ ابن عامر و حمزة والكسائي وشعبة ﴿رَبِّ﴾ بالجر.⁽⁶⁾

(1) التبيان: 2 / 969.

(2) ينظر: غيث النفع: 302.

(3) ينظر: التبيان: 2 / 1063، غيث النفع: 326.

(4) ينظر: التبيان: 2 / 960، غيث النفع: 301.

(5) ينظر: التبيان: 2 / 1247.

(6) ينظر: غيث النفع: 375، التذكرة: 2 / 602.

المطلب الرابع: الضمائر

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159].

الجمهور على فتح التاء، أي: إذا تخيرت أمرا بالمشاورة وعزمت على فعله فتوكل على الله، ويقرأ ﴿عَزَمْتُ﴾ بضم التاء، أي: إذا أمرتك بفعل شيء فتوكل عليّ، فوضع الظاهر موضع المضمّر.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾: [الصف: 12].

يقرا بفتح التاء على الخطاب، وبضمها ﴿عَجِبْتُ﴾، قيل الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل هو عن الله تعالى، والمعنى: عجب عباده،⁽²⁾ وقيل المعنى أنه بلغ حدا يقول القائل في مثله عجب.⁽³⁾

قرأ حمزة والكسائي بضم التاء، وقرأ الجمهور بفتحها.⁽⁴⁾

وفي حجة القراءات ذكر أن قراءة الضم إخبار عن الله جل وعز.

وأنكر قوم هذه القراءة، وقالوا: إن الله جل وعز لا يعجب! وإنكار هذا غلط، قالعجب من الله خلاف العجب من الآدميين.⁽⁵⁾

(1) التبيان: 1/ 305.

(2) في هذا التوجيه يؤول أبو البقاء هذه الصفة التي أثبتتها الله سبحانه وتعالى لنفسه وهي صفة "العجب"، هذا ومن المعلوم أن صفات الله سبحانه وتعالى ليست كصفات المخلوقين، ذلك لأن الخالق عز وجل يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 9]، وصفات الله صفات كمال، ففي هذا الآية نفى الله أن يكون له شبيه أو نظير ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4]، وأثبت لنفسه صفتين في هذه الآية: السمع والبصر، وفي آيات أخر ذكر صفات أخر، فوجب علينا الإيمان بها والتسليم بذلك دون خوض في هذه الصفات تأويلا ، أو نفيها، أو تحريفا أو تشبيها، وقد ورد في السنة النبوية أحاديث صحاح تثبت هذه الصفة، ولا شك أن الدليل القرآني لا يحتاج معه إلى دليل آخر، فأكتفي بالقراءة دليلا مع الإيمان بما جاءت به السنة.

(3) التبيان: 2/ 1088.

(4) ينظر: غيث النفع: 334.

(5) ينظر: حجة القراءات: 607.

المبحث الثاني: الأفعال

الفعل هو لفظ يدل على معنى في نفسه مع اقترانه بالزمن، ويكون مسنداً إلى فاعل ظاهر فيسمى المبني للفاعل أو مسنداً إلى فاعل غير مذكور ويسمى المبني للمفعول.

1- الماضي بين البناء للمجهول والبناء للمعلوم:

قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: 24]

قرأ حمزة والكسائي وحفص بضم الهمزة وكسر الحاء⁽¹⁾، على ما لم يسم فاعله، عطفاً على ﴿حُرِّمَتْ﴾ [النساء: 23]، وقرأ الجمهور بالفتح على تسمية الفاعل، وهو معطوف على الفعل الناصب لكتاب⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ [النساء: 25]

ذكره أنه يقرأ بضم الهمزة أي الأزواج⁽³⁾؛ جعلوهن مفعولات بإحصان أزواجهن إياهن، والتقدير: فإذا أحصنهن أزواجهن⁽⁴⁾، وهي قراءة الجمهور، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة ﴿أُحْصِنَ﴾ بفتح الهمزة⁽⁵⁾ أي فروجهن⁽⁶⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُم فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء: 140]

ذكر أنه يقرأ ﴿نُزِّلَ﴾ على ما لم يسم فاعله، والقائم مقام الفعل «أن» وما هو تمام لها، أي أنه إذا سمعتم آيات الله ... ، ويقرأ ﴿نَزَّلَ﴾ على تسمية الفاعل و«أن» في موضع

(1) ينظر: غيث النفع: 160 .

(2) التبيان: 346/1.

(3) التبيان: 249 / 1.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرطبي: 147 / 5 .

(5) ينظر: غيث النفع: 190 .

(6) ينظر: التبيان: 349/1، ويرى القرطبي أن قراءة الفتح تعني: أسلمن، ويقال عفن. [ينظر: الجامع لأحكام القرآن:

. [143/5

نصب، والمعنى: وقد نزل عليكم المنع من مجالستهم عند سماع الكفر منهم⁽¹⁾، وهي قراءة عاصم، وقرأ الجمهور على ما لم يسم فاعله.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ﴾ [الأنعام: 137]

قرأ الجمهور⁽³⁾ بفتح الزاي والياء على تسمية الفاعل وهو ﴿شُرَكَاءُهُمْ﴾ والمفعول ﴿قَتَلَ﴾⁽⁴⁾، وقرأ ابن عامر ﴿زَيْنَ﴾ بضم الزاي على ما لم يسم فاعله، و ﴿قَتَلَ﴾ بالرفع على أنه القائم مقام الفاعل و ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بالنصب على أنه مفعول القتل، و ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ بالجر على الإضافة وقد فصل بينهما بالمفعول⁽⁵⁾، ثم يرفض أبو البقاء هذه القراءة بقوله: «وهو بعيد وإنما يجيء في ضرورة الشعر»، وهو هنا يرفض القراءة السبعية كما فعل الزمخشري قبله وابن عطية بعده، وقد ضعف هذه القراءة الزمخشري وابن عطية ومكي والبيضاوي والنحاس والفارسي بسبب الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بكلام تَعْفُ أَلْسِنَتُنَا وَأَقْلَامُنَا عن ذكره، محتجّين بأن ذلك غير جائز، وقد رد عليهم ابن مالك وغيره كما ذكر ذلك السيوطي⁽⁶⁾، قال ابن مالك:

فَصَلَ مُضَافٍ شَبَهُ فِعْلٍ مَا نَصَبَ مَفْعُولًا أَوْ ظَرْفًا أَجَزَ وَلَمْ يُعَدَّ

وبين ابن عقيل ذلك قائلا: أجاز المصنف أن يفصل في الاختيار بين المضاف الذي هو شبه الفعل والمضاف إليه بما نصبه المضاف من مفعول به أو ظرف أو شبهه، فمثال ما فصل فيه بينهما بفعل المضاف قوله: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ﴾ الآية في قراءة ابن عامر.

(1) ينظر: التبيان: 398/1 - 399.

(2) ينظر: غيث النفع: 216

(3) ينظر: غيث النفع: 196 .

(4) التبيان: 540/1 - 541 .

(5) ينظر: المصدر السابق .

(6) ينظر: همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر : 523 - 525، وقد عقد له بحثا، وفيه ذكر أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعوله وظرفه، مستدلا لذلك بأمثلة من كتاب الله وبقوله صلى الله عليه وسلم: «فهل أنتم تاركو لي صاحبي» [البخاري مع الفتح: حديث رقم: 3661، كتاب فضائل اصحاب النبي، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لو كنت متخذا خليلا»: 366 / 7] وبأمثلة أخرى من كلام العرب.

ومثال ما فصل فيه بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المضاف الذي هو اسم فاعل قراءة من قرأ ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلِهِ﴾ [إبراهيم: 47] بنصب ﴿وَعْدٍ﴾ وجر ﴿رُسُلِهِ﴾. (1)

والذي يجب أن يُعْلَمَ أَنَّ قراءة ابن عامر سبعية وأخذها تواترا: كابرا عن كابر ثقة عن ثقة عن رسول الله ﷺ ، ولا مجال للكلام في ذلك، والمجال مفتوح على وسعه لرد القاعدة النحوية التي ترد هذه الآية؛ لأن الآية هي الدليل، وهي الشاهد، وقد ردّ هذه القراءة من ردها اعتمادا على أن القراءة بالرأي، وهذا من المحال الذي لا تقبله العقيدة التي سكنت أفئدتنا ونطقنا جوارحنا بها، ذلك لأن القراءة سنة متبعة. (2)

وفي قوله تعالى: ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الرعد: 33]

ذكر أنه يقرأ بفتح الصاد: أي وصدوا غيرهم، وهي قراءة الجمهور، وقراءة حمزة وعاصم والكسائي ﴿وَصُدُّوا﴾ بضم الصاد على البناء للمجهول: أي وصدهم الشيطان أو شركاؤهم (3).

وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا قُتِلُوا﴾ [النحل: 110]

قرأ الجمهور على ما لم يسم فاعله، أي قَتَلَهُمْ غيرهم بالكفر فأجابوا، فإن الله عفا لَهُمْ عن ذلك: أي رَخَّصَ لَهُمْ فِيهِ (4) كما حدث لكثير من صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء من بعدهم، وَيَقْرَأُ ابْنُ عامر ﴿قَتَلُوا﴾ بفتح الفاء والتاء أي: قَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْ قَتَلُوا غَيْرَهُمْ ثُمَّ أَسْلَمُوا، كما هو الحال للذين شاركوا في تعذيب المؤمنين ثم أسلموا بعد ذلك، كعكرمة بن أبي جهل وغيره (5).

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: 23]

(1) ينظر: شرح ابن عقيل: 3/ 82 - 83 .

(2) تشتهر هذه اللفظة عند اللغويين عموما وتنسب إلى سيبويه، غير أنها لم ترد عنده إلا في موضع واحد، (ينظر الكتاب: 1/ 148)، ووردت هذه الكلمة عند التابعين والنحويين قبله، فلا ينبغي أن تنسب إليه، وقد وجدت بكثرة عند من جاء من بعده كابن منظور في اللسان، وابن هشام في الشذور (1/ 343، 393).

(3) ينظر: التبيان: 2/ 759، غيث النفع: 264.

(4) في ذلك إشارة لطيفة إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: 106].

(5) ينظر: التبيان: 2/ 808 ، غيث النفع: 272 .

يقرأ بالتشديد على ما لم يسم فاعله، والقائم مقام الفاعل ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، والمعنى أزيل عن قلوبهم، ويقرأ بالفتح على التسمية أي: فَرَعَ الله، أي كشف عنها، ويقرأ فُرِّعَ أي أُخْلِى⁽¹⁾.

فائدة: ذكر أبو البقاء فيها قراءة أخرى هي: "افرنقع" ثم قال: ولا يجوز القراءة بها؛ قرأ الجمهور ﴿فُرِّعَ﴾ وقرأ ابن عامر: ﴿فَرَّعَ﴾⁽²⁾.

2- المضارع بين البناء للمجهول والبناء للمعلوم:

قال تعالى: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ [الأنعام: 16]

قرأ الجمهور⁽³⁾ بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله، وفي القائم مقام الفاعل وجهان: أحدهما: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي من يصرف عنه عذاب يومئذ، فحذف المضاف، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مبني على الفتح، ويقرأ ﴿يُصْرِفُ﴾ بفتح الياء وكسر الراء على تسمية الفاعل: أي من يصرف الله عنه العذاب،⁽⁴⁾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران: 161]

ذكر أنه يقرأ ﴿يَغُلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين على نسبة الفعل إلى النبي ﷺ: أي ذلك غير جائز عليه، واستُئِذِلَ على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾، ومفعول يَغُلَّ محذوف أي يغل الغنيمة أو المال وهي قراءة الجمهور، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وابن عامر ﴿يَغُلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين على ما لم يسم فاعله، وفي المعنى ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون ماضيه أَغْلَتَهُ أي نسبته إلى الغُلُولِ،⁽⁵⁾ والثاني: هو من أَغْلَتَهُ إذا وجدته غَالًا، كما تقول: أَكْذَبْتَهُ إذا نسبته إلى الكذب، أي لا يقال عنه أنه يُغِلُّ أي يخون، الثالث: معناه أن يُغْلَهُ غيره أي: ما كان لنبي أن يُخَانَ.⁽⁶⁾

(1) التبيان: 2/ 1068 .

(2) غيث النفع: 327، وينظر: التنكرة: 2/ 507.

(3) غيث النفع: 207 .

(4) التبيان: 1/ 484، 485، وينظر: الحجة في القراءات السبع: 136.

(5) الغُلُولُ: في المغنم خاصة، وليس من الخيانة أو الحقد، ذلك أنه يقال من الخيانة: أَغْلَّ يُغِلُّ، ومن الحقد: غَلَّ يُغِلُّ، ومن الغُلُولِ: غَلَّ يُغِلُّ، الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت: 1783 (غل).

(6) ينظر: التبيان: 306/1، غيث النفع: 185، وذكر ابن خالويه وجها آخر وهو: من الغُلِّ، وهي الحديد التي يقيد بها الأسير

وفي قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: 37]

يقرأ الجمهور بفتح الياء وكسر الضاد والفاعل: ﴿الَّذِينَ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء وفتح الضاد على ما لم يسم فاعله⁽¹⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا تَنْزِلُ الْمَلَكُوتُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 8]

فيها قراءات:

قرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿مَا تَنْزِلُ الْمَلَكُوتُ﴾ بنونين: الأولى مضمومة والثانية مفتوحة وكسر الزاي والملائكة بالنصب، وقرأ شعبة: ﴿مَا تَنْزِلُ الْمَلَكُوتُ﴾ بتاء مضمومة ونون مفتوحة والزاي كذلك والملائكة بالرفع، وقرأ الجمهور كذلك إلا أنهم يفتحون التاء بالتخفيف ﴿مَا تَنْزِلُ﴾ والبزري يشددّها ﴿مَا تَنْزِلُ﴾⁽²⁾، واكتفى أبو البقاء في هذه الآية بقوله: «فيها قراءات كثيرة كلها ظاهرة»⁽³⁾.

قال ابن خالويه: «والحجة لمن فتح التاء أنه أراد: تَنْزِلُ، فأسقط إحدى التائين، ورفع الملائكة بفعلهم، والحجة لمن ضم التاء انه دل بذلك على نقل الفعل عن بنائه للفاعل إلى ما لم يسم فاعله، ورفع به الملائكة، لأن الفعل صار حديثاً عنهم لما اختزل الفاعل، والحجة لمن قرأ بالنون: أنه أخبر بذلك عن إخبار الله بالفعل عن نفسه، ونصب الملائكة بتعدي الفعل إليهم»⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: 3]

يقرأ بياء مضمومة على ما سمي فاعله والفاعل: ﴿اللَّهُ﴾ وما بعده نعت له، ويقرأ على ترك التسمية ﴿يُوحَى﴾ وفيه وجهان: أحدهما: أن ﴿كَذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿يُوحَى﴾ الخبر، ولفظ الجلالة فاعل لفعل محذوف كأنه قيل من يوحى؟ فقال الله، وما بعده نعت له، والثاني: أن يكون

في عنقه. (الصحاح: غل).

(1) ينظر: التبيان: 2/ 643، غيث النفع: 237.

(2) غيث النفع: 267.

(3) التبيان: 2/ 777.

(4) الحجة في القراءات السبع: 205، 206.

﴿كَذَلِكَ﴾ نعنا لمصدر محذوف، و﴿إِلَيْكَ﴾ القائم مقام الفاعل، أي وحيا مثل ذلك⁽¹⁾، وهذه القراءة قرأ بها ابن كثير، وقرأ الباقر على ما لم يسم فاعله⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ﴾ [الأحقاف: 25]

بالتاء على الخطاب وتسمية الفاعل و ﴿مَسَاكِينَهُمْ﴾ مفعول به، ويقراً على ترك التسمية بالياء: أي: ﴿لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ﴾ بالرفع، وهو القائم مقام الفاعل⁽³⁾.

وفيه قراءة أخرى: ﴿تَرَى﴾ ضعفها أبو البقاء⁽⁴⁾.

قرأ الجمهور على تسمية الفاعل ﴿تَرَى﴾، وقرأ عاصم وحمة ﴿يَرَى﴾ بالبناء للمجهول ومساكنهم بالرفع⁽⁵⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: 25 - 26]

يقرآن بكسر الذال والتاء، والفاعل ﴿أَحَدٌ﴾ والهاء تعود على الله عز وجل، ويقرآن بالفتح على ما لم يسم فاعله، والهاء للمفعول، والتقدير: مثل عذابه، ومثل وثاقه، وبها قرأ الكسائي، وقرأ الجمهور على تسمية الفاعل⁽⁶⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: 6]

يقرأ ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ بضم التاء على ما لم يسم فاعله وهو من رؤية العين، وهي قراءة ابن عامر والكسائي، وقرأ الباقر ﴿لَتَرَوُنَّ الجحيم﴾ بفتح التاء، ولم يتعرض لتوجيهها⁽⁷⁾.

3- الفعل المضارع بين الرفع والنصب:

(1) ينظر: التبيان: 2 / 1130 .

(2) ينظر: غيث النفع: 346.

(3) التبيان: 2 / 1157 - 1158 .

(4) ينظر: المصدر نفسه .

(5) ينظر: غيث النفع: 351 .

(6) ينظر: التبيان: 2 / 1287، غيث النفع: 383 .

(7) ينظر: التبيان: 2 / 1302، غيث النفع: 393، الحجة في القراءات السبع: 375.

قال تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117]

يقرأ بالرفع عطفاً على ﴿يَقُولُ﴾ أو على الاستئناف، وقرئ بالنصب على جواب لفظ الأمر، وهو ضعيف: لوجهين: أحدهما: أن ﴿كُنْ﴾ ليس بأمر على الحقيقة، إذ ليس هناك مخاطب به، وإنما المعنى على سرعة التكوّن، يدل على ذلك أن الخطاب بالتكوّن لا يرد على الموجود؛ لأن الموجود متكون، ولا يَرُدُّ على المعدوم؛ لأنه ليس بشيء، فلا يبقى إلا لفظ الأمر، ولفظ الأمر يَرُدُّ ولا يراد به حقيقة الأمر كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: 38]، وكقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: 75].

والثاني: أن جواب الأمر لا بد أن يخالف الأمر إما في الفعل أو الفاعل أو فيهما، فمثال ذلك قولك: اذهب ينفعك زيد، فالفعل والفاعل في الجواب غيرهما في الأمر، وتقول: اذهب يذهب زيد، فالفاعل متفقان، والفاعلان مختلفان، فأمّا أن يتفق الفعلان والفاعلان فغير جائز، كقولك: اذهب تذهب؛ والعلة فيه أن الشيء لا يكون شرطاً لنفسه.⁽¹⁾

قرئ بالرفع أي فهو، وبالنصب عطفاً على يَقُولُ⁽²⁾، قرأ الجمهور ﴿فَيَكُونُ﴾ بالرفع، وقرأ ابن عامر فيه بالنصب هنا، وفي سورة آل عمران [48]، وفي سورة النحل [40]، وفي سورة مريم [35]، وسورة يس [82]، وفي سورة غافر [68]، فهذه ستة مواضع، قرأ فيها بالنصب، ووافقه الكسائي في النحل ويس، والباقون ﴿يَكُونُ﴾ برفع النون فيها.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المائدة: 53]

ذكر فيه عدة قراءات منها أنه يقرأ فيها بالرفع من غير واو العطف ﴿يَقُولُ﴾، وهو مستأنف، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، ويُقرأ كذلك بالواو ﴿وَيَقُولُ﴾ وهي قراءة حمزة وعاصم والكسائي، وقرأ أبو عمرو ﴿وَيَقُولُ﴾ بالواو والنصب،⁽⁴⁾ وفيه أربعة أوجه:

(1) التبيان: 109/1، ويضعف ابن خالويه هذا الوجه بقوله: وليس هذا من مواضع الجواب، لأن الفاء لا ينصب إلا إذا جاءت بعد الفعل المستقبل. (ينظر: الحجة: 88).

(2) ينظر: التبيان: 796/2، 1086/2،

(3) ينظر: غيث النفع: 134، 270، 333، الروضة: 544/2، 545، التذكرة في القراءات الثمان: 258/2.

(4) ينظر: غيث النفع: 203.

أحدها: أنه معطوف على ﴿يَأْتِي﴾⁽¹⁾ حملاً على المعنى؛ لأن معنى عسى الله أن يأتي، وعسى أن يأتي الله واحد، ولا يجوز أن يكون معطوفاً على لفظ أن يأتي؛ لأن ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾ خبر عسى، والمعطوف عليه في حكمه، فيفتقر إلى ضمير يرجع إلى اسم عسى، ولا ضمير في قوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيصير كقولك: عسى أن يقول الذين آمنوا.

والثاني: أنه معطوف على لفظ يأتي على الوجه الذي جعل فيه بدلاً، فيكون داخلاً في اسم عسى واستغنى عن خبرها بما تضمنه اسمها من الحدث، والوجه الثالث: أن يعطف على لفظ ﴿يَأْتِي﴾ وهو خبر، ويقدر مع المعطوف ضمير محذوف تقديره: ويقول الذين آمنوا به، والرابع: أن يكون معطوفاً على الفتح [في قوله ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾] تقديره: فعسى الله أن يأتي بالفتح وبأن يقول الذين آمنوا⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ [الشورى: 35]

يقرأ بالنصب على تقدير: وأن يعلم⁽³⁾؛ لأنه صرّفه عن الجواب وعطفه على المعنى، ويقرأ بالكسر على أن يكون مجزوماً حُرْكَ لالتقاء الساكنين، ويقرأ بالرفع على الاستئناف⁽⁴⁾.

قرأ نافع وابن عامر ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالرفع، وقرأ الجمهور ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالنصب⁽⁵⁾، وفيه قراءة بالكسر على أنها معطوفة على المجزوم قبله وهو قوله تعالى ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [34]، وكسرت لالتقاء الساكنين⁽⁶⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 48]

قرأ الجمهور ﴿يُرْسِلُ﴾ بالنصب، وقرأ نافع ﴿يُرْسِلُ﴾ بالرفع⁽⁷⁾؛ فمن نصب فمعطوف على موضع ﴿وحياً﴾: أي يبعث الله إليه ملكاً، وقيل: في موضع جر: أي بأن يرسل، وقيل: في

(1) في الآية السابقة لها: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾.

(2) التبيان: 1/ 444، 445.

(3) هذا تقدير النصب عند البصريين، ويرى الكوفيون أنه منصوب بالواو (ينظر: الحجة في القراءات السبع: 319).

(4) التبيان: 2/ 1134.

(5) غيث النفع: 347.

(6) ينظر: إعراب القراءات الشواذ: 2/ 217، الكشاف: 3/ 408.

(7) غيث النفع: 347.

موضع نصب على الحال، ولا يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ﴾؛ لأنه يصير معناه: ما كان لبشر أن يكلمه الله ولا أن يرسل إليه رسولا، وهذا فاسد، ولأن عطفه على ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ﴾ الموجودة يدخله في صلة ﴿أَنْ﴾، و﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، يفصل بين بعض الصلة وبعض، لكونه منقطعا، ومن رفع ﴿يُرْسِلُ﴾ استأنف⁽¹⁾.

4- الفعل المضارع بين النصب والرفع:

قال تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 214]

يقرأ بالنصب وهي قراءة الجمهور، والتقدير: إلى أن يقول الرسول ﷺ، فهو غاية، والفعل هنا مستقل حُكِيَتْ به حالهم، والمعنى على المضي، والتقدير: إلى أن قال الرسول، وقرأ نافع بالرفع على أن يكون التقدير وزلزلوا فقال الرسول، فالزَّلْزَلَةُ بسبب القول، وكلا الفعلين ماض فلم تعمل فيه حتى⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: 233]

ذكر أن فيها قراءات كالتالي:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو⁽³⁾ بضم الراء وتشديدها، وفيها وجهان: أحدهما: أنه على تسمية الفاعل وتقديره لا تضارر بكسر الراء الأولى، والمفعول على هذا محذوف تقديره: لا تضار والدة والدًا بِسَبَبِ وَلَدِهَا، والثاني: أن تكون الراء الأولى مفتوحة على ما لم يسم فاعله وأدغم؛ لأن الحرفين مثلان، ورفع لأن لفظه لفظ الخبر ومعناه النهي.

ويقرأ بفتح الراء وتشديدها على أنه نهى وحرك لالتقاء الساكنين، وكان الفتح أولى لتجانس الألف والفتحة قبلها، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون أصله تضارر⁽⁴⁾، وهي قراءة الجمهور.

(1) التبيان: 2/ 1136، وينظر: الكشاف: 3/ 410.

(2) ينظر: التبيان: 1/ 172، وقد وهم النحاس حين نسب قراءة الرفع إلى ابن كثير أيضا، (إعراب القرآن للنحاس: 304/1) وينظر في نسبة هذه القراءة: غيث النفع: 157، التذكرة في القراءات الثمان: 2/ 268.

(3) ينظر: غيث النفع: 166.

(4) التبيان: 1/ 185.

وفيها قراءة أخرى بسكون الراء، ووجهها أن يكون حذف الراء الثانية فرارا من التشديد في الحرف المكرر وهو الراء، وجاز الجمع بين الساكنين إما لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف، أو لأن مدة الألف تجري مجرى الحركة.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ [آل عمران: 80]

يقرأ بالرفع: أي ولا يأمركم الله ولا النبي ﷺ، فهو مستأنف،⁽²⁾ ويقرأ بالنصب عطا على ﴿يَقُولُ﴾⁽³⁾ فيكون الفاعل ضمير النبي ﷺ أو البشر.⁽⁴⁾

قرأ نافع وابن كثير والكسائي برفع الراء، وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم بفتحها،⁽⁵⁾ وذكر فيها قراءة أخرى بإسكان الراء فراراً من توالي الحركات، لأن الكاف متحركة، وقبل الراء حركة، فسكنوا الأوسط تشبيهاً له بعضه،⁽⁶⁾ وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الدوري عنه باختلاسها في أحد وجهيه.

ومثلها قوله تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁷⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿يَلَيِّنَاتَا نُزْدُ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27]

يقرأ ﴿نُكْذِبُ﴾ ﴿نُكُونُ﴾ بالرفع، وفيه وجهان: الأول: هو معطوف على ﴿نُزْدُ﴾ فيكون عدم التكذيب والكون من المؤمنين المتمنين أيضاً كالرد، والثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: نحن لا نكذب، وفي المعنى وجهان: أحدهما: أنه مُتَمَنِّي أيضاً، فيكون في موضع نصب على

(1) ينظر: التبيان: 1 / 185.

(2) استدل ابن خالويه لهذا الوجه بقوله: ودليله أنه في قراءة عبد الله: «ولن يأمركم»، فلما فقد الناصب عاد إلى ما وجب له بالمضارعة، أي الإعراب. (ينظر: الحجة في القراءات السبع: 111).

(3) التبيان: 1 / 275، ويرى ابن خالويه أنه عطف على ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾.

(4) في الآية السابقة لها: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [79].

(5) ينظر: غيث النفع: 179.

(6) ينظر: التبيان: 1 / 275، 1 / 73، ولا يثبت سيبويه هذه الرواية، وإنما ينسبون إليه الاختلاس. (ينظر: الكتاب: 4 / 202)، وكذا المبرد فيما نسبته القرطبي إليه أنه قال: لا يجوز هذا، لأن الراء حرف الأعراب، وإنما الصحيح عن أبي عمرو أنه كان يختلس الحركة. (الجامع لأحكام القرآن: 1 / 444).

(7) قرأ أبو عمرو ﴿أَيَأْمُرُكُمْ﴾ بالفتح، والدوري بالاختلاس، والباقون بالرفع. ينظر: غيث النفع: 179.

الحال من الضمير نرد، والثاني: أن يكون المعنى أنهم ضَمُّوا ألا يُكذِّبوا بعد الرد، فلا يكون للجملة موضع.

ويقراءان بالنصب على أنه جواب التمني، فلا يكون داخلا في التمني، والواو في هذا كالفاء.⁽¹⁾

قرأ الجمهور بالرفع، وقرأ حمزة وحفص بالنصب، وقرأ ابن عامر برفع الأول ونصب الثاني.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلتَّرْوَلِ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 40]

يقراً بكسر اللام الأولى وفتح الثانية وهي لام كي، ويقراً بفتح اللام الأولى وضم الثانية، و﴿إِنْ﴾ على هذا مخففة من الثقيلة، واللام للتوكيد.⁽³⁾

قرأ الجمهور بفتح الأولى وكسر الثانية، وقرأ الكسائي ﴿لَتَرْوُلُ﴾ بفتح الأولى وضم الثانية.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهَامُنُ ابْنِ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: 37].

يقراً الجمهور بالرفع عطفاً على ﴿أَبْلُغُ﴾، وبالنصب على جواب الأمر أي: إن تَبَّنِ لِي أَطْلَعُ، وقال قوم: هو جواب لعل؛ إذ كان في معنى التمني، وهي قراءة عاصم.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَنَفَّعَهُ الذُّكْرَى﴾ [عبس: 4]

قرأ الجمهور بالرفع عطفاً على ﴿يَذْكُرُ﴾، وقرأ عاصم بالنصب على جواب التمني في المعنى،⁽⁶⁾ شبه لعل بـ"ليت"، لأن ليت في التمني أخت لعل في الترجي.⁽¹⁾

(1) التبيان: 1/ 489 ، وينظر: الحجة في القراءات السبع: 137، 138.

(2) ينظر: غيث النفع: 206 .

(3) التبيان: 2/ 774 .

(4) ينظر: غيث النفع: 266 .

(5) ينظر: التبيان: 2/ 1120، غيث النفع: 341.

(6) ينظر: التبيان: 2/ 1271، غيث النفع: 380. وهذا مذهب الكوفيين.

5- الفعل المضارع بين الرفع والجزم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: 69]

يقرأ بالجزم على البدل من ﴿يَلْقَ﴾ إذا كانت من معناه؛ لأن مضاعفة العذاب لقي الآثام، وقرئ بالرفع على الاستئناف⁽²⁾.

قرأ نافع وأبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي بجزم الفاء والدادل في ﴿يُضَاعَفْ﴾ و ﴿يَخْلُدْ﴾ وقرأ ابن كثير ﴿يَضَعُّ﴾ بضم الخاء والدادل، وقرأ شعبة كالجمهور إلا أنه يرفع ﴿يُضَاعَفُ يَخْلُدُ﴾⁽³⁾، وعلى هذا فالقراءة بالرفع ليست شاذة كما زعم أبو البقاء، وإنما هي قراءة سبعية متواترة، لا مجال للشك فيها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: 119]

يقرأ بضم التاء واللام، حال، أي وغير مسؤول، ويجوز أن يكون مستأنفاً، ويقرأ بفتح التاء والجزم على النهي⁽⁴⁾، قرأ الجمهور بضم التاء واللام، وقرأ نافع بفتح التاء وإسكان اللام⁽⁵⁾، وفيه قراءة أخرى بفتح التاء وضم اللام.

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 284]

يقرأ بالرفع على الاستئناف أي فهو يغفر، وبالجزم عطا على جواب الشرط⁽⁶⁾، وهي قراءة الجمهور، وقرأ بالرفع ابن عامر وعاصم⁽⁷⁾.

(1) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 315.

(2) ينظر: التبيان: 991/2، ويرى العكبري أن قراءة الرفع شاذة.

(3) ينظر: غيث النفع: 306 .

(4) التبيان: 110 / 1 .

(5) ينظر: غيث النفع: 135 .

(6) التبيان: 233 / 1 .

(7) ينظر: غيث النفع : 171 .

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون:10]

هنا يتضح بجلاء اعتماد أبي البقاء قراءة أبي عمرو، حيث تتصدر كلامه عندما يذكر الأوجه الإعرابية في الآية عندما يقول: ﴿وَأَكُونَ﴾ بالنصب عطفًا على ما قبله، وهو جواب الاستفهام، ويقرأ بالجزم حملاً على المعنى، والمعنى إن أخرتني أكن⁽¹⁾.

قرأ أبو عمرو بزيادة واو بين الكاف والنون وينصب النون، والجمهور بلا واو وسكون النون.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة:47]

يقرأ بسكون اللام والميم على الأمر وهي قراءة الجمهور، وقرأ حمزة بكسر اللام وفتح الميم على أنها لام كي أي وَقَفَيْنَا لِيُؤْمِنُوا وليحكموا.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا﴾ [طه:69]

ذكر فيها أنه يقرأ بالجزم على الجواب والفاعل ضمير ﴿مَا﴾ وأنت؛ لأنه أراد العصا، ويقرأ بضم الفاء على أنه حال من العصا أو من موسى⁽⁴⁾، قرأ الجمهور بالجزم في الفاء، وقرأ ابن ذكوان برفع الفاء⁽⁵⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه:77].

ذكر فيها عدة قراءات؛ بالرفع: تخاف؛ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو مستأنف، والثاني: هو حال من الضمير، والثالث: هو صفة للطريق، والعائد محذوف، أي وَلَا يَخَافُ فِيهِ، ويقرأ بالجزم على النهي أو على جواب الأمر⁽⁶⁾، وهي قراءة حمزة، والأولى قراءة الجمهور⁽⁷⁾.

(1) التبيان: 1225/2 .

(2) ينظر: غيث النفع: 368 – 369، هذا ولم تكتب الواو في المصحف العثماني رسماً وإنما ينطق اللفظ فقط، وكثير من آي القرآن ينطق ولا يكتب .

(3) ينظر: التبيان: 440/1، غيث النفع: 203 .

(4) التبيان: 896 / 1 .

(5) ينظر: غيث النفع: 290 .

(6) التبيان: 898 / 1 .

(7) ينظر: غيث النفع: 291 .

6- الفعل بين الماضي والأمر:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْ لَوْ جِئْتُكُمْ﴾ [الزخرف:24]

ذكر أنه يقرأ على لفظ الأمر وهو مستأنف، ويقرأ ﴿قَالَ﴾ يعني النذير المذكور في الآية السابقة،⁽¹⁾ وهي قراءة ابن عامر وحفص، قال السفاقي: على الخبر.⁽²⁾

وفي قوله: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:212].

يقرأ على لفظ الأمر، جعله من أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى لفظ الماضي⁽³⁾، ومثلها قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ [الأنبياء:4] يقرأ ﴿قُلْ﴾ على الأمر، و﴿قَالَ﴾ على الخبر.⁽⁴⁾

قرأ في هذه الآية الجمهور بالأمر، وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الخبر ﴿قَالَ﴾⁽⁵⁾.

وفي: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾، قرأ حفص على الخبر ﴿قَالَ﴾، وقرأ الجمهور بالأمر ﴿قُلْ﴾⁽⁶⁾.

7- الفعل بين الماضي والمضارع:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17]

القراءة عند الجمهور ﴿أُخْفِيَ﴾، ويقرأ ﴿أُخْفِي﴾ بسكون الياء على أنه مضارع أي أُخْفِي لهم أنا، وهي قراءة حمزة، ويقرأ ﴿أَخْفَى﴾ على أنه فعل ماضٍ أي أخفى الله لهم، ويقرأ يخفى بالنون⁽¹⁾.

(1) ينظر التبيان: 2 / 1138 .

(2) ينظر: غيث النفع: 347 .

(3) الحجة في القراءات السبع: 248، وينظر: التبيان: 2 / 930.

(4) التبيان : 2 / 912، وينظر: الحجة في القراءات السبع: 252.

(5) ينظر: غيث النفع: 293 .

(6) المصدر السابق 295.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158]

يقرأ على لفظ الماضي ﴿مَنْ﴾ على هذا يجوز أن تكون بمعنى الذي، ويجوز أن تكون من شرطاً والماضي بمعنى المستقبل، وقرئ ﴿يَطَوَّعُ﴾ بالياء على لفظ المستقبل، ف﴿مَنْ﴾ على هذا شرط لا غير؛ لأنه لا جازم بها،⁽²⁾ قرأ الجمهور ﴿تَطَوَّعَ﴾ بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي ﴿يَطَوَّعُ﴾ بالياء وإدغام التاء في الطاء وجزم العين⁽³⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 184].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: 212].

يقرأ فيها: "قال ربي أحكم بالحق"، على الابتداء والخبر.⁽⁴⁾

8- الفعل بين المضارع والأمر:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 211]

يقرأ بفتح الهمزة واللام على أنه أخبر عن نفسه، ويقرأ ﴿أَعْلَمْ﴾ بوصل الهمزة على الأمر وفاعل قال ﴿اللَّهُ﴾، وقرئ بقطع الهمزة وفتحها وكسر اللام والمعنى أعلم الناس⁽⁵⁾.

قرأ الجمهور على القطع بفتح الهمزة ﴿أَعْلَمْ﴾، وقرأ حمزة والكسائي بوصل الهمزة مع سكون الميم على الأمر⁽⁶⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]

يقرأ على لفظ الخبر، والمعطوف عليه محذوف تقديره فتابوا واتخذوا، ويقرأ على لفظ الأمر فيكون على هذه مستأنفا.⁽⁷⁾

(1) ينظر: التبيان: 2 / 1049، غيث النفع: 323 .

(2) التبيان: 1 / 130 - 131 .

(3) ينظر: غيث النفع: 143 .

(4) ينظر: التبيان: 2 / 930، وينظر: الحجة: 252.

(5) ينظر: التبيان: 1 / 211 .

(6) ينظر: غيث النفع: 169 .

(7) التبيان: 1 / 112.

قرأ نافع وابن عامر ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ فعلا ماضيا، وقرأ الجمهور ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بكسر الراء على الأمر⁽¹⁾.

9- الفعل بين إسناده إلى المفرد وإسناده إلى المثنى:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ نَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الزخرف:38]

يقرأ على الإفراد رداً على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾،⁽²⁾ وعلى التثنية رداً على القرينين الكافر وشيطانه⁽³⁾.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بألف بعد الهمزة على التثنية، وقرأ حفص وحمزة والكسائي بغير ألف على الإفراد⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ [الإسراء:23]

فيه قراءتان: قرأ الجمهور: ﴿يَبْلُغَنَّ﴾، وقرأ حمزة والكسائي ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ بألف ممدودة وبكسر النون على التثنية⁽⁵⁾، قال أبو البقاء: والألف فاعل⁽⁶⁾.

(1) ينظر: غيث النفع: 135 .

(2) في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

(3) ينظر: التبيان: 1139/2 .

(4) ينظر: غيث النفع: 348 .

(5) ينظر: غيث النفع: 273 .

(6) التبيان: 817/2 .

المبحث الثالث: الحروف

الحرف في اللغة: هو الحافة، و«ح ر ف» أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: 11] أي لا يدوم، وتقول إنما أنت على حرف أي لا أثق بك، وقال أحمد بن يحيى أي على شك، ومن هنا سميت حروف المعجم حروفاً وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ونحوه ويجوز أن تكون سميت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به ومن هذا قيل فلان يقرأ بحرف أبي عمرو وغيره من القراء وذلك لأن الحرف حد ما بين القراءتين وجهته وناحيته.⁽¹⁾

وفي الاصطلاح: كلمة جاءت لمعنى ليست باسم ولا فعل.⁽²⁾

بين (إن ، أن)

«إن» حرف توكيد ونصب، وقد قرئ في الذكر بفتح الهمزة وبكسرها في مواطن عديدة، وعند علماء النحو تأتي «إن» على ثلاثة أحوال: - بحسب الهمزة - ؛ فحالة يجوز كسرها وفتحها وهي التي اختلفت فيها القراءات القرآنية.

فيجوز فتح «إن» وكسرها إذا وقعت بعد «إذا» الفجائية، نحو: "خرجت فإذا إن زيدا قائم"، فمن كسرها جعلها جملة، ومن فتحها جعلها مع صلتها مصدرا، وكذلك إذا وقعت جواب قسم فيجوز فتحها وكسرها، وكذلك يجوز الفتح والكسر إذا وقعت «إن» بعد فاء الجزاء⁽³⁾ نحو: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 59]، يقرأ بالكسر، وهو معطوف على ﴿إِنَّ﴾ الأولى، أو تكرير للأولى عند قوم، وعلى هذا خبر إن محذوف دل عليه الكلام، ويقرأ بالفتح، وهو تكرير للأولى على قراءة من فتح الأولى أو بدل منها عند قوم، وكلاهما ضعيف لوجهين: أن البدل لا

(1) سر صناعة الإعراب: 1/ 13، 14.

(2) ينظر: شرح ابن عقيل: 1/ 8.

(3) المصدر السابق: 1/ 361.

يصحبه حرف معنى إلا أن تجعل الفاء زائدةً، وهو ضعيف، والثاني أن ذلك يؤدي إلى ألا يبقى ﴿مَنْ﴾ خبراً ولا جواباً إن جعلتها شرطاً.

والوجه أن تكون « أن » خبر مبتدأ محذوف، أي فشأنه أنه غفور له، أو يكون المحذوف ظرفاً، أي فعلية أن، فتكون أن إما مبتدأ وإما فاعلاً (1)، وكذلك على جعل « أن » وصلتها مصدرًا مبتدأ خبره محذوف وتقدير ذلك: "قالغفران جزاؤه" (2) .

وكذلك يجوز الفتح والكسر إذا وقعت « أن » بعد مبتدأ هو في المعنى قول، وخبر « أن » قول، والقائل واحد نحو: « خير القول إني أحمد الله » (3)

قرأ الجمهور بكسر الهمزة، وقرأ ابن عامر وحفص بالفتح (4).

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: 19] .

ذكر أن الجمهور على كسر الهمزة على الاستئناف، ويقرأ بالفتح على أن الجملة مصدر وموضعه جر بدلاً من ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي شهد الله بوحْدانيته بأن الدين (5)، وهي قراءة الكسائي (6).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المؤمنون: 52].

يقرأ بفتح الهمزة، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: تقديره ولأن، واللام المقدرة تتعلق بـ﴿فَاتَّقُونَ﴾ أي فاتقون لأن هذه ...، وموضع ﴿أن﴾ نصب أو جر، والثاني: أنه معطوف على ما قبله تقديره: "إني بما تعملون عليم وبأن هذه ..."، والثالث: أن في الكلام حذفاً أي واعلموا أن هذه ...، ويقرأ ﴿وَأَنَّ﴾ بالكسر على الاستئناف (7).

(1) التبيان: 1/ 500، 501 .

(2) شرح ابن عقيل: 1/ 361 .

(3) ينظر المصدر السابق .

(4) ينظر: غيث النفع: 207 .

(5) التبيان: 1/ 248 .

(6) غيث النفع: 175 .

(7) ينظر التبيان: 2/ 256 ، غيث النفع: 292 .

قرأ الجمهور على الفتح، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسرهما، وقرأ ابن عامر بكسرهما إلا أنه يخفف النون مخففة من الثقيلة (1).

وفي قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: 119]

يقرأ بفتح الهمزة عطا على موضع ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ (2)، وجاز أن تقع «أن» المفتوحة معموله لـ"أن" لما فصل بينهما، والتقدير أن لك الشبع والري والكن، وهي قراءة الجمهور، وقراءة نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف أو العطف على ﴿إِنْ﴾ الأولى (3).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153]

يقرأ بفتح الهمزة والتشديد، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها تقديم؛ ولأن هذا، واللام متعلق بقوله ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: ولأجل استقامته اتبعوه، والثاني: أنه معطوف على ﴿مَا حَرَّمَ﴾ أي: وأتلو عليكم أن هذا صراطي، والثالث: هو معطوف على الهاء في ﴿وَصَّكُمْ بِهِ﴾، وهذا فاسد لوجهين: أحدهما أنه عطف على الضمير من غير إعادة الجار، والثاني أنه يصير المعنى: وصاكم باستقامة الصراط، وهو فاسد، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر ﴿وَأَنَّ﴾ بتخفيف النون مخففة من الثقيلة، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة (4).

وفي قوله تعالى: ﴿أَتَهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: 111]

ذكر أنه يقرأ بالفتح على أن الجملة في موضع مفعول ثان؛ لأن جرى يتعدى إلى اثنين كما قال تعالى: ﴿وَجَزَيْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12]، وفيه وجه آخر: وهو أن يكون على تقدير لأنهم أو بأنهم، أي جزاهم بالفوز على صبرهم، (5) وبها قرأ الجمهور، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة على الاستئناف (6).

ومثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117].

(1) التبيان: 2/ 256، غيث النفع: 299.

(2) في الآية السابقة وهي قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾.

(3) ينظر التبيان: 2/ 906، غيث النفع: 292.

(4) ينظر: غيث النفع: 220.

(5) التبيان: 1/ 961.

(6) نظر: غيث النفع: 301.

يقرأ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على تقدير بأنه، أي: يجازي بعد الفلاح.⁽¹⁾

وفي سورة الجن اختلفت القراءات القرآنية في همزة "إن، أن"؛ قرأ البعض بفتح الهمزة، وقرأ آخرون بكسرها، وقد جمع أبو البقاء توجيه ذلك بقوله: وما جاء في هذه السورة من «أن» فبعضه مفتوح وبعضه مكسور وفي بعضه اختلاف فما كان معطوفاً على ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ فهو مفتوح لا غير؛ لأنها مصدرية وموضعها رفع ﴿أَوْحِيَ﴾، وما كان معطوفاً على ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ فهو مكسور؛ لأنه حَكِّيَّ بَعْدَ الْقَوْلِ، وما صح أن يكون معطوفاً على الهاء في ﴿بِهِ﴾ كان على قول الكوفيين على تقدير العطف، ولا يجيزه البصريون؛ لأن حرف الجر يلزم إعادته عندهم هنا،⁽²⁾ وأما قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ﴾ يحتمل العطف على ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ وعلى ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾⁽³⁾.

وفي سورة الجن اثنتا عشرة همزة من المختلف فيها، فقرأ الشامي وحفص حمزة والكسائي بالفتح في الجميع، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالكسر.⁽⁴⁾

لكن بين التخفيف والتثقيل:

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 102].

يقرأ الجمهور بتشديد النون ونصب الاسم، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتخفيفها ورفع الاسم بالابتداء؛ لأنها صارت من حروف الابتداء.⁽⁵⁾

ومثلها قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: 17]

(1) التبيان: 2/ 962.

(2) تظهر هنا عدم تعصب أبي البقاء لمذهبه، وإنما اكتفى بذكر آراء الفريقين، ويشم من كلامه النصرة للبصريين، وهو هنا بخلاف مواطن كثيرة في كتابه حيث كان شديد التهجم على الكوفيين.

(3) ينظر التبيان: 2/ 1243 .

(4) ينظر غيث النفع: 374 .

(5) ينظر: ، التبيان: 98/1 - 99 ، غيث النفع: 127 .

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بكسر نون لكن مخففة ورفع لفظ الجلالة، وقرأ الجمهور بتشديد النون مفتوحة ونصب لفظ الجلالة (1).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: 177]

قرأ الجمهور بتشديد النون مفتوحة ونصب البر، وقرأ نافع وابن عامر بتخفيفها ورفع البر على الابتداء (2)، وفي التقدير ثلاثة أوجه: أحدها: أن البر هنا اسم فاعل من برَّ يبرِّ وأصله برَّ ر مثل فطِنَ فنقلت كسرة الراء إلى الباء، والوجه الثاني: أن يكون التقدير "ولكن ذا البر من آمن"، والوجه الثالث: أن يكون التقدير "ولكن البر بر من آمن" فحذف المضاف على التقديرين وإنما احتيج إلى ذلك لأن البر مصدر، و"من آمن" جُئَة، فالخبر غير المبتدأ في المعنى، فيقدَّر ما يصير به الثاني هو الأول (3).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرُّ مَنْ اتَّقَى﴾ [البقرة: 189] (4).

وفي قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: 38]:

قال: والجيد حذف الألف في الوصل وإثباتها في الوقف؛ لأن أنا كذلك، ويُقرأ بإثباتها في الحاليين، وهي ليست لكن المشددة العاملة نصبا، إذ لو كان كذلك لم يقع بعدها ﴿هُوَ﴾؛ لأنه ضمير مرفوع (5).

بين لا النافية للجنس والمشبهة بـ«ليس» :

وفي قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197]

قرأ الجمهور ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ بالفتح فيهن، على أن الجميع اسم لا الأولى ولا مكررة للتوكيد في المعنى، والخبر ﴿فِي الْحَجِّ﴾، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع فيهن على

(1) ينظر: غيث النفع: 233 .

(2) ينظر: المصدر السابق: 146 .

(3) التبيان: 143/1 .

(4) ينظر: التبيان: 157 ، غيث النفع: 154 .

(5) ينظر: التبيان: 848 / 2، غيث النفع : 279.

أن تكون "لا" غير عاملة، ويكون ما بعدها مبتدأ أو خبراً، ويجوز أن تكون "لا" عاملة عمل ليس فيكون ﴿فِي الْحَجِّ﴾ في موضع نصب.

ومثلها قوله تعالى: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: 252].⁽¹⁾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح عين بيع وتاء خلة وشفاعة ﴿لَا بَيْعٌ﴾ على جعله جواباً لقول قائل: هل من بيع؟ فأجيب: لا بيع، وقرأ الجمهور بالرفع والتثوين في الثلاثة،⁽²⁾ على جعله جواباً لقول قائل: هل فيه بيع؟ فأجيب: لا بيع، فلم يُعْمَلِ "لا" لأن "هل" غير عاملة⁽³⁾

نسأل الله أن ينجينا من هول ذلك اليوم، وأن يشفع فينا خير خلقه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، والحمد لله على نعمه الكثير وآلاءه الوفيرة.

(1) التبيان: 1/ 202.

(2) ينظر: غيث النفع: 169، الروضة: 2/ 572.

(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 99.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله له الفضل كله وإليه يرجع الأمر كله، أحمده سبحانه أن وفقني لاختيار هذا الموضوع وأحمده أن أعانني على السير فيه وإتمامه فله الحمد أولا وله الحمد آخرا .

والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد الهادي البشير والسراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد، فأرجو أن يكون هذا البحث قد كشف جانبا مهما من جهود الإمام أبي البقاء في كتابه التبيان، وأظهر شخصية أبي البقاء اللغوية، آملا ان يكون لي شرف الإسهام بلبنة في صرح المكتبة اللغوية والقرآنية.

ولا شك أن علوم إعراب القرآن وتوجيه قراءاته تعتبر من أعظم ما يعين على فهم القرآن الكريم ، إذ تعين على معرفة معانيه والكشف عن أسرارهِ واستخراج حكمه وأحكامه

وقد عني هذا العمل بتتبع توجيهات القراءات القرآنية التي أطلقها أبو البقاء في أثناء دراسته للنص العزيز، من تجويز ورد للقراءات وذكر للخلاف بينها، ثم توجيهها في اللغة، وتخريجها في القراءة.

فالبحث لم يكن يعرض للجواز أو المنع في أبواب اللغة المختلفة، بل إلى ما جاء منها إزاء القراءات القرآنية فقط، ثم يحققها من جهة الرواية ورودا وعدما.

وقد ضم هذا العمل قسمين: قسما نظريا، وقسما تطبيقيا.

تناول القسم النظري أصولا مهمة في علم القراءات وعلم التوجيه، وتمثل القسم التطبيقي في دراسة القراءات القرآنية التي أوردها أبو البقاء بالتوجيه اللغوي.

وقد عني هذا البحث بتسليط الضوء على جانب هو من أهم الجوانب عند أبي البقاء، وهو الجانب اللغوي والنحوي، الذي برز في شخصيته عموما وبرز في هذا البحث مما يدل على اتساع ملكته اللغوية.

ولعله يمكنني في هذه الخاتمة أن أنوه إلى أهم النقاط التي استخلصتها في هذا البحث:

1- لأبي البقاء آراء لغوية لا تخرج في الغالب عن آراء جمهور البصريين وأصولهم، كما أن له اختيارات اجتهد فيها خالف فيها هؤلاء الأئمة، كما أنه يستشهد أحيانا بأقوال كوفية، غير أنه كثيرا ما يعترض هذه الآراء بالرفض أو التضعيف أو النقد.

2- كما يلاحظ من خلال هذا البحث أن " التبيان " تحفة زاخرة في مجال اللغة والقراءات، التي هي أبرز موضوعات الكتاب، في تناول مزج فيه العلم النظري بالتطبيقي، فخدم بذلك أكثر من غرض، وذلك أمام الناشئة ما عسى أن يعترضهم من صعاب.

3- أن القليل من النحاة كانت له بعض الاعتقادات الخاطئة تجاه القراء فمنهم من كان يعتقد أن بعض القراء يقرأ من خط المصحف ومن السماع من الرجال ومنهم من اتهم الناقلين عن القراء الكبار بالوهم وعدم الدقة والضبط في النقل ولكن الكثير من النحاة رفض هذه الاعتقادات ورد عليها.

و ختاماً أوصي إخواني طلبة العلم بمتابعة هذا الموضوع، باختيار هذا اللون من الدراسة، وذلك بدراسة توجيهات القراءات في أمهات كتب التفسير والقراءات، كالدر المصون، والبحر المحيط، والمحرم الوجيز، والتيسير، وغيث النفع، بوصفه أسلوباً يجمع بين القواعد وتطبيقاتها.

و لا يسعني في هذا المقام إلا التضرع إلى الله عز وجل شاكرًا له على ما مَنَّ به علي من صواب وتوفيق، مستغفراً على ما وقع مني من زلل أو خطأ بسبب عجزٍي و تقصيري، فالكمال له وحده سبحانه، وأدعوه سبحانه بأن يحظى هذا البحث لدى أساتذتي الكرام بحسن الرضا وجميل القبول .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الفهارس العامة

وتضم:

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحديث	
53	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ	1.
93	أَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ	2.
52	إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ	3.
130	فَنُبَيِّنُ اللَّهُ أَشَدُّ مِنْ هَؤُلَاءِ	4.
186	فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي	5.
54	كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ	6.
185	فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي	7.

فهرس الشعر

الترتيب	القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
	الأحياء	ابن الرعاء	خفيف	124
	محيرا	داود بن يحيى	كامل	33
	الثرى	مجهول	كامل	28
	ثقلا	الشاطبي	بسيط	126
	حَرْفُ الْكَلِمِ	ابن مالك	رجز	163
	فِعْلٍ بُنِيَا	ابن مالك	رجز	169
	وتقلونا	الأخضر اللهبي	بسيط	125
	بِبَيْنٍ غُرَابُهَا	الأحوص اليربوعي	طويل	181
	صهواته	امرؤ القيس	طويل	127

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني، "مصحف الجماهيرية".

أ. الكتب المطبوعة:

1. ائتلاف النصر، في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، للشرجي (802)، تحقيق: د. طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1978.
2. أبو علي الفارسي: حياته، مكانته بين أئمة التفسير والعربية، وآثاره في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط3، 1989م.
3. إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر، أحمد البنا الدمياطي (1117)، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407، 1987م.
4. الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (911)، تحقيق: أحمد علي، دار الحديث، القاهرة، 2004م.
5. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1408، 1987م.
6. أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، محمد سمير اللبدي، دار الكتب الثقافية، الكويت الطبعة الأولى 1978م
7. ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي (745)، تحقيق: د. مصطفى النماس، مكتبة المدني، القاهرة، ط1، 1409، 1989م.
8. إعراب الحديث النبوي، للعكبري، تحقيق: د. عبد الإله نبهان، منشورات مجمع اللغة العربية دمشق، ط2، 1379.
9. إعراب القراءات الشواذ للعكبري، تحقيق: محمد السيد عزّوز، عالم الكتب بيروت ، ط1: 1417.
10. إعراب القراءات الشواذ، للعكبري، تحقيق عبد الحميد السيد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1424، 1993م.
11. إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1409، 1988 م .
12. إعراب لامية الشنفرى، للعكبري، تحقيق: محمد أديب جمران، المكتبة الإسلامي، بيروت، ط1، 1404، 1984م.

13. الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة 1992م.
14. الاقتراح في أصول النحو، للسيوطي(911)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، 1420 ، 1999م.
15. الإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش(540)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ط1 : 1403.
16. إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن، العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1399، 1979م.
17. إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي(646)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1: 1986م.
18. الإنصاف في مسائل الخلاف، للأنباري(577)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، د.ت.
19. البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي(745)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
20. البداية والنهاية لابن كثير(774)، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1413، 1993م.
21. البرهان في علوم القرآن للزركشي(794)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1400.
22. بغية الوعاني طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي(911)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1399، 1979م.
23. تاج العروس، للزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، منشورات وزارة الإعلام بدولة الكويت، 1408، 1987م.
24. تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة
25. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة، د. عبد الحليم النجار وآخرين، دار المعارف ، القاهرة، ط4، 1977م.
26. تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1408، 1998م.
27. تاريخ النحو وأصوله، عبد الحميد السيد طلب، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.
28. تاريخ دمشق، لابن عساكر(571)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419،

1998م

29. التبيان في إعراب القرآن: العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت، د.ت.
30. التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، الطاهر الجزائري، دار المنارة، القاهرة، د.ت.
31. التذكرة في القراءات الثمان، لابن غلبون (399)، تحقيق: أيمن رشدي سويد، منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط1، 1412.
32. التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان، القاهرة، 1403، 1983.
33. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (774)، تحقيق: أمين بن محمد سلامة، دار طيبة، المدينة المنورة، ط2، 1420.
34. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (606)، دار الفكر، بيروت، ط3، 1405.
35. التوجيهات والآثار النحوية للقراءات الثلاثة بعد السبعة، للدكتور علي محمد فاخر، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1420، 1999م.
36. التيسير في القراءات السبع، للداني (444)، عني بتصحيحه أوتوبرتزل، مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416، 1996م.
37. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (310)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420، 2000م.
38. الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت ط2، د.ت.
39. حاشية الصبان على شرح الإسموني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، مصر، د.ت.
40. حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة (نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس)، تحقيق: سعيد الأفغاني، منشورات جامعة بنغازي، ط1: 1394، 1974م.
41. حجة القراءات لأبي زرعة، دراسة تحليلية، د. هشام النعيمي، دار الفكر، بيروت، ط1، 2005م.
42. الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (370)، تحقيق: عبد العال مكرم، دار الشروق، بيروت، ط3، 1399.
43. الحضارة العباسية، وليم الخازن، دار المشرق، بيروت، ط2، 1992م.
44. خزانة الأدب، للبغداد (1093)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419، 1998م.
45. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم حمد قدوري، مطبعة الخلود، بغداد، 1406.
46. دول الإسلام: الذهبي (748)، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، ط1: 1990م.
47. الدولة العباسية: محمد بك الخضري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1420، 2000م.

48. ديوان الفرزدق(110)، شرح: علي خرس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1: 1990م.
49. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط5.
50. ذيل تاريخ بغداد: لابن النجار البغدادي(643)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417، 1997م.
51. الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب(795)، دار المعرفة، بيروت، د.ت
52. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : لمكي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمان، الأردن، ط2 1417.
53. الروضة في القراءات الإحدى عشرة، الحسن المالكي،(438)، تحقيق: مصطفى عدنان محمد سلمان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1424.
54. السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن مجاهد(324)، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعارف مصر، 1972م.
55. سر صناعة الإعراب لابن جني(392)، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، ط2، 1413، 1993م.
56. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، لابن القاصح العذري(801)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 3، 1373، 1954م.
57. سنن الدرامي: أبو محمد الدرامي السمرقندي (255)، دار الفكر، بيروت، 1414، 1994م.
58. سير أعلام النبلاء: للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(748)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417، 1997م.
59. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي(1089)، دار الفكر بيروت، د.ت
60. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك(769): تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة ط20، 1419.
61. شرح الشافعية: للرضي(646)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1395.
62. شرح المفصل لابن يعيش(643) مكتبة المثني، القاهرة، د.ت.
63. شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة.
64. شرح شذور الذهب، لابن هشام الأنصاري(761)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، د.ت.
65. الصحاح، للجوهري(393)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط

- الرابعة، 1407، 1978م.
66. طبقات النحاة، لابن قاضي شهبة(851)، تحقيق: د. محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف، 1974م.
67. طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي(379)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت.
68. العصر العباسي الثاني: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
69. علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط17، 1988م.
70. العين للخليل بن أحمد(175)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية، د.ت.
71. غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري، اعتنى بنشره براجستشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
72. غيث النفع في القراءات السبع، للصفاقسي(1118)، مطبوع بهامش سراج القارئ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط3، 1373، 1954م.
73. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني(852)، الطبعة الأولى المصححة الأطراف، دار الفكر، بيروت، 1420، 2000م.
74. فتح القدير، للشوكاني، تحقيق: سيد بن إبراهيم بن صادق، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1413،
75. فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1976م.
76. فی علوم القراءات، السيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة 1405، 1985م.
77. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، طبعة مصطفى الحلبي:1952م.
78. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
79. القراءات وأثرها في علوم العربية، د. محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1984م.
80. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د. عبد العال سالم مكرم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت.
81. قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، د.ت.
82. الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري:(630)، تحقيق: عبد الوهاب النجار، المطبعة المنيرية القاهرة، ط1، 1349.
83. الكتاب لسيبويه(180)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د.ت.

84. الكشف، للزمخشري(538)، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
85. كشف الظنون: لحاجي خليفة (1067)، دار الفكر، بيروت، 1410، 1990م.
86. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مكّي بن أبي طالب(437)، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1981م.
87. لسان العرب، لابن منظور(711)، دار صادر، بيروت، ط2، 1417، 1997م.
88. اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، الجاهيزية، ط1، 1984م.
89. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب المطلبي، دار المثنى، بغداد، ط1، 1978م.
90. مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط 18، 1990م .
91. المتبع في شرح اللمع لأبي البقاء: تحقيق د.محمد الزوي، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 1994م.
92. مجمع الأمثال للميداني(518) ، تح:محمد محيي الدين ، مطبعة السعادة ، ط2، 1379.
93. المحتسب، لابن جني، (392)، تحقيق: د. علي النجدي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالأزهر، مصر، 1419، 1999م.
94. المختصر في أخبار البشر، لابن كثير(774)، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
95. المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد، عبد الفتاح شلبي،
96. المزهر للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، د.ت.
97. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي(749)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417، 1997م
98. المشوف المعلم في ترتيب حروف المعجم، للعكبري، تحقيق: ياسين السواس، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1403، 1983م.
99. معاني القرآن للأخفش(215)، تحقيق: د. فائز فارس، الكويت، ط2، 1981م.
100. معاني القرآن: للفراء(207)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
101. معجم الأدباء: ياقوت الحموي(626)، بيروت، ط1، 1984 .
102. معجم البلدان، ياقوت الحموي(626)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410، 1990م
103. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1: 1414، 1994م

104. معرفة القراء الكبار، للذهبي(748)، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، ود. صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404، 1984م.
105. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري(671)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.
106. المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1415، 1994 م .
107. مقدمات في علم القراءات ،محمد أحمد مفلح القضاة وآخرين، دار عمان، مسقط، 1422، 2001م
108. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1416، 1996م
109. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري(874)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1957م.
110. نزهة الألبا في طبقات الأدباء، للأنباري(577)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405، 1985م
111. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد طنطاوي، دار المعاف، مصر، ط2، د.ت.
112. النشر في القراءات العشر لابن الجزري(833)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1978م.
113. همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي(911)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.
114. الوافي بالوفيات: للصفدي(764)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1425، 2005م.
115. وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.
- ب الرسائل الجامعية**
116. الأحكام النحوية للقراءات القرآنية، علي محمد النوري، أطروحة دكتوراة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1410، 1990م.
117. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، رسالة ماجستير: جامعة الملك عبد العزيز، 1396.
118. القراءات في التحرير والتنوير، أطروحة دكتوراه ، كلية اللغة العربية بالمنصورة، مصر، 2001م.
119. منهج العكبري في شرح الإيضاح: يحيى مير علم، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1992م.

ج الدوريات:

120. مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الجماهيرية، العدد الخامس عشر 1998م، بحث بعنوان: النحويون والقراءات القرآنية، د. زهير غازي زاهد.
121. مجلة كلية المعارف الجامعة، الأنبار، العدد الرابع، السنة الثالثة، 1423، بحث بعنوان: مفهوم الاختيار في القراءات القرآنية: لخليل إبراهيم السامرائي
122. مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد الثامن والعشرون، العدد الأول 2006م، بحث بعنوان: أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، د. مزيد إسماعيل نعيم.

فهرس الموضوعات

ج	الآية
هـ	الإهداء
6	المقدمة
8	أهمية الموضوع
8	أهداف الدراسة
9	الدراسات السابقة
10	منهج البحث
10	مصادر البحث
12	هيكلية البحث
15	الفصل الأول: دراسات تمهيدية
16	المبحث الأول: أبو البقاء العكبري
17	المطلب الأول: حياة أبي البقاء العكبري
17	اسمه ونسبه:
18	مولده ونشأته:
19	أخلاقه:
20	مذهبه:
21	وفاته:
22	المطلب الثالث: ثقافة أبي البقاء
24	الدراسات اللغوية والنحوية:
26	ثقافة أبي البقاء:
27	مكانته العلمية:
30	شيوخه:
35	تلامذته:
41	مصنفاته:
48	مذهبه في النحو:
50	المبحث الثاني: القراءات القرآنية وموقف النحاة منها
51	حقيقتها:

51	نشأتها وتطورها :
54	وهؤلاء القراء هم :
58	أركان القراءة الصحيحة :
59	أنواع القراءات:
60	فوائد تعدد القراءات:
63	مواقف النحويين من القراءات القرآنية.
63	موقف نحاة البصرة ومن تبعهم:
65	موقف نحاة الكوفة ومن تبعهم
66	موقف أبي البقاء العكبري من القراءات
68	المبحث الثالث: علم توجيه القراءات
69	نشأة علم التوجيه والاحتجاج للقراءات:
72	مفهوم توجيه القراءات والاحتجاج لها:
73	بين التوجيه والاختيار:
75	الاختيار في اللغة:
77	الفصل الثاني: التوجيهات الصوتية
78	المبحث الأول: الهمز
80	الهمز المفرد
83	الهمزتان
85	الهمزتان من كلمتين
89	المبحث الثاني: الإدغام
91	الإدغام الكبير
91	الإدغام الصغير:
93	المبحث الثالث: الإبدال
94	الإبدال الحرفي:
94	أمثلة الإبدال الحرفي:
95	الإبدال الحركي:
96	فاء الكلمة:
96	بين الضم والكسر:
96	بين الكسر والضم
97	بين الفتح والكسر.

98	بين الكسر والفتح
98	بين الضم والفتح
99	بين الفتح والضم
100	عين الكلمة
100	بين الضم والكسر
101	بين الفتح والكسر
101	بين الضم والسكون
102	بين السكون والضم
103	يُنْ كَسْرٍ وَالسُّكُونِ
105	بين الفتح والسكون
106	بين السكون والفتح
106	اختلاف اللفظ
109	المبحث الرابع: الاختلاس والإشباع
113	المبحث الخامس: التشديد والتخفيف
118	الفصل الثالث: التوجيهات الصرفية
119	المبحث الأول: الأسماء
120	المطلب الأول: الإفراد والجمع
125	المطلب الثاني: جموع التكسير
129	المطلب الثالث: التذكير والتأنيث
131	المبحث الثاني: أبنية المصادر
132	المصدر الثلاثي القياسي (فَعَلْ):
135	المصدر الثلاثي غير القياسي:
135	مصادر غير الثلاثي:
136	المصدر الميمي
138	مصدر الهيئة
139	المبحث الثالث: أوزان الفعل
150	الفصل الرابع: التوجيهات النحوية
152	المبحث الأول: الأسماء
153	المطلب الأول: المرفوعات
153	بين التتوين وعدمه

155	بين الرفع والنصب
158	بين الرفع والجر
162	المطلب الثاني: المنصوبات
162	بين التثوين وعدمه
163	بين النصب والرفع
167	بين النصب والجر
171	المطلب الثالث: المجزورات
176	المطلب الرابع: الضمائر
177	المبحث الثاني: الأفعال
178	1- الماضي بين البناء للمجهول والبناء للمعلوم:
181	2- المضارع بين البناء للمجهول والبناء للمعلوم:
183	3- الفعل المضارع بين الرفع والنصب:
186	4- الفعل المضارع بين النصب والرفع:
189	5- الفعل المضارع بين الرفع والجزم:
191	6- الفعل بين الماضي والأمر:
191	7- الفعل بين الماضي والمضارع:
192	8- الفعل بين المضارع والأمر:
193	9- الفعل بين إسناده إلى المفرد وإسناده إلى المثنى:
194	المبحث الثالث: الحروف
195	بين (إن ، أن)
198	لكن بين التخفيف والتثقل:
199	بين لا النافية للجنس والمشبهة بـ« ليس » :
201	الخاتمة
203	الفهارس العامة
204	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
205	فهرس الشعر
206	المصادر والمراجع
214	فهرس الموضوعات